sharif mahmoud

تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850 ـ 1918

(دراسة في ضوء وثائق وأرشيفات الخارجية والصحة الأمريكية والبريطانية وأرشيفات دولية أخرى)

الدكتور ناسم الجميلي

استاذ دراسات الشرق الأوسط – الولايات المتحدة

مراجعة النسخة الانكليزية

الدكتور رائف عكوري

استاذ دراسات الشرق الأوسط الحديث

جامعة فيرفيلد – كونيتيكت – الولايات المتحدة

مراجعة النسخة العربية

الدكتور هاشم صالح التكريتي

استاذ التاريخ الحديث / جامعة بغداد – العراق

تقديم: الدكتور هاشم صالح التكريتي

الطبعة الأولى

2017 م – 1438 هـ

sharif mahmoud

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2016/4/1878)

956.3

الجميلي، قاسم خلف

تاريخ العراق الوبائي في العهد العثماني الأخير 1850 - 1918/

قاسم خلف الجميلي.- عمان: دار دجلة للنشر و التوزيع، 2016.

( ) ص.

ر.إ: (2016/4/1878)

الواصفات: تاريخ العراق/ الإمبراطورية العثمانية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

دار دجلة

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الصيرفي التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 0096279526576

ص.ب: 712773 عمان 11171 - الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-666-0: *ISBN*

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved. No Part of this book may be reproduced, Stored in a retrieval system, Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

sharif mahmoud

الإهداء

إلى أستاذي العالم الجليل
الدكتور هاشم صالح التكريتي
هذا من نبض معرفتكم

sharif mahmoud

المختصرات المعتمدة في هوامش الكتاب

- *A. N. A (American National Archives)*
- *B. M. J (The British Medical Journal)*
- *P. H. R (Public Health Reports)*
- *W. A. S. R (Weekly Abstract of Sanitary Reports)*

sharif mahmoud

تقديم بقلم الأستاذ الدكتور هاشم التكريتي

عرفت الدكتور قاسم الجميلي مؤلف الكتاب الراهن الذي نقدمه للقارئ العربي الآن منذ اكثر من ثلاثين عاما. كان ذلك حين درسته في السنة التحضيرية عندما كان طالبا في مرحلة الماجستير واشرفت على رسالته، ومنذ ذلك الوقت لفت انتباهي لما وجدته فيه من فكر نير وذكاء ملحوظ وقابلية مشهودة ورغبة عارمة بالتعلم توجها بخلق عال وحس وطني شديد فوقعت له مستقبلا علميا مرموقا. وتأكد ظني فيه حين درسته في السنة التحضيرية لمرحلة الدكتوراه واشرفت على اطروحته ايضا. وحين عمل بعد ذلك تدريسيا في الجامعات البت انه مدرس كفء وباحث مرموق كان يمكن ان يصبح واحدا من اعمدة العلم والثقافة في بلدنا لولا ظروف قاهرة اضطرته الى مغادرة الوطن والاقامة في الخارج، فحرمت بذلك مؤسساتنا العلمية من كفاءة واعدة كان يمكن ان تحقق الكثير.

واصل الدكتور قاسم الجميلي نشاطه العلمي في محل اقامته الجديد، والكتاب الراهن واحدة من ثمرات هذا النشاط. لقد تصدى فيه لموضوع شائك قلما يتصدى له الباحثون، لان الخوض فيه يتطلب جهدا استثنائيا في تقصي مصادره الاولية الموزعة بشكل تقارير في ارشيفات متعددة لعدد من الدول مختلفة. وفي ذلك نجح المؤلف في رسم صورة واضحة لوجهات الاوبئة التي اجتاحت العراق في المرحلة موضوع البحث وللاثار التي تركتها في مختلف جوانب المجتمع العراقي.

sharif mahmoud

لقد اختار المؤلف ان يقسم موضوع بحثه على اربعة فصول استعرض في الاول منها الاسباب والعوامل التي ساعدت على ان يكون العراق انذاك هدفا لموجات متعددة من الاوبئة المختلفة. وتقصى في الثاني موجات الاوبئة التي اجتاحت العراق انذاك. وركز في الثالث على التدابير التي اتخذتها السلطات لمواجهة هذه الموجات الوبائية. اما الفصل الرابع فقد خصصه الباحث للنتائج التي ترتبت على تلك الموجات وما خلفته من عواقب كارثية طالت المجتمع العراقي في جوانبه السكانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وخلص المؤلف من ذلك كله الى استنتاج مفاده، ان تواتر الاوبئة هو ناجم عن تواضع وعدودية التدابير التي اتخذتها السلطات لمواجهتها، فضلا عن انه ناجم عن الجهل والتخلف الذي كان متفشيا في العراق انذاك، والذي اسهم الى حد كبير في تأخر المجتمع العراقي وتسبب في انتشار العديد من المساوئ والمشاكل في شتى المجالات بما فيها الصحة العامة. لذا كله فان هذا الكتاب هو قيّم وجدير بالقراءة، لانه يؤلف مصدرا مهما للباحثين والمؤرخين المطلعين لدراسة تاريخ العراق الوبائي في المرحلة التي تصدى لها، كما يعد فيه القارئ العادي تفسيرا للعديد من الظواهر الاجتماعية التي يشاهدها في حياته اليومية.

د.هاشم التكريتي

بغداد في 10 فبراير/ شباط 2016

sharif mahmoud

المقدمة

قد لايتصور المرء في يومنا هذا، حيث تتوفر العلاجات واللقاحات والمؤسسات الطبية المتقدمة، كيف كانت تتسبب الموجات والفشيات الوبائية القاتلة لامراض خطيرة، مثل الطاعون والكوليرا والجدري في الآلاف واحيانا مئات الآلاف من الوفيات في بلد كان لديه عدد صغير من السكان مثل العراق خلال العهد العثماني. لقد فتكت تلك الاوبئة مرارا بارواح العراقيين بعنف وبلا رحمة. ومن اشد مظاهر قسوتها انها كانت احيانا، خلافا لهجماتها الفردية المعتادة، تشكل عصبة قتل ثلاثي تستبيح العراق في آن.

ومع ان تلك الاوبئة كان لها دور فاعل ومؤثر للغاية في تشكيل تاريخ العراق الحديث، فانها لم تلق اهتماما كبيرا من لدن المؤرخين والمهتمين بقضايا الصحة العامة. لاجل ذلك، فان هذه الدراسة، التي تستند بشكل رئيسي على وثائق وارشيفات اخارجية والصحة الامريكية والبريطانية، ترصد وتعرض تقريبا كل الاندلاعات والموجات للامراض الوبائية الاكثر فتكا، وحصريا الطاعون والكوليرا والجدري، التي شهدها العراق بدأ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العام 1918، وهي السنة التي اشرت النهاية الرسمية للحكم العثماني في العراق. تتحرى الدراسة تسعة عشر تفشيا وبائيا للطاعون، (خمسة تفشيات وبائية واسعة الانتشار واربعة عشر اخريات محدودة الانتشار)، حدثت في مناطق مختلفة من العراق خلال المدة بين 1867 و1915. وتتبعت الدراسة ايضا تسعة عشر تفشيا وبائيا للكوليرا، (ستة عشر تفشيا وبائيا واسع الانتشار وثلاثة اخريات محدودة الانتشار)، وقعت في العراق في المدة بين 1851

sharif mahmoud

و1917. وعلى الرغم من ندرة المعلومات من المصادر الاولية عن الجدري، فقد رصدت الدراسة اشارات واحياناً تفصيلات مثيرة عن احد عشر تفشيا واسعا ومحدود الانتشار للجدري في المدة بين 1854 و1915.

تتوزع مفردات الدراسة على اربعة فصول رئيسية. يتضمن الفصل الاول منظورا عاما للعوامل التي اسهمت في انتشار الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. ويشتمل هذا المنظور على عناصر وابعاد اساسية تساعد القارئ على فهم واستيعاب باتوراما للظاهرة الوبائية من كل الجوانب. فالعوامل ذات الصلة بالمناخ والتربة، والكوارث الطبيعية، والوضع الصحة والنظافة العامة، والفقر والغنى المستوى المعاشي، ونقص وعدم كفاءة الملاكات والمؤسسات الصحية، والاضطراب السياسي وسوء الادارة، بالاضافة الى المعتقدات الدينية والتخلف الاجتماعي والثقافي العام ، اسهمت كلها بدرجات متفاوتة في انتشار الاوبئة القاتلة وتواتر هجماتها في العراق العثماني. ويتحرى الفصل الثاني الاندلاعات الوبائية في العراق العثماني وفق سياقات زمنية متتالية، حيث يتم رصد وعرض موجز او تفصيلي لتسع واربعين تفشيا وبائيا واسعا او محدود النطاق للطاعون والكوليرا والجدري في المدة بين 1851 و1918. وقد روعي في الفصل تتبع كل اندلاع وبائي على حدة، منذ بدايته الاولى، وتطوره اللاحق، ثم تحوله الى تفشي وبائي واسع او محدود النطاق، ولغاية خموله وانحساره ومن ثم انقراضه. ويتناول الفصل الثالث حزمة من الاجراءات والجهود العثمانية والدولية للسيطرة على انتشار الاوبئة. فاجراءات من قبيل الرقابة على معابر العراق الحدودية، واقامة محاجر ونطاقات صحية، والتعميم ضد الامراض المعدية، وتشكيل لجان صحية للتقصي عن الاوبئة، وكذلك الجهود النبيلة لاطباء ودبلوماسيين اجانب، قد صُنمت اساسا لوقف زحف الاوبئة الوافدة نحو العراق وكبح جماح تقدمها

sharif mahmoud

ووضعها تحت السيطرة. اما الفصل الرابع فقد خصص لدراسة وتحليل التداعيات التي تركتها الاوبئة على كل جوانب الحياة في العراق العثماني، ولاسيما السكانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

استمدت الدراسة معلوماتها وبياناتها واحصائياتها بشكل اساسي من حزمة واسعة ومتنوعة من المصادر الاولية الارشيفية. فقد شكلت مراسلات القناصل الامريكان العاملين في العراق في السنوات من 1900 ولغاية 1906، التي تضمنها الارشيف الوطني الامريكي (American National Archive)، معينا رفد جوانب عديدة من الدراسة بمعلومات غاية في الاهمية. لقد احتوت تلك المراسلات على اعداد كبيرة من النشرات والبيانات الصحية العثمانية التي كانت ترد الى القناصل بانتظام من مأموري ومكاتب الصحة في بغداد ومدن عراقية اخرى. وقد سعى القناصل يومذاك الى تجميع تلك النشرات والبيانات وتحقيقها واحيانا ترتيبها على شكل جداول اسبوعية او شهرية تتضمن احصائيات عن عدد الوفيات او الاصابات بالامراض الوبائية. وعلى الرغم من الصعوبة البالغة التي اكتنفت قراءة اغلب هذه المراسلات، خصوصا وانها كتبت باليد وبانواع خط واساليب ادبية متباينة، فان قيمتها التاريخية التي لا تقدر بثمن بالنسبة لموضوع الاوبئة في العراق قد هونت كثيرا من اعباء البحث فيها.

ولاتقل اهمية في هذا الشأن التقارير الصحية الامريكية التي كانت تصدر في واشنطن دي. سي، واخص بالذكر منها تلك الصادرة في المدة بين 1887 و1895 باسم (Weekly Abstract of Sanitary Reports)، والاخرى الصادرة في المدة بين 1896 وحتى عام 1917 باسم (Public Health Reports). فقد استعرضت تلك التقارير اسبوعيا الاوضاع الصحية في الولايات المتحدة والعالم

sharif mahmoud

بضمن ذلك المناطق الخاضعة للامبراطورية العثمانية ومن بينها ولايات العراق الثلاث بغداد والموصل والبصرة. كذلك غطت تقارير المجلة الندنية ذائعة الصيت (The British Medical Journal)، الصادرة في السنوات من 1866 ولغاية 1918، مساحة واسعة من الدراسة. اذ تابعت تلك التقارير وبانتظام معظم الاندلاعات الوبائية في العراق حتى نهاية العهد العثماني.

ولم يكن البحث ايضا في خبئ عن الارشيف العثماني، ولاسيما سالنامات ولايات بغداد والموصل والبصرة، سواء النسخ الرسمية الاصلية المكتوبة بالخط التركي العثماني والصادرة في بغداد في السنوات 1877 و1899-1900 و1913، اوالنسخ الجديدة المكتوبة بالخط التركي اللاتيني والصادرة في القدرة في عامي 2005 و2006. لقد امدت هذه السالنامات الدراسة بارقام واحصاءات حيوية وضرورية عن عدد سكان العراق واعداد المستشفيات والكوادر الطبية والصحية فيه اثناء العهد العثماني المتأخر.

وكانت تقارير الاطباء البريطانيين العاملين في المثليات الدبلوماسية البريطانية في بغداد واستانبول معينا علميا لايتضب لهذه الدراسة. فقد تضمنت معلومات مثيرة في تفاصيلها ودقتها المتناهية عن اوبئة العراق في العهد العثماني. لقد كُتبت هذه التقارير من قبل اشخاص مهنيين كانوا يومذاك على الهام كبير ودراية واسعة باوبئة الشرق الاوسط وشبه القارة الهندية. وهنا اود ان اشير بشكل خاص الى اسهامات الجراح البريطاني وليم كولفيل الذي كان ملحقا بالمثلية البريطانية في العراق منذ عام 1867. لقد قدم كولفيل في المدة بين 1867 و1877 تقارير مهنية ثمينة عدة عن تفشيات الطاعون والكوليرا في العراق. وبسبب القيمة العلمية العالية لتقارير كولفيل، اصبحت مصدرا معتمدا يستقي منه علماء الاوبئة والاطباء والاكاديميين الغربيين والعالمين معلومات على

sharif mahmoud

درجة كبيرة من الاهمية. بالاضافة الى ذلك، استمدت الدراسة معلومات غزيرة من تقارير رصينة اخرى كتبها اطباء بريطانيون عن التفشيات الوبائية التي حدثت في العراق اثناء الفترات العثمانية المتأخرة. وكان جون راوكليف احد ابرزهؤلاء. لقد كتب راوكليف تقاريرا صحية عن العراق تتضمن معلومات ذات قيمة عالية بشأن تفشيات الطاعون والكوليرا التي حدثت في هذا البلد في السنوات 1853، و1875، و1876، و1877. وقدم الطبيب البريطاني اي. دي. ديكسون هو الآخر اسهامات بناءة لحقل الاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فقد ركزت تقاريره وكتاباته عن اوبئة العراق على طاعون عام 1876-1877، وكوليرا عامي 1889 و1890. كما استفادت الدراسة كثيرا من اعمال القنصل الامريكي جون ساندبرغ، الذي خدم في العراق للمدة من 1893ولغاية 1895. ففي اثناء فترة خدمته، بعث ساندبرغ برسائل وبرقيات وتقارير الى الخارجية الامريكية وكذلك الصحافة نفسها تضمنت آراءه وملاحظاته بصدد التفشيات الوبائية في العراق. وتنطوي هذه الآراء والملاحظات، التي أستخدمت في فصول هذه الدراسة، على مكانة اكاديمية واخلاقية متميزة. وكان لاسهامات صالح الاوبئة الفرنسي تولوزن في حقل الامراض المعدية في العراق منزلة بارزة في هذه الدراسة. فبحكم خبرته الطويلة في ميدان الاوبئة والصحة العامة، كتب تولوزن رسالة جديرة بالثناء بعنوان وباء الطاعون في بلاد الرافدين في عام 1867. لقد افادتنا هذه الرسالة كثيرا في الاطلاع على وجهات نظر عالم فذ في مجال الاوبئة بشأن اسباب واعراض وطبيعة اول اندلاع للطاعون تشهده العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. الى جانب ذلك استمدت الدراسة معلوماتها من كتب رحالة من جنسيات مختلفة وكذلك من مصادر ودوائر معارف ودوريات متنوعة باللغات العربية والفرنسية وبدرجة اقل الالمانية.

sharif mahmoud

ختاما اذين بالعرفان الكبير الى جامعة نيويورك، وتحديدا معهد ريشارك في كلية الاداب الذي منحني زمالة فيفيان جي. برنس للعلماء العالميين (Vivian G. Prins Global Scholars Fellowship) للعام الاكاديمي 2010-2011، والتي خصصت اصلا لانجاز دراسة هذا الكتاب. وثناء غير منقطع لجهود زميلي وصديقي الدكتور رالف كوري استاذ دراسات الشرق الاوسط الحديث في جامعة فيرفيلد – كنيتيكت – الولايات المتحدة الذي تحمل عناء تدقيق مسودة الكتاب باللغة الانكليزية بصبر واناة. واقرار بالفضل مواطر بالغبة والوفاء لاستاذي الفاضل الدكتور هاشم صالح التكريتي الذي راجع مسودة الكتاب باللغة العربية. وكمهدي به عندما كان مشرفا على اطروحتي للدكتوراه في 1989-1990، فقد وجدته لم يزل ذلك العالم الجليل المتسلح بالقيم والمتجدد بالافكار ليثبت بذلك ان عطاءه الاكاديمي لن يتوقف عند حد او عمر معين. وفي هذا المجال لن انسى ايضا فضل المعونة النبيلة التي قدمتها الدكتورة فردوس عبد الحسين من الجامعة المستنصرية ببغداد. وكما الثمن عاليا الجهد والدعم الاكاديمي الرائع الذي قدمته السيدة كلير روبنسن من جامعة نيويورك. ولابد ان استذكر هنا ايضا زوجتي واولادي الذين استقطعت الكثير من وقتهم لاستثمره في انجاز متطلبات هذه الدراسة، فشكرا لصبرهم على ذلك. ولكل من مد يد العون والدعم والتشجيع وافر التقدير والامتنان.

الدكتور قاسم الجبيلي
فيرفيلد –كنيتيكت– الولايات المتحدة
فبراير/ شباط 2016

sharif mahmoud

الفصل الأول

منظور عام للعوامل التي أسهمت في انتشار الأوبئة في العراق أثناء العهد العثماني المتأخر

sharif mahmoud

sharif mahmoud

الفصل الأول
منظور عام للعوامل التي أسهمت في انتشار الأوبئة في العراق أثناء العهد العثماني المتأخر

التواصل التاريخي للظاهرة الوبائية

لم تشكل الاوبئة، ولاسيما الطاعون والكوليرا والجدري، التي اكتسحت العراق منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية عام 1918، ظاهرة جديدة في التأريخ الحديث لهذا البلد. تأريخيا ارتبطت جذور الظاهرة بشكل وثيق باهجمات الوبائية المتكررة التي حدثت في العراق خلال، وحتى قبل، القرنين السابع عشر والثامن عشر. وفي الواقع، انه طالما ان شروط النظافة والصحة العامة للمجتمع العراقي في العهد العثماني لم تتحقق بشكل كبير، فان الهجمات والاندلاعات الوبائية تواصلت بلا انقطاع.

على اي حال، فانه في الوقت الذي كانت فيه الاوبئة تحدث تقريبا في العراق على نحو خطير، فان تقدمها وتداعياتها كانت تُلاحظ وتُدون بشكل دقيق من قبل المؤرخين المحليين، والرحالة الذين زاروا البلد، والقنصليات والبعثات الدبلوماسية في بغداد والمدن الاخرى. وما من شك في ان مسحا تأريخيا لبعض الاندلاعات الوبائية من اواخر القرن السابع عشر ولغاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد يساعد في توضيح الحقائق المتعلقة بالاوبئة التي عصفت بالعراق لاحقا.

تعود بعض الاشارات المتوفرة لانتشار الطاعون في العراق خلال الربع الاخير من القرن السابع عشر الى سنة 1689. فقد تفشى الوباء في هذه السنة في

sharif mahmoud

بغداد لمدة خمسة اشهر تقريبا، آخذا ارواح عدد كبير من الناس. وقدر العدد الاجمالي للوفيات بنحو 100.000 شخص. ثم عاود الطاعون ظهوره في بغداد في السنة التالية (1690)، واستمر لاكثر من ثلاثة اشهر، فمات 100 شخص يوميا[1]. ووصل الطاعون البصرة في عام 1691، ضاربا المدينة بعنف، ومكتسحا حياة 200.000 شخص في غضون ثمانية عشر يوما[2].

وبدا النشاط الوبائي في العراق خلال القرن الثامن عشر تدميريا على نحو اكثر من اي قبل، حيث اجتاح الطاعون مناطق مختلفة من البلاد. فقد ضرب الوباء، على سبيل المثال، الموصل في عام 1737، فمات 1.000 شخص يوميا. واكتسح الداء ذاته بغداد عام 1739، مبيدا عددا كبيرا من السكان. ووصل الطاعون بغداد في عام 1772 قادما من استانبول. ولقد وصف المؤرخ البغدادي عبد الرحمن السويدي، الذي شهد احداث هذا الطاعون، الدمار الذي سببه للعراق، وكيف ان المدن والبلدات العراقية كانت تتساقط الواحدة تلو الاخرى تحت ضرباته غير الرحيمة.[3] لقد بلغت قائمة الوفيات الكلية في المرحلة الاولى للهجوم الوبائي قرابة 70.000 شخص. ولم تضم القائمة اولئك الذين ماتوا لاحقا، بعد ذلك لتظل الوباء الى البصرة، حيث هاجم المدينة بعنف، مسببا آلاف الوفيات، بضمنهم عدد كبير من الموظفين الكفوئين في الولاية[4]. وظهر الطاعون

1 Charles Issawi, The Fertile Crescent 1800-1914: A Documentary Economic History, (New York: Oxford University Press, 1988), P. 99.

2 Georg Stricker, Abhandlungen aus der Seuchengeschichte und Seuchenlehre, I. Band: Die Pest, Erster Teil: Die Geschichte der Pest, (Gieben: Alfred Topelmann, 1908), P. 210.

3 عبد الرحمن السويدي، حوادث تأريخ بغداد والبصرة أطيق عساد عبد السلام رؤوف، (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978)، ص ص 36–38.

4 عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، ج8: 1749–1831، طبعة جديدة، (بيروت: منشورات مكتبة الحضارات، 2009)، ص ص 54–55.

; Issawi, P. 99.

sharif mahmoud

في الموصل في السنة ذاتها، وقتل، حسب تقديرات تقريبية، 100.000 شخص (من اصل 125.000 من السكان)[1] اي مايقارب 80٪ من العدد الكلي للاهالي.

وكانت الموجة الوبائية التي اجتاحت العراق في عام 1773 الحدث الاكثر مأساوية في عراق القرن الثامن عشر. فقد اندلع الطاعون في ضواحي بغداد في 19 كانون الثاني 1773، ومن ثم انتشر في المدينة كلها[2]. وقد تراوحت وفياته اليومية في 6 شباط بين 400 الى 500 شخص. وارتفع الرقم في 20 شباط الى 1800 شخص. وتحلول شهر آذار اصبحت بغداد مدينة مهجورة تقريبا. وطبقا لرحالة زار بغداد في عام 1781، اخذ طاعون عام 1773 تلثي قاطنيها تقريبا، مقلصا السكان الى ما لايزيد عن 25.000 نسمة. ولاحظ الرحالة ايضا اثناء زيارته ان العديد من الأحياء كانت ما تزال مهجورة[3]. وهاجم طاعون عام 1773 كذلك النجف وكربلاء والحلة مما دفع باهلها للهرب الى اماكن اخرى[4]. وامتد الوباء في نيسان الى الاجزاء الغربية في العراق، حيث ظهر في عانه في اعالي الفرات[5]. ومع قدوم موسم الصيف، بدأ الطاعون بالتضاؤل التدريجي الى ان انتهى كليا في بغداد بحلول شهر مايس[6].

---

1 سليمان صايغ، تأريخ الوصل، الجزء الاول، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1923)، ص203

2 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), (London: December, 1773), P. 327.

3 Colvill. W. H, Sanitary Reports on Turkish Arabia, in "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI, for the year 1871, (Bombay: Education Society's Press, 1872), PP. 43, 45; Scrini, Voyage de Constantinople a Bassora en 1871, Traduit de l' Italien, (Paris: n.d), P.169.

4 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.

5 Abraham Parsons, Travels in Asia and Africa, (London: 1808), P. 99.

6 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.

sharif mahmoud

كانت الفاجعة الديمغرافية لطاعون 1773 في بغداد مروعة للغاية. الفد لوحظ ان ارقام الوفيات التي اعطتها بعض المصادر كبيرة بشكل كبير. فبينما يعتمد كوتفيل، الجراح الملحق بالقنصلية البريطانية في بغداد في سبعينيات القرن التاسع عشر، مستندا على تقدير لوكيل بريطاني، رقما مبالغا للوفيات، يصل الى 1.800.000 شخص[1]، اعطت مجلتين بريطانيتين معاصرتين للحدث ارقاما تتراوح بين 250.000[2] و300.000 وفاة[3].

وزار الوباء ذاته البصرة ايضا، حيث حمل عدوه أناس قادمون من بغداد والنجف. لقد ضرب الداء المدينة من نيسان 1773[4] ولغاية 10 حزيران، حيث كانت الحصيلة مأساوية. فمن مجموع 100.000 من السكان، مات منهم 80.000، وهرب 5.000، وتماثل للشفاء 5.000، فيما بقيا 10.000 من الاصابة بالعدوى[5].

على اي حال، تركت القوة التدميرية لهجوم الطاعون الوبائي في عام 1773 تداعيات خطيرة على المجتمع العراقي، عندما نشر الفقر والشره وحتى الامراض العقلية بين الناس. لقد كان من المألوف جدا رؤية رجال ونساء في بغداد، سبق وان كانوا يعيشون حياة مترفة، يتجولون في الطرقات، سائلين الناس الصدقات. فيما اصيب آخرون بالكآبة والجنون لفقدهم الوالدين والاولاد والاصدقاء الحميمين والثروة[6].

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.
2 "The Scots Magazine", Vol. XXXV (35), (Edinburgh: Murray and J. Cochran, 1773), P. 546.
3 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.
4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.
5 "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), P. 327.
6 Parsons, P. 133.

sharif mahmoud

وفشى طاعون عنيف منقطع في البصرة لطول صيف عام 1780. وكان انتشاره واسعا وقاتلا في تأثيره. حيث قدرت الوفيات بحدود 25.000[1]. وبعد ثلاث سنوات (في 1783–1784)، تم الابلاغ عن طاعون في كرمنشاه بايران. وقد انفجر لاحقا في السليمانية ومناطق اخرى على الحدود العراقية-الايرانية، ومن ثم في بغداد، لكنه لم يستمر فيها طويلا[2]. وعاود الطاعون ظهوره مرة اخرى في بغداد لعدة شهور في عام 1785، ولم يتوقف الا بعد ان اخذ حياة العديد من الناس. وانتشر الطاعون بشكل متزع في السليمانية وضواحيها في السنة الاخيرة من القرن الثامن عشر (1799). وقد قضى على مايقرب من 18.000 شخص. وقد دُفن كل ثلاث ضحايا في قبر واحد، فيما لم يتمكن الناس من دفن آخرين، فأكلت لحومهم الكلاب[3].

ويقدر تعلق الامر بالاوبئة، يُعد القرن التاسع عشرالاكثر مأساوية في تأريخ العراق الحديث بسبب تزايد الفجعات الوبائية، وتوطنها المؤقت، والخسائر البشرية الفادحة. وشهدت دورة القرن هجمة وبائية هائلة في الموصل. فبعد اندلاعه في نصيبين وماردين والجزيرة، في جنوب شرقي الاناضول، وصل الطاعون الى الموصل في نيسان 1800، تاركا تدميرا مروعا، ولم توقفه الا الحرارة المرتفعة لشهر تموز[4]. وضرب الطاعون بغداد في السنة التالية (1801)، مزيلا العديد من علامات الحياة في المدينة. وانتشر الطاعون في بغداد والمناطق المجاورة

1 R. La Roche, Pneumonia: Its Supposed Connection, Pathological and Etiological with Autumnal Fevers; Including an Inquiry into Existence and Morbid Agency of Malaria, (Philadelphia: Blanchard and Lea, 1854), P. 232.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme: Geo-Gla, (Paris: Mamon and Asselin, 1882), P. 107.
3 Issawi, PP. 99-100.
4 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 45.

sharif mahmoud

في آذار 1802. ووفقا للمؤرخ العراقي رسول الكركوكلي، الذي شهد احداث هذا الطاعون، كان الوباء يقتل ما لايقل عن سبعين شخصا يوميا. وعلى ما يبدو، فان الحرارة العالية لشهر مايس في العراق قد كبحت تقدمه[1]. وعاود الطاعون ظهوره في العراق في عام 1803. ففي كتابه مطالع السعود، بين ابن سند البصري أن هذا الوباء قد اكتسح بغداد لمدة ثلاثة اشهر، من 25 كانون الثاني الى 23 نيسان. فجرا غالبية السكان على مغادرة المدينة الى اماكن آمنة اخرى[2]. وضرب الطاعون البصرة بعنف في عام 1821. ويؤكد ابن سند البصري، الذي شهد ذلك الفشي الوبائي، ان فاجعته استمرت لمدة سبع وخمسين يوما، من 3 تموز الى 29 آب، مسببة تروبعا ورعبا بين المواطنين. وطبقا للبصري، قُدرت وفياته بنحو 10.000 شخص[3]. وانتشر الطاعون في الموصل في سنة 1826، وادى الى وفاة اعداد كبيرة من الناس[4].

ان الفشي الوبائي الاكثر فتكا للطاعون في تأريخ العراق الحديث كان في عام 1831. فعلى الرغم من ان الوباء اختار بغداد بؤرة رئيسة لهجومه القاتل، الا انه توسع لاحقا وشمل عموم العراق. لقد جُلبت عدواه اما من مصر، ومن

---

1 رسول الكركوكلي، «وجهة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الوزراء»، ترجمة موسى كاظم نورس، (بيروت: مطبعة الروم، 1904)، ص217 ; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 48.

2 عثمان بن سند البصري، مطالع السعود: تأريخ العراق من سنة 1118 الى سنة 1242 هجرية/ 1774-1826، تحقيق صادق عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد الأمير القيسي، (بغداد: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، 1991)، ص253

3 ابن سند البصري، ص ص 338-339

4 صالح، ص303

sharif mahmoud

ثم عن طريق سوريا الى السليمانية وكركوك ومنها الى بغداد[1]، او من ايران عبر خانقين والسليمانية وراوندوز[2]. وفي كل الاحوال، فانه طبقا لانتوني آن. كروفز، وهو مبشر عاش وشهد رعب الطاعون في بغداد، فقد بدأ الوباء هجومه في 28 آذار 1831، وفاض نهر دجلة في 26 نيسان محطما البيوت بكل الجهات، لكن فورتي الطاعون والفيضان الخسرنا على نحو متزامن يوم 21 مايس[3].

كانت التداعيات السياسية والاجتماعية والديمغرافية لطاعون عام 1831 كارثية بكل المقاييس. سياسيا، اسهم الطاعون بقسوة في تهديم اعمدة الحكم المملوكي في العراق، عندما حرم داود باشا، آخر الحكام المماليك لبغداد، من قصره وجنوده وثلثة قواته. فعمليا، تظافرت جهود الطاعون والفيضان لزعزعة عن السلطة[4]. اما النتائج الاجتماعية للطاعون فكانت فظيعة للغاية. فقد استحصل الوباء، اما جزئيا او كليا، اعدادا هائلة من العوائل، كما اصبحى الآلاف من الاطفال ايتاما وتركوا في الطرقات بلا مأوى، فيما أُلقيت الجثث على الارصفة في كل مكان. ومن سخريات القدر، ان زالت خلال مجرى الحدث الوبائي كل التقسيمات والتدرجات الهرمية الاجتماعية بين الناس. فلقد تقاسم الفقراء والاغنياء المصير المفجع ذاته[5]. اما الكارثة الديمغرافية فقد كانت مروعة. فمن مجموع سكان بغداد البالغ يومذاك 150.000 نسمة، افنى الطاعون تقريبا 100.000 شخص[6].

1. Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 46.
2. "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 106.
3. Anthony N. Groves, Journal of a Residence at Bagdad during the Years 1830 and 1831, (London: James Nisbet, 1832), PP. 96-97; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 46-47.
4. Ibid, PP. 116, 123, 129.
5. Ibid, PP. 117, 119-121.
6. J. Baillie Fraser, Mesopotamia and Assyria from the Earliest Ages to the Present Time, (New York: Harper and Brothers, 1842), P. 245.

sharif mahmoud

وفي الشمال، عصف طاعون 1831 بالموصل لمدة تقرب من ثلاثة شهور، تاركا المدينة مهجورة تقريبا، فيما قُدرت الوفيات بما لايقل عن 100.000 شخص[1]. وال الجنوب، في البصرة، هُجرت المدينة بعدما بدأ الطاعون بالانتشار، وتشتت تجارها في مناطق مختلفة. وتفشت في فصول تلك المدة اعصال الشغب والفوضى في كل مكان بالولاية[2]. ولم تقتصر اضرار الوجة الوبائية للطاعون على الناحية الديموغرافية فقط؛ انما امتدت ايضا لتعطل الحياة الاقتصادية للولاية. فنتيجة لنقص القوى العاملة، أهملت بساتين النخيل التي كانت المصدر الرئيسي لثروة تجار البصرة[3].

لقد هز طاعون عام 1831 المجتمع العراقي في الصميم، ولوحظت عواقبه المدمرة لسنوات عديدة لاحقة. فقد زار رحالة بغداد في عام 1837 ووجد انها كانت تتعافى من النكبة التي حلت بها ببطء. فوفقا لحساباته، لم يكن عدد سكان المدينة يتجاوز آنذاك الاربعين الف نسمة[4].

وتفشى الطاعون مرة اخرى في بغداد في نيسان عام 1832، لكن انتشاره في هذه المرة كان خفيفا. وقد تضاءل وانتهى بحلول شهر تموز. وصادر الطاعون ظهوره في بغداد في كانون الثاني من عام 1834، لكن عودته هذه كانت خفيفة

1 Rev. Horatio Southgate, Narrative of A Visit to the Syrian (Jacobite) Church of Mesopotamia; with Statements and Reflections Upon the Present State of Christianity in Turkey, (New York: D. Appleton & Co., 1844), 241.

2 احمد نوري الانصاري، البصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1969)، ص ص38-40.

3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 47-48.

4 H. Swainson Cowper, Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the Persian Gulf, (London: W. H. Allen & Co., Limited, 1894), PP. 269-270.

sharif mahmoud

ايضا، وقد انتهى كليا في شهر نيسان. وقد العراق منذ ذلك التأريخ نظيفا من التشيات الوبائية للطاعون ولمدة ثلاث وثلاثين عاما[1]، ولم يعاود الوباء ظهوره مرة اخرى لغاية عام 1867.

وكان للكوليرا ايضا دور مميز في التأريخ الوبائي للعراق الحديث. فقد كان النصف الاول من القرن التاسع عشر حافلا بالموجات الوبائية لهذا المرض. فبينما كانت الكوليرا متفشية في اجزاء عديدة من الهند في عام 1817، جرى توريدها الى مناطق واسعة من العالم، بضمن ذلك اوربا. واثر الوباء بعنف على بومبي في الفترة بين 1818 و1820. ومن هناك جُلبت الكوليرا بواسطة السفن الى مسقط في عمان، وبوشهر في ايران، والى البصرة في تموز1821[2]. حيث ساء الوباء فيها لمدة اربعة عشر يوما، مهلكا مابين 15.000 الى 18.000 نسمة، او ما يقارب ربع السكان، منهم 14.000 لقوا حتفهم في غضون اسبوعين[3]. وقد تكدست في تلك الاثناء الجثث في المساجد والشوارع، فيما لاذ معظم اهالي المدينة بالفرار الى الصحراء[4]. و نقلت خلال السنة ذاتها فوارب كانت تبحر في دجلة جرثومة الكوليرا الى بغداد، حيث مات تقريبا ثلث سكانها بسبب التفشي الوبائي. وتسللت الكوليرا من هناك الفرات لغاية ان بلغت مدينة عانه. وقد

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 49.
2 Edmund Charles Wendt, A Treatise on Asiatic Cholera, (New York" William Wood and Company, 1885), PP. 6, 8; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 56.
3 الكركوكلي، ص298؛ Rev. Alexander Keith, The Signs of the Times, Vol. 2, 2nd Edition (Edinburgh: William Whyte & Co., 1832), P. 273; "Progress of the Indian Cholera", in "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, October 1812 (New York: Waugh and T. Mason, 1832), P. 457.
4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005), P. 62.

sharif mahmoud

تراجع الوباء في نهاية الخريف وتوقف مع اقتراب موسم الشتاء[1]. واندلعت الكوليرا في عموم ايران في عام 1822، ومن ثم تحركت نحو العراق، فسارية الوصل في الربيع وبغداد في الخريف[2]. ووردت الكوليرا من ايران ايضا في عام 1846، ووصلت بغداد في 18 ايلول. وقد استمر التفشي الوبائي اربعين يوما ثم تلاشى في 28 تشرين الاول. ويُقدر ان ما لايقل عن 6.000 شخص سقطوا ضحية للوباء انتقلت الكوليرا من بغداد الى الموصل، حيث أبلغ عن الاصابات الاولى في 22 تشرين الاول، وبلغت ذروتها في 5 تشرين الثاني. وقد تفي بين 700 و 800 شخص مصرعهم بسبب الوباء. و حدث التفشي الاخير للكوليرا خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر في عام 1847، عندما انفجر الوباء في البصرة في 18 حزيران واستمر لغاية 18 تموز، عندذاك سارت الكوليرا على طول وادي الفرات ودجلة ، فهاجمت اولاً النجف وكربلاء والحلة. ثم انتشر الوباء في بغداد في 10 ايلول، حيث سحقت الف اصابة و 150 حالة وفاة، قبل ان يتوقف في 15 تشرين الاول. واندلعت الكوليرا في ثكنات الجيش في ضواحي الموصل في 15 تشرين الثاني، ومن ثم ضربت مركز المدينة لاحقا. وقد توقف الوباء في 11 كانون الاول بعدما قتل 200 من السكان[3].

بالاضافة الى الاوبئة، كان هناك تنوع كبير للامراض الاخرى التي ظهرت في العراق في الفترات العثمانية المتأخرة، مثل الملاريا، والحمى المعوية، والتيفوئيد، والزحار، والاسهال، والحصبة، والحمى القرمزية، والالتهاب الرئوي (ذات الرئة)، والتهاب الشعب الهوائية، والتدرن الرئوي، والجذام وامراض

1 الكركوكلي، Keith, P. 273.

2 "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, P. 458; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.

3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.

sharif mahmoud

اخرى[1]. وقد تركت "حبة حلب" معالمها لدى العديد من سكان البصرة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر. فيما كانت "حبة بغداد" او كما يسميها البغداديون الأحت، مألوفة جدا لمعظم العراقيين. وقد هاجمت الأحت بلا تمييز الرجال والنساء والاطفال[2]، ووسمت وجوه العديد من سكان العراق لاجيال قادمة.

اقيم الحدوث المتكرر للموجات الوبائية في كل سنة او عقد من السنين في العراق العثماني (انظر جدول رقم 1 و 2) عالم الاوبئة البريطاني دكتور بين ان يصنف العراق كأحد مناطق الشرق الاوسط التي استضافت امراضا متوطنة، وعلى وجه الخصوص الطاعون. وقد استند الدكتور بين في وجهات نظره على اعتبارات جغرافية وطبيعية واجتماعية[3]. ومن جانبه، اوضح عالم الاوبئة الفرنسي المشهور، تولوزن، في كتابه وباء الطاعون في بلاد الرافدين عام 1867، ان العراق -بسبب التفشي المتواصل للاوبئة- ربما يكون المركز المميز للمعلومات لكل اولئك الذين كانوا يخشون الاوبئة ويريدون ان يعيشوا بأمان[4]. وقد شاطر علماء اوبئة آخرون وجهتي نظر العالمين بين وتولوزن. لقد ربط هؤلاء جميعا بين انتشار الاوبئة في العراق والظروف الجغرافية والشاعية السائدة فيه.

---

1 Andrew Davidson, Geographical Pathology: An Inquiry into the Geographical Distribution of Infective and Climatic Diseases, (Edinburgh & London: Young J. Pentland, 1892), PP. 279-281.

2 George J. H. Evatt, Contributions to the Medico-Military Topography of the Persian Gulf and Valley of the Euphrates and Tigris. Appendix No.1, to " Army Medical Department Report for the Year 1874". Vol. XVI (16), Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Harrison and Sons, 1876), PP. 190, 197.

3 J. F. Payne, Plague, in "A System of Medicine", Edited by Thomas Clifford Allbutt, Vol. 1, (New York: The Macmillan Company, 1899), P. 922.

4 Theloran, Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867, (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869), P. 73.

sharif mahmoud

جدول-1 (تفشيات الطاعون الوبائية في العراق 1689-1834)

السنة	المنطقة	العدد المقدر للوفيات
1689	بغداد	100.000 شخص
1690	بغداد	9.000
1691	البصرة	200. 000
1737	الموصل	غير معروف (الف شخص يوميا)
1739	بغداد	غير معروف
1772	بغداد، البصرة، موصل	بغداد: 70.000، البصرة: غير معروف، الموصل 100.000
1773	بغداد والبصرة	بغداد: بين 250.000 و 300.000، البصرة: 80.000
1780	البصرة	25.000
1783-84	السليمانية	غير معروف
1785	بغداد	غير معروف
1799	السليمانية	18.000
1800	الموصل	غير معروف
1801	بغداد	غير معروف
1802	بغداد	غير معروف (70 شخص يوميا)
1803	بغداد	غير معروف
1821	البصرة	10.000

sharif mahmoud

السنة	المنطقة	العدد المقدر للوفيات
1826	موصل	غير معروف
1831	بغداد، الموصل، البصرة	بغداد: 100.000، الموصل: 100.000، البصرة: غير معروف
1832	بغداد	غير معروف
1834	بغداد	غير معروف

جدول-2 (الدلاعات الكوليرا الوبائية في العراق 1821-1847)

السنة	المنطقة	الرقم التقديري للوفيات
1821	البصرة، بغداد، ومناطق اخرى	البصرة: من 15.000 الى 18.000 شخص، بغداد: غير معروف (ثلث السكان)
1822	بغداد	غير معروف
1846	بغداد والموصل	بغداد: 6000، الموصل: من 700 الى 800 شخص
1847	البصرة، بغداد، والموصل	البصرة: غير معروف، بغداد: 150 شخص، الموصل: 200 شخص

sharif mahmoud

العامل الجغرافي: المناخ والتربة

ان الاوبئة، كما هو الحال بالنسبة لكل انواع الامراض الاخرى، حساسة جدا للحرارة والرطوبة وهطول الامطار. ويمكن لكل واحدة من تلك الظروف المناخية ان تزيد او تقصر من مجرى نمو وتطور الامراض المعدية. طبقا لذلك، ادرك العديد من علماء الاوبئة والاكاديين وغيرهم صلة المناخ الوثيقة بتفشي الاوبئة في العراق العثماني. ولكي نوضح تأثير المناخ في الاوبئة، سواء من حيث اندلاعها او انتشارها، فانه من الضروري ان نأخذ لمحة عامة عن الظروف المناخية السائدة في ولايات العراق الثلاث، بغداد، والموصل، والبصرة، اثناء العهد العثماني المتأخر.

تشتمل السالنامات العثمانية (الكتب السنوية) لولاية بغداد للمدة من 1876 الى 1913 على بعض البيانات بشان حالة الطقس في مركز الولاية وتقسيماتها الادارية الاخرى. استنادا على هذه البيانات، كان الصيف في ولاية بغداد كالمعتاد حارا جدا، وتراوحت درجة الحرارة في الظل احيانا بين 40 الى 48 مئوية (104 الى 118 فهرنهايت). في الشتاء، كان البرد شديدا، وتراوحت الحرارة المسجلة في بعض السنوات بين 3 الى 4 تحت الصفر (26.6 الى 24.8 فهرنهايت). وكان الهواء في الولاية بشكل عام صحيا وجافا، باستثناء المناطق الجنوبية، حيث الرطوبة العالية في اراضي المستنقعات في الهندية (طويريج) والشامية. كان موسم الصيف يستغرق ستة اشهر، من منتصف نيسان الى بداية تشرين الاول، والخريف من تشرين الاول الى نهاية تشرين الثاني، والشتاء لمدة ثلاثة اشهر، والربيع لمدة شهر واحد. ويبدأ هطول المطر عادة في اواسط تشرين

sharif mahmoud

الثاني، ويستمر الى منتصف نيسان. وعانت الولاية من موجات جفاف من حين لآخر[1]. وقد عزيت العديد من الامراض التي أبتلى بها البغداديون الى هذا المناخ المتطرف المتسم بالتباين الكبير في درجات الحرارة[2]. فعلى سبيل المثال، لاحظ احد الاطباء انه عندما طرأ تغير مفاجئ في الطقس في بغداد في حزيران 1859، ارتفع معدل عدد المرضى في المدينة الى مئة شخص يوميا[3].

وفي بلد حار كالعراق، صنّف مناخ الموصل، ومايزال، على انه معتدل الى حد ما. وتظهر لمحة سريعة عن الفصول الاربعة في ولاية الموصل، كما وردت في سالنامتها للمدة من 1892 الى 1914، ان الصيف في هذه المنطقة كان حارا جدا، وان درجة الحرارة كانت تصل الى 42 مئوية (107.6 فهرنهايت)، واحيانا الى 44 مئوية (111.2 فهرنهايت). اما في الشتاء، فقد سجل مقياس الحرارة في بعض الايام درجة مئوية جدا بلغت 14 مئوية تحت الصفر (6.8 فهرنهايت). وقد اسهم هكذا تباين في درجات الحرارة في انتشار امراض مختلفة على صلة بالمناخ. فحرارة الصيف الشديدة،على سبيل المثال، نشطت امراضا معينة، كالزحار والملاريا، بينما كانت برودة الشتاء القاسية مفضلة لبدء امراض معينة كحمى الصدر، والالتهاب الرئوي، والانفلونزا، وامراض رئوية اخرى[4].

وعدت البصرة مناخيا الجزء الاكثر حرارة ورطوبة في العراق العثماني، ووفقا لسالنامات ولاية البصرة ودراسة بريطانية عن الطوبغرافية الصحيا-

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2006), P. 84.
2 Evatt, P. 196.
3 Thobourn, P. 22.
4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005), PP. 118, 136.

sharif mahmoud

العسكرية لعام 1874، فان موسم الصيف في هذه المنطقة كان حارا وطويل جدا. بينما كانت تهب في الشتاء ريح باردة بشكل قارس. اما هطول الامطار فقد كان قليلا للغاية، بينما كان موسم الربيع قصير جدا، لايتجاوز الشهر الواحد في السنة. وفي منطقة حارة جدا ومحاطة بأهوار ومستنقعات كالبصرة، ازدهرت ذبابات من الامراض والاوبئة ، بضمن ذلك الطاعون، والكوليرا، والملاريا، والحمى الصفراء، والالتهابات الشعبية، والتهاب الكبد، والزحار، والاسهال، والكزاز، واضطرابات الجهاز العصبي، والحمى المصحوبة بقشعريرة باردة، التي اصابت كل فرد في البصرة يومذاك، مثلما اشار لذلك جراح بريطاني. وفي الواقع، انه في منطقة بمثل تلك المواصفات المناعية، حتى الجروح البسيطة للناس كانت تتطور الى غنغرينا[1].

ومما لاشك فيه ان الطبيعة ذاتها توجد في الغالب وسائل اما لنشر الجراثيم او قتلها. وهذا اوضح بعض علماء الاوبئة تأثير المواسم والقوى الطبيعية على الاوبئة في العراق العثماني. ففي هذا الصدد، اوضح عالم الاوبئة الفرنسي لولوزن، الذي شخص التفشيات الوبائية الثلاثة للطاعون في العراق في الاعوام 1773، 1800، و1801، بان بداية هذه التفشيات كانت في الشتاء، وتطورها كان في الربيع، وضعفها وانقراضها كان في الصيف. لقد اعتقد لولوزن ان الحرارة العالية لصيف العراق قد لطّفت دائما وقللت واوقفت التفشيات الوبائية للطاعون. وسارت الكوليرا على القاعدة ذاتها، فقد كانت تتلاشى تماما في

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", PP. 85, 149-151; Evatt, P. 190.

sharif mahmoud

فترات الحرارة العالية، وتعاود الظهور في مواسم الخريف والشتاء والربيع[1]. ومع ان الافتراض الوارد الذكر يبدو معقولا، الا انه لايمكن ان ينطبق على كل الموجات الوبائية في العراق في العهد العثماني المتأخر. فقد لوحظ ان من بين سبعة تفشيات للطاعون حدثت خلال المدة بين 1773 و1834، بدأ اثنان فقط نشاطهما في كانون الثاني، بينما اندلعت الخمسة الباقية في الربيع والقرعست في الصيف (انظر جدول-3). كما لوحظ ايضا ان مدة حياة موجات الطاعون الوبائية قد تراوحت بين ثلاثة الى خمسة اشهر. اما فيما يتعلق بالكوليرا، فانه من بين اربع تفشيات وبائية حدثت في العراق في المدة بين 1846 و1847 (انظر جدول-3)، انفجرت واحدة فقط في صيف عام 1847 وتوقفت خلال الموسم ذاته، بينما بدأت الثلاث الأخرى وانتهت في الخريف. وبمراقبة دورة حياة التفشيات الوبائية للكوليرا، يتبين انها كانت اقصر من تلك التي للطاعون؛ اذ لم تتجاوز كل دورة تفشي الشهرين.

جدول- 3 ادورة حياة التفشيات الوبائية في العراق 1773-1847)

الوباء	السنة	المنطقة	البداية	الانقراض
طاعون	1773	بغداد	كانون الثاني	مايس
طاعون	1773	البصرة	نيسان	حزيران
طاعون	1800	الموصل	نيسان	تموز
طاعون	1802	بغداد	آذار	مايس
طاعون	1831	بغداد	آذار	مايس

1 "The London Medical Record: A Review of the Progress of Medicine, Surgery, Obstetrics, and the Allied Sciences", Vol. III, February 17, 1875, (London: Smith, Elder & Co., 1875), P. 100.

sharif mahmoud

الوباء	السنة	المنطقة	البداية	الانقراض
طاعون	1832	بغداد	نيسان	تموز
طاعون	1834	بغداد	كانون الثاني	نيسان
كوليرا	1846	بغداد	ايلول	تشرين الاول
كوليرا	1847	البصرة	حزيران	تموز
كوليرا	1847	بغداد	ايلول	تشرين الاول
كوليرا	1847	الموصل	تشرين الثاني	كانون الاول

وهكذا، فانه بغض النظر عن استثناءات قليلة، كان الربع الموسم المفضل والمثالي للطاعون ليشن هجماته في العراق، بينما اسهمت حرارة الصيف العالية وبرودة الشتاء الشديدة في انقراضه، مثلما اكد على ذلك الفوست هيرش، بروفيسور الطب في جامعة برلين في ثمانينيات القرن التاسع عشر. ويلاحظ هيرش أن موجات الطاعون الوبائية في العراق من 1867 الى 1877 كانت جميعا تقريبا تبلغ الذروة بين شهري آذار ومايس[1]. وعلى الاغلب، عجلت درجة حرارة 40 مئوية (104 فهرنهايت) في العراق في انقراض الطاعون[2].

1 August Hirsch, Handbook of Geographical and Historical Pathology, Vol. 1: A Cute Infective Diseases, Translated from German by Charles Creighton, (London: The New Sydenham Society, 1883), P. 516.

2 "The British Medical Journal", (B.M.J لاعفا مستورمز فما), Vol.1, No. 1220, (London: May 17, 1884), P. 904.

sharif mahmoud

وضمنت برودة الشتاء القاسية نهاية للكوليرا[1]، فيما اوقفت مواسم الجفاف الامطار الجدري، لان ڤيليالته تعتمد على الرطوبة[2].

اما بخصوص صلة التربة بالاندلاعات الوبائية في العراق العثماني، فأن هنالك اسبابا عدة اوحت لعلماء الاوبئة لان يعطوا التربة مكانة مميزة في دراساتهم عن الامراض الوبائية، ولاسيما الطاعون. لقد استندت واحدة من الحجج التي دعمت نظرية التربة على حقيقة ان الوباء كان احيانا يعاود مجماله ضد بقعة واحدة معينة او اكثر. وبهذا يمكن تصنيف هذه البقع على انها مناطق متوطنة، بسبب انتشار الوباء فيها في فترات متعاقبة، وبشكل ادق في ذات البقع، وربما حتى في ذات البيوت[3].

وبتأثير هذه النظرية، عُزيت التفشيات الوبائية للطاعون او الامراض المعدية الاخرى في بلدان الشرق الاوسط لاسباب ذات صلة بمجموعات بشرية تعيش على ترب غرينية، او اراضي مستنقعات قرب البحر المتوسط، او قرب انهار معينة كالنيل او الفرات[4]. وعلى هذا الاساس، يُعتقد بان نسبة الوفيات في ولايتي بغداد والبصرة، اللتين تقعان على وادي دجلة والفرات، وعاطنين بترب

1 C. Macnamara, A History of Asiatic Cholera, (London: Macmillan and Co., 1876), P. 2.

2 Andrew Davidson, The Seasonal Fluctuation of Epidemic Diseases, "Public Health, the Journal of the Incorporated Society of Medical Officers of Health", Vol. IX (9): October, 1896 to September 1897, No. 10, (London: July, 1897), P. 230.

3 J. F. Payne, Vol. 1, P. 923.

4 Report on the Plague, "Provincial Medical & Surgical Journal", Vol. III, No. 15, (London: April 15, 1840), P.174.

sharif mahmoud

غرينية وجو رطب، كانت عرضة على نحو خاص[1]، نتيجة لانتشار اشد انواع الحميات[2].

لقد حظيت نظرية التربة هذه بثقة العالم الفرنسي ثولوزان التامة[3]. لذا لاغرابة ان اعلن ان جنوب العراق قد كان لقرون مضت منطقة لطاعون متوطن[4]. القيت وجهة نظر ثولوزان تلك دعما من قبل عالم الاوبئة البريطاني، جي. اف. بين، الذي على غرار ثولوزان، عزا الحدوث المتكرر للطاعون في اية بقعة الى بكتريا تكمن في التربة بشكل دائم، والى كائنات بشرية تكتسبها من خلال قنوات اتصال معينة. وهذا السبب، صنف العالم بين الطاعون على انه مرض تربة[5]. وخلاف لثولوزان وسانديه، فضل البروفيسور الالماني هيرش ان يربط الطاعون بنقص النظافة العامة اكثر من اية مميزات للتربة. لقد لاحظ هيرش ان تفشي الوباء على صلة وثيقة بالمؤثرات الضارة لنقص النظافة. كما بين هيرش ايضا، ان الطاعون كان في الغالب، واحيانا على نحو حصري، يهاجم الناس الاكثر فقرا[6]، حيث تدني النظافة بينهم وتفسحل.

على اي حال، لم يكن المناخ والتربة العنصرين الوحيدين اللذين مهدا الطريق لظهور الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. لقد اسهمت الكوارث الطبيعية، بضمن ذلك الفيضانات والمجاعات ايضا بشكل مؤثر في

1 "The Museum of Foreign Literature and Science", Vol. XX (20), (Philadelphia and New York: January 1832), P. 56.
2 "The Lancet", Vol. 2, For 1842-1843, (London: John Churchill, 1843), P. 314.
3 "Weekly Abstract of Sanitary Reports" (W. A. S. R لاحظ ايضا: استمرار لها). Vol. 5, No. 35, (Washington D. C: Government Printing Office, 1890), P. 386.
4 "The London Medical Record", Vol. III, February 17, 1875, P. 106.
5 Payne, P. 923.
6 Hirsch, Vol. 1, P. 522.

sharif mahmoud

انتشار الاوبئة والامراض في العراق اثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. لقد حفل هذان القرنان بالعديد من الكوارث الطبيعية التي جلبت وبشكل دوري النوائب والمحن لولايات العراق العثماني.

sharif mahmoud

الكوارث الطبيعية: الفيضانات والمجاعات

كان العراق طوال تاريخه الحديث عرضة للعديد من الفيضانات التي جلبت الأضرار الفادحة لمناطق واسعة من هذا البلد، وفاقمت خطورة الأوبئة والأمراض، واسهمت في انتشارها على نطاق واسع. ولتوضيح الأثر التدميري للفيضانات في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر، فانه من الضروري ان نعرف ان عشرين فيضانا قد غمرت بغداد من 1840 ولغاية 1907[1]. وغالبا ماكان الفيضان والطاعون يهاجمان في وقت متزامن، ناشرين الخراب في كل مكان. كان هذا التلاقي الفتح يتشكل في العادة في اواخر الربيع، الموسم المفضل لدى كل من الطاعون والفيضان ليستعرضا قوتهما التدميرية. حيث كان الاول يقتل الناس، بينما يغمر الآخر، مثلما يفعل موسميا في كل ربيع، الاراضي المأهولة بالسكان. فمثلا، عندما هاجم الطاعون بغداد وبعض المناطق الى الجنوب في السنوات 1822 و1831 و1870، فاضت مياه دجلة والفرات على نحو استثنائي، ملحقة الضرر بالمحاصيل الشتوية والصيفية، ومدمرة بيوت الناس الذين هربوا من الطاعون. وناشرة الوباء في العديد من مناطق المستنقعات الى الجنوب من بغداد. وكانموذج للتدمير المأساوي الذي تجلبه الكوارث الطبيعية وصلة ذلك بالأوبئة، فقد انهارت 700 دار على رؤوس ساكنيها خلال فيضان بغداد عام 1831، فيما دفن قرابة 15.000 بين انقاضها. وكان العديد منهم اما مرضى او

1 Issawi, P. 105.

sharif mahmoud

يحتضرون بسبب الطاعون[1]. لقد تحولت تلك الجثث المصابة بالطاعون الى عوامل جديدة لنقل الوباء ونشره في اماكن اخرى من بغداد.

وكان جرف القبور واجداث الموتى من المقابر وسائل اخرى اسهمت من خلالها الفيضانات بنشر الاوبئة. فمثلا، عندما غمر دجلة بغداد والبصواحي في عام 1894، اصبحت معظم المقابر تحت الماء، فبما طُرحت الجثث والاكفان خارجا، فكان ذلك فرصة جديدة لنشر الامراض المعدية[2]. ولاسيما الكوليرا التي كانت رائجة في العراق من مايس الى تشرين الثاني 1893[3].

وبسبب الصلة الوثيقة بين الطاعون والفيضانات في العراق، عد غالبية سكان بغداد وكذلك السلطات الصحية الفيضانات نذير شؤم لهم. لقد كان هناك اعتقاد سائد بينهم بان اي فيضان لابد ان يتلوه طاعون. ولذلك، فان معظم البغداديين عندما فاض دجلة في عام 1894، توقعوا ان وباءا مرعبا سوف يداهم مدينتهم في الموسم القادم[4].

من ناحية اخرى، تكمن العلاقة الاساسية الرابطة بين الكوليرا والفيضانات في العراق العثماني في ميل الكوليرا لان تحدث في دثارات او احواض الانهر وكذلك في المناطق التي يغمرها الفيضان[5]. فبعد كل فيضان كانت تخلع بغداد لبرك مياه راكدة. وكانت تلك البرك تسمم الهواء وتمهد الطريق

1 "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, (London: November 30, 1833), P. 459; Habib Chiha, Province de Bagdad (Caire: El-Maaref Press, 1908), P. 75; Issawi, P. 102.

2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 601.

3 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 33, August 17, 1894, P. 661.

4 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 601.

5 Charles Alexander Gordon, Notes on the Hygiene of Cholera for Ready Reference, (Madras: Guetz Brothers, 1877), PP. 26-27.

sharif mahmoud

لنشر الاوبئة والامراض[1]. وهكذا، فان كل فيضان جعل الانتشار الوبائي للكوليرا امرا محتملا، مثلما اشار الى ذلك فصل الولايات المتحدة في بغداد في مايس 1894[2]. وعانت البصرة وضواحيها خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر من المشكلة ذاتها. لقد اسهمت الفيضانات التي كانت تحدث عادة في المناطق المناخة للمدينة في بداية كل صيف بنشر امراض الملاريا والحمى النقطية[3].

اما بالنسبة للمجاعات، فلا لوحظ حدوثها باستمرار في تاريخ العراق الحديث. ان واحدة من الحقائق الثابتة وهي ان العراق بلد ذو موارد مائية هائلة، بضمن ذلك نهري دجلة والفرات، تجعل من الصعب ان تنسب المجاعات الى الجفاف. وفي الواقع، انه بالامكان نسبة اغلب المجاعات التي حدثت في العراق العثماني الى اربعة عوامل: الاول، الحصارات التي كان يفرضها الغزاة على المدن العراقية، كحصارعام 1733 الشهير، عندما طوقت القوات الايرانية بغداد، وعانى الناس، بسبب الشح الشديد في الغذاء، من مجاعة قاتلة ارغمت بعضهم على اكل اللحوم الفاسدة والمتعفنة للحيوانات الناقفة، مما سبب فيهم امراضا عديدة[4]. العامل الثاني، ان فيضانات نهري دجلة والفرات في الشهر آذار ونيسان وليس من كل عام، كانت تلحق دمارا بالمحاصيل الزراعية غير الناضجة[5]. هذا

1 Andrew Davidson, Geographical Pathology, P. 278; Issawi, P. 122.
2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 25, June 22, 1894, P. 439.
3 Evans, P. 190 .

4- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1: من بداية الحكم العثماني الى منتصف القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الارشاد، 1969)، ص ص111-113.

5 William Gordon East, The Geography Behind History, Reissued (New York: W. W. Norton & Company, 1999), PP. 133-134.

sharif mahmoud

يمكن ان نعطي مثلا من سنة 1831 الربعة. فعندما انتشر الطاعون في بغداد وضربت مياه دجلة الاراضي الزراعية، ضربت المجاعة المدينة نتيجة لتلف المحاصيل اثناء موسم الحصاد. لقد ضاعف هذا الحدث التأثير المدمر للطاعون، وجلب الفقر المدقع للسكان[1]. العامل الثالث، كان التقلبات المناخية العارضة. فمثلا، ان المجاعة التي حدثت في الموصل في عام 1756 قد جاءت في اعقاب موجة برد شديدة استثنائية[2]. اما العامل الرابع فيمكن ان يُعزى الى دور الحشرات التخريبي. لقد تغاضى الكثير من المؤرخين عن دور الجراد المدمر في تاريخ العراق العثماني. فمثلا، في المدة من 1725 الى 1878 أبتليت الموصل بست مجاعات، ثلاث منها، في الاعوام 1725، 1757، و 1829، مسببها هجمات لاسراب هائلة من الجراد حطمت المحاصيل اثناء مواسم الحصاد، مسببة مجاعات افنت اعدادا كبيرة من الناس واجبرت آخرين على ان يغادروا الولاية الى اماكن اخرى[3].

وتستند العلاقة الافتراضية التي تربط بين المجاعات والاوبئة في الحقيقة على الصلة القائمة بين هجرة ناس من بقعة جغرافية معينة ضربتها مجاعة، ووباء كانوا يحملون عدواه الى مناطق نظيفة من الداء. لقد حدث مثل ذلك في عام 1689، عندما تعرضت الموصل واجزاء اخرى من العراق لمجاعة شديدة اجبرت الناس على ان يهربوا من الفاجعة ويتدفقوا على بغداد، جالبين عدوى الطاعون

---

1 "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, p. 460.

2 صالح، ص290

3 المصدر نفسه، ص ص272، 303، 314-315؛ Rev. Horatio Southgate, Narrative of A Tour Through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia, Vol. 2, (New York: D. Appleton & Co., 1840), P. 240.

sharif mahmoud

معهم[1]. وهكذا يتضح ان الفيضانات والمجاعات، بالاضافة الى دورها التقليدي في تدمير مختلف اشكال الحياة في العراق، اشتملت ايضا على سمات سلبية اخرى، وبالتحديد تلك التي على صلة وثيقة بالاوبئة. ومن المؤكد ان هكذا سمات قد ادت الى توسيع نطاق الاوبئة وتفاقم تداعياتها على الصحة العامة في العراق طوال العهد العثماني المتأخر.

1. Issawi, P. 99.

sharif mahmoud

المستويات المتدنية للنظافة والصحة العامة

عانت اغلب المدن والبلدات والقرى العراقية اثناء الفترات العثمانية الأخيرة من نقص النظافة والاوضاع السيئة للصحة العامة، ممهدة بذلك الطريق لانتشار الامراض والاوبئة المختلفة. وقد اشار المجلس الصحي في استانبول في تقريره بشأن تفشي الكوليرا في العراق في عام 1881، بأن غالبية سكان العراق كانوا يعيشون في اكواخ من الطين محاطة بكل انواع القاذورات[1]. ووصفت مجلة طبية امريكية مدن وبلدات العراق في السنة ذاتها، بانها "مدرة بشكل لايتصوره عقل امريكي او اوربي لم يسبق له ان زار بلاد الشرق؛ فهناك نقص تام في التدبير والاعتراف باي شيء يمثل النظافة او التحوطات الصحية"[2]. واوضح آر. بومان، الجراح الملحق بالمفيسية البريطانية في العراق، في مذكرته المؤرخة في 20 كانون الثاني 1890، ان قذارة اغلب بيوت بغداد، ومياهها غير الصالحة للشرب، وعوامل صحية اخرى، جعلت هذه المدينة مرتعا مزدهرا لاي وباء قد يزورها[3]. اما البصرة فقد وصفها رحالة بريطاني زار المدينة في عام 1824، بالقول: انها "المدينة الاقذر في الممتلكات التركية، وان شوارعها لم تكن تطاق بسبب الروائح النتنة"[4]. وكانت الاوضاع الصحية للقرى العراقية في غضون المدة ذاتها اسوأ بكثير من تلك التي في البلدات الصغيرة. لقد كانت معظم اكواخ هذه

1 "B. M. J", Vol. 1, No. 1038, (London: April 9, 1881), P. 560.

2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, (St. Louis, Mo.: Jas. H. chambers & Co., 1881), P. 508.

3 "B. M. J", Vol. 1, No. 1531, (London: May 3, 1890), P. 1031.

4 George Keppel, Personal Narrative of A Journey from India to England in the Year 1824, (Philadelphia: Carey, Lea & Carey, 1827), P. 49.

sharif mahmoud

القرى فدرة ولعج باعداد كبيرة من البراغيث، الوكلاء الفاعلين في نقل ونشر عدوى الطاعون الذي كان يتفشى باستمرار في العراق[1].

وفي ظل غياب خدمات بلدية، افتقرت المدن العراقية للطاقة والجهود للحفاظ على الصحة العامة على سبيل المثال، أسست البلدية الأولى في بغداد في عام 1868. وركزت بعض واجبات مجلس بغداد البلدي، الذي تأسس في وقت لاحق، على نظافة المدينة ولاسيما اماكنها العامة، وعلى مراقبة الأوضاع الصحية[2]. لكن بقيت الخدمات البلدية في بغداد محدودة بشكل عام، ولم ينخفض عدد منظفي الشوارع (الكناسين)، الذين تم توزيعهم في عام 1868على اماكن مختلفة من المدينة، الثلاثين فردا[3]. وخلال حكم الوالي مدحت باشا (1869-1872)، أتخذت اجراءات اصلاحية معينة، مثل تجفيف مناطق المستنقعات حول بغداد التي كانت تسبب الحميّات، واقامة مؤسسات بلدية للاسارة والشرب في المراكز الرئيسية[4]، واستخدام العربات في جمع النفايات من احياء بغداد ونقلها خارج المدينة[5]. وقد اتبع الولاة العثمانيون الآخرون لبغداد اجراءات مدحت باشا الاصلاحية، في محاولة منهم لتحسين النظافة ورفع مستويات الصحة العامة في بغداد والمدن الاخرى. وكان احد ابرز هؤلاء الوالي ناظم باشا (1910-

1 E. H. Hankin, On the Epidemiology of Plague, "The Journal of Hygiene", Vol. 5, No.1, (Cambridge: January 1905), P. 49.

2 جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد 1869-1917، الطبعة الاولى، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991)، ص ص255، 260

3 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 72.

4 Ali Haydar Midhat Bey, The Life of Midhat Pasha, (London: John Murray, 1903), PP. 51-52.

5 عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة 1869-1917، الطبعة الثانية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1999)، ص187

sharif mahmoud

1911)، الذي منع البغداديين من القاء النفايات في الشوارع وامر بردم الخنادق المحيطة ببغداد التي كانت مصدرا للقذارة والجراثيم[1].

بالاضافة الى مشكلة النظافة، مثلت المياه الملوثة التي كان يستخدمها الاهالي للشرب احد التحديات الخطيرة الاخرى للصحة العامة في المدن العراقية اثناء الحكم العثماني. ففي هذا الصدد، كتب قنصل الولايات المتحدة في العراق، جون ساندبرغ، في 18 مايس 1893 بشأن الاوضاع الصحية في بغداد، مشيرا الى ان المياه المستخدمة محليا كانت تؤخذ من مكان على دجلة، حيث خانات الحمير والرجال يتبولون ويتغوطون كل يوم. ان قطعا صلبة من البراز كانت تُنقل في الغالب الى البيوت في الماء، مثلما ذكر القنصل[2]. وقد تطرق ساندبرغ مرة اخرى لقضية المياه الملوثة في بغداد في تقريره المعنون رسالة من بغداد المنشور في عام 1894. لقد انتقد ساندبرغ بشدة سلطات بغداد العثمانية لفشلها في تزويد اهالي المدينة بالماء الصالح للشرب، واصفا الوضع الذي كان يُجلب منه الماء الى بغداد بانه بقعة القذارة التراكمة لعصور. وأن رؤيته تكفي لاعطاء المرء رهاب مائي، مثلما صور ساندبرغ الوضع على نحو ساخر[3]. بالاضافة الى ذلك، كانت مياه دجلة في بغداد عرضة للتلوث البشي. فطالما كانت الماشية الناقلة تطفو فيها باستمرار مفسدة الفواء والماء معا[4]. وعانى مواطنو مدينة الموصل المشكلة ذاتها.

---

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص175.

2 (W. A. S. R), Vol. 8, No. 25, June 23, 1893, PP. 499-500.

3 John C. Sandberg, A Letter from Bagdad, "The Annals of Hygiene", Vol. IX (9), No. 11, (Philadelphia: November 1894), P. 648.

4 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 38, September 21, 1894, PP. 626.

sharif mahmoud

فقد كانت المياه غير الصالحة للشرب تجلب لهم بحاويات من الجلد (قربة) على ظهور الحيوانات من المياه المرحلة في دجلة[1].

ولتجنب الامراض والاوبئة الناجمة عن المياه الملوثة، انشأ والي بغداد، سري باشا (1888-1891)، في عام 1889 حوضا كبيرا للماء قرب محلة الفضل لتزويد اهالي المدينة بالماء الصالحة للشرب. ونُصبت في بغداد في عام 1907 اثناء عهد الوالي حازم باشا (1907-1908)، سفحة على ضفة نهر دجلة قرب محلة الميدان لتجهيز بيوت بغداد بالماء. واثلجت هذه الاجراءات ترحيبا حارا من اهالي المدينة[2].

وبالرغم من الجهود الاصلاحية المذكورة سابقا، فان المستوى الثقافي للنظافة والصحة العامة في العراق عموما قد تواصل لغاية السنة الاخيرة من الحكم العثماني. فاستنادا لتقرير تم اعداده في عام 1918 من قبل خبراء صحيين واكاديميين من جنسيات مختلفة بشأن الاوضاع الصحية في بعض المناطق العثمانية، فان طرق التخلص من مياه الصرف الصحي في العراق كانت هزيلة للغاية، ولاتفي متطلبات الصحة العامة. وبالنسبة لتجهيز المياه، اوضح التقرير انه لم تكن هناك مدينة او بلدة في العراق لديها نظام مياه تحت مراقبة وتوجيه الحكومة[3].

---

1 "Memoir of Rev. Henry Lobdell, M.D., Late Missionary of the American Board at Mosul: Including the Early History of the Assyrian Mission", Edited by Rev. W. S. Tyler, (Boston: The American Tract Society, 1859), P. 171.

2 العلاف، مر ص ص 75-77.

3 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall, (New York: 1918), PP. 68, 70.

sharif mahmoud

في الواقع، انه لغاية الايام الاخيرة للعثمانيين، كان اداء السلطات الصحية المحلية في العراق، خصوصا ما يتعلق بالنظافة والصحة العامة، قاصرا الى حد كبير، مما ساعد على انتشار الاوبئة القاتلة في كل اجزاء البلاد وبين شرائح المجتمع، ولاسيما الفقراء الذين كانوا في الغالب الفئة الاكثر ابتلاءا بالهجمات الوبائية.

sharif mahmoud

الفقر وتدني المستوى المعاشي للسكان

تظهر كثرة من الادلة ان الفقر والفقر والسكن غير الصحي وسوء التغذية قد اوجدت الظروف التي ادت الى انتشار الاوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر. وللحقيقة، فان كل هذه الظروف كانت موجودة في بغداد ومدن وبلدات عراقية اخرى، حيث احتشد فقراء الاحياء الضيقة (الدرابين) في غرف صغيرة او بيوت وصفت من قبل رحالة عربي زار بغداد في عام 1887، بانها أقفاص دجاج. وهذا التحشد السكاني ناجم عن ميل الفقراء والقرويين المضطهدين للهجرة الى البلدات والمدن، املا في الحصول على عمل وتحسين مستويات معيشتهم[1].

ان الفقر والفاقة بدية اكثر سوءا في مستوياتهما في ضواحي بغداد والمناطق التي تقع الى الجنوب منها، حيث كان الرجال والنساء والخيول والحمير والجواميس، الخ، ينامون سوية تحت خيم وفي اكواخ مغطاة بسعف النخيل. ان هذه المخلوقات التعيسة تعيش بشكل كامل على الشعير والرز والتمور والأسماك المتعفنة، على حد وصف مراسل فرنسي[2]. ونتيجة للفقر المدقع، فأن غالبية سكان هذه المناطق مارسوا من الاعمال والمهن ما هو ادناها واكثرها خطرا على الصحة. فمثلا، اوضح نائب القنصل الامريكي في بغداد في برقية مرسلة الى وزارة الخارجية الامريكية بتأريخ كانون الثاني 1904، ان الناس

1. البيرون الفارمي، نزهة الصباح في مدينة بغداد، (بيروت: المطبعة اللبنانية، 1887)، ص ص51-52؛
"Health and Sanitary Conditions in Turkey", PP. 70-71.

2. "B. M. J", Vol. 2, No. 936, (London: December 7, 1878), P. 848.

sharif mahmoud

الفقراء في بغداد واماكن اخرى كانوا يعملون لمصلحة تجار محليين في جمع براز الكلاب من الشوارع، حيث يُصدّر الى الولايات المتحدة لاستخدامه لاحقا كسماد. واضاف نائب القنصل ان مئات من جامعي براز الكلاب قد لقوا حتفهم بعدما اصيبوا بالكوليرا[1]. ان المستوى المعاشي المتدني للفقراء وتكدسهم في احياء تفتقر النظافة والهواء النقي، الضروريان لتقليل خطر العدوى الوبائية، قد ضمن بان تلك البقع المكانية ستكون الاولى التي قد يضربها الطاعون[2].

وللاسباب المذكورة سابقا ذاتها، كان فقراء الموصل عرضة لامراض مختلفة، كما ذكر رحالة اجنبي زار المدينة في عام 1852[3]. ان الصلة الوثيقة بين الفقر والاوبئة يُمكن رؤيتها ايضا في الحلة. ففي عام 1877، كانت بيوت هذه المدينة منخفضة، ومحصورة في نطاق ضيق، وتهويتها سيئة جدا. واكثر من ذلك، كان سكان الحلة يحتفظون بحيوانهم ودواجنهم وجواميسهم في بيوتهم. لقد كانت هذه الحيوانات المصدر الرئيسي لمعيشة الفئات الفقيرة، اذ كانوا يبيعون الحليب والبيض الى الاغنياء لكي يوفروا غذاءهم الذي يتكون في العادة من خبز الشعير

1 "American National Archives", (A.N.A. استشير فيما بعد), Dispatches from United States Consuls in Baghdad 1888-1906, Micro-Copy No. T-509, Roll. 2, Vol. 2, January 11, 1900- July 23, 1906, (Washington: The National Archives and Records Service, 1963), Serial number in micro-film roll: 474-477, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad, To Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Dispatch No. 219, dated December 8, 1904.

2 Grattan Geary, Through Asiatic Turkey: Narrative of A Journey from Bombay to the Bosphorus, Vol. 1, (London: Sampson Low, Marston, Searle & Rivington, 1878), PP. 131-132.

3 Lobdell, P. 174.

sharif mahmoud

والتمور والبصل واحيانا اسماك متعفنة. وغلاء الاسباب وغيرها، عانت الخلية من هجمات متكررة للطاعون[1].

وبسبب ان الفقراء طوال التاريخ البشري وفي كل مكان كانوا الاكثر المتأثرين بالطاعون، وصف هذا الوباء بانه "مرض الرجل الفقير الذي لم يذهب قط الى الطابق العلوي"[2]، في اشارة الى الاغنياء. وفي احدى تقاريره التي قُدمت الى هيئة الصحة في استانبول في السنة 1878-1879، وصف الدكتور كاياديس، الذي خدم في العراق العثماني، الطاعون بانه "داء التعساء او "طاعون الفقراء"[3]. فمن خلال تجربته مع الهجمات الوبائية للطاعون، وجد دكتور كاياديس انه من النادر ان ادخر الطاعون حياة الفقراء، بينما هو قلّما هاجم الاغنياء. وخلاف الطاعون، بدت الكوليرا اقل تمييزا في هجماتها القاتلة. فبالرغم من انها كانت تُفضل الفقراء، إلا أنها لم تدّخر حياة الأغنياء[4]. على اي حال، لقد كان الطاعون قاتلا غير رحيم للفقراء، لان القذارة والجهل ازدهرا بينهم، وادّخر حياة الاغنياء في اغلب الاحيان، لان وسائل النظافة والوعي الصحي توفرت لديهم.

1 E. D. Dickson, Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, "The Medical Times and Gazette. A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1: For 1879, (London: J. A. Churchill, 1879), P. 254.

2 Robert Lawson, The Milroy Lectures on Epidemics Influences on the Epidemiological Aspects of Cholera, (London: J. & A. Churchill, 1888), P. 80.

3 "The Journal of the American Medical Association" Vol. XXII (22), No. 25, (Chicago: June 23, 1894), P. 900.

4 Dickson, Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, P. 254.

sharif mahmoud

وتتجلى اوضح صورة للسلوك التمييزي للطاعون من خلال الهجمات التي شنها ضد بغداد في العام 1876. في ذلك الوقت، هاجم الطاعون الفقراء بشكل محدد. لقد لاحظ الجراح البريطاني كولفيل يوصذاك انه ولا حتى واحد بالمائة من هؤلاء الذين هاجمهم الطاعون كانوا يعيشون في البيوتات الراقية للمجتمع البغدادي[1]. وبذلك اثبت الطاعون انه كان داءا ليبراليا، يحابي الفئات العليا ويتاوئ الفئات الدنيا من المجتمع.

مما لاشك فيه، ان المستويات المتدنية للمعيشة في العراق في تلك المدة قد ضاعفت من نسب الوفيات، ولاسيما بين الفقراء من سكان المدن والقصبات والارياف. فضلا عن ذلك، فان عدم كفاءة المؤسسات الصحية ونقص الكادر الطبي المتمرس قد اسهما ايضا الى حد كبير في تفاقم الموجات الوبائية التي كانت تكتسح العراق من حين لآخر في اواخر العهد العثماني.

1 Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1870-1877, "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: George E. Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 41.

sharif mahmoud

نقص وعدم كفاءة المؤسسات الصحية والملاك الصحي

كانت ولايات العراق الثلاث تحت الحكم العثماني تفتقر الى مؤسسات صحية متطورة، وخصوصا المستشفيات. لقد كان بامكان هكذا مؤسسات ان تؤدي دورا فاعلا في تقليص الامراض والهجمات الوبائية التي كانت تستهدف سكان العراق من حين لآخر. ولم يكن في بغداد ومناطق اخرى لغاية نهاية الحكم العثماني في عام 1918، سوى عدد محدود من المستشفيات القديمة الطراز التي لم تعد تتماشى يومذاك مع التطورات العالمية التي حدثت في المجال الصحي اثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وقد أسس الوالي مدحت باشا المستشفى المدني الاول في العراق وافتتحه في عام 1872. وكان هذا المستشفى في الواقع اقرب الى دار عجزة منه الى مستشفى، وكان قد خصص اصلا للاشخاص المسنين الذين لم يكن لديهم اقرباء يقدمون لهم الرعاية المطلوبة. ولهذا السبب، أطلق عليه اسم "مستشفى الغرباء"[1]، او "مستشفى الفقراء"[2]. وبعدما غادر مدحت باشا بغداد، أهمل هذا المستشفى، رغم ان جهودا عديدة بذلت لتجديده. وتأسس مستشفى مدني آخر في بغداد في عام 1901 اثناء عهد الوالي ناظم باشا الصغير (1899-1902)، ولم تجهيزه

---

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250.

2 "Bedlerone Yeni Türkçe - İngilizce Sözlük", Altınay Banks, Gazetesi: Ahmet zzit Matbaası, 1933), P. 436.

sharif mahmoud

بادوات جراحية ومعدات طبية أستوردت من اوربا[1]. بالاضافة لهذين المستشفيين المدنيين، أنشأ مستشفى عسكري في بغداد اثناء عهد الوالي مدحت باشا، باسم مستشفى بغداد العسكري. وفي عام 1907، اقترح الدكتور كايادس بيان تحول الحكومة العثمانية المستشفى العسكري الى آخر مدني لكي ينتفع من خدماته اهالي بغداد[2]، لكن فيما يبدو ان الحكومة المحلية لم تستجب لمقترحه، فواصل المستشفى العسكري عمله لغاية السنوات الاخيرة للحكم العثماني[3].

وبغض النظر عن العدد القليل لهذه المستشفيات، كانت كوادرها وخدماتها محدودة للغاية. فمثلا، لم يتجاوز الملاك العامل في مستشفى الغرباء منذ تأسيسه في عام 1872 ولغاية 1913، الاعداد الآتية: طبيب واحد، وجراح واحد، وصيدلين واحيانا واحد، وطبيب عيون واحد، وقابلتين واحيانا واحدة (انظر جدول-4). اما بالنسبة لمستشفى بغداد العسكري، فعلى الرغم من ان عدد العاملين فيه كان اكبر من مستشفى الغرباء، الا ان خدماته كانت تُقدم حصريا للقطعات العثمانية المرابطة في بغداد، ونادرا ما استفاد المدنيون من خدماته (انظر: جدول-5).

---

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250-252؛ الجار، ص ص446-447.

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 341.

3 "Osmanlı Vilayet Sıhhıyelerinde Bağdat", P. 238.

sharif mahmoud

جدول-4 (العاملون في مستشفى الغرباء في بغداد للمدة 1876-1913)[1]

الفترة	1876-1887	1890-1900	1897-1898	1899	1903
مدير	1	1	1	1	1
طبيب	1	-	-	-	-
جراح	1	1	1	1	1
صيدلي ومساعد صيدلي	1	1	2	1	2
شيب جيود	-	-	-	-	-
مشغل	-	-	-	-	-
مأمور تعليم	-	-	1	1	
موزع الادوية	-	-	-	-	-
ثلاجة	1	1	2	2	2
مطبخ خدمات	-	1	1	1	1
كاتب	1	-	-	-	-
ممرض	-	-	-	-	-
امام صلاة	1	-	-	-	-
حامل خدمة	-	5	5	6	6

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 237-238 :بيانات الجدول مستمدة من

sharif mahmoud

حامل خدمة								
امام صلاة	-	-	-	-	-	-	-	-
ممرض	-	-	-	-	-	-	-	-
كاتب	-	-	-	-	-	-	-	-
مضيف خدمات	-	-	-	-	-	-	-	-
ثلاثة	-	-	-	-	-	-	-	-
موزع ادوية	-	-	-	-	-	-	-	-
مأمور تطعيم	-	-	-	-	-	-	-	-
مشغل	-	-	-	-	-	-	-	-
طبيب عيون	-	-	-	-	-	-	-	-
صيدلي ومساعد صيدلي	2	2	2	2	2	2	2	2
جراح	-	-	-	-	-	-	-	-
طبيب	-	-	-	-	-	-	-	-
مدير	1	2	2	2	2	2	2	2
الفترة	1901-1902	1903	1905	1907	1908	1909	1912	1913

sharif mahmoud

جدول-5 العاملون في مستشفى بغداد العسكري للمدة 1893-1909[1]

السنة	مدير	طبيب	جراح	صيدلي	طبيب مجود	مراقب مرضى	مضمد خدمات	كاتب	مراقب ملابس	امام صلاة	عرض	فاعل خدمة
1893	1	5	4	4	-	1	1	2	1	1	-	44
1896-1894	1	7	4	4	-	1	1	2	1	1	-	43
1898-1897	1	4	3	3	-	1	1	2	1	1	-	43
1899	1	3	4	3	-	1	1	2	1	1	-	43
1900	1	27	4	3	-	1	1	2	1	1	-	77
1902-1901	1	5	4	2	-	1	1	2	-	1	-	77
1903	1	6	6	3	-	1	1	2	1	1	6	101
1905	1	5	4	3	-	1	1	2	1	1	4	58
1907	1	5	4	5	-	1	1	2	1	1	4	58
1908	1	5	2	4	1	1	1	2	1	-	3	29
1909	1	14	2	5	1	1	1	1	1	-	2	151

وبالاخذ في الحسبان العدد الاجمالي لسكان بغداد والمدن والمناطق العراقية الاخرى، فقد كان هناك عدم تكافؤ كبير جدا بين عدد السكان والمؤسسات الصحية العثمانية في العراق. ففي كل مدينة وبلدة لم يكن عدد الكادر الصحي، كالاطباء والجراحين والصيادلة، الخ، يتناسب على الاطلاق مع الاعداد الكبيرة

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 238-239 : بيانات الجدول مستمدة من

sharif mahmoud

للمواطنين. فمثلاً، قُدر عدد سكان بغداد في عام 1899 بما يقرب من 67.782 نسمة[1]. ولما كانت هناك في بغداد ثلاث بلديات موزعة على مناطق مختلفة من المدينة، ولدى فقط اثنين منها اطباء اطبيين لكل واحدة[2]، فأن النصيب المقدر لنسبة الاطباء الى عدد السكان كان طبيب واحد لكل 16.945 شخصا. ولم يكن في كربلاء، التي قُدر عدد نفوسها في عام 1899 بما يقرب من 11.368 نسمة، سوى طبيب واحد ملحق بمجلسها البلدي[3]. ولم يكن في الحلة، التي قُدر عدد سكانها عام 1899 نحو 26.318 نسمة، سوى طبيب واحد وصيدلي واحد[4]. اما قضاء الديلم، الذي امتد من ضواحي بغداد الى الحدود السورية، فلم يُلحق بمجلسه البلدي اي طبيب او جراح او صيدلي، او حتى موظف صحي حكومي، وبقي القضاء محروما من اية خدمات صحية طوال العهد العثماني المتأخر[5].

ومثلما هو الحال في بغداد، كان عدد المؤسسات الصحية في ولاية الموصل محدودا للغاية. ففي مدينة الموصل، اشتملت هذه المؤسسات في الفترة من 1891 الى 1912، على مستشفى واحد، ومن خمس الى سبع صيدليات؛ وفي كركوك، في المدة من 1895 الى 1912، كان هناك مستشفى واحد، ومن صيدلية الى صيدليتين؛ وفي السليمانية للمدة من 1907 الى 1912، كان هناك مستشفى واحد (انظر: جدول -6).

---

1. "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 365.
2. سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، 1315-1316 رومي/ 1899 -1900 ميلادي)، ص ص 163-164.
3. سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15: 1899-1900، ص ص302-304، 240.
4. المصدر نفسه، ص ص260-261.
5. المصدر نفسه، ص ص126-131.

sharif mahmoud

جدول-6 المؤسسات الصحية في ولاية الموصل 1891-1912[1]

المنطقة	السنة	المستشفيات	الصيدليات
الموصل	1891	1	6
الموصل	1893	1	6
الموصل	1895	-	6
الموصل	1907	-	5
الموصل	1912	1	7
كركوك	1895	1	1
كركوك	1907	1	2
كركوك	1912	1	-
السليمانية	1907	1	-
السليمانية	1912	1	-

بالاضافة الى ذلك، عانت ولاية الموصل طوال العهد العثماني من نقص شديد في عدد العاملين في القطاع الصحي. وقد شكا الموصليون كثيرا من الامراض ونقص الاطباء الجاد بينهم. لاغرو واخال كذلك ان وصفهم رحالة زار مدينتهم في عام 1893، بانهم كانوا أناسا متعطشين لوجود طبيب بينهم.

1. بيانات الجدول مستمدة من:
"Osmanli Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 153-154,175-176, 206

sharif mahmoud

تماما كحال شخص متعطش للماء بعد اصابته الشديدة بالحمّى[1]. ولم يُسد هذا النقص، ولو جزئيا، الا في عام 1912. ففي تلك السنة، ضم مجلس بلدية الموصل، التي كانت يومذاك مدينة بعدد نفوس يربو على 39.361 نسمة، طبيب واحد، وقابلتين، وممرض واحد[2].

وانظرت البصرة ايضا الى نطاق واسع من الخدمات الصحية والملاك الطبي المتوسر. وطبقا لسالنامات ولاية البصرة العثمانية، كان هناك في البصرة في عام 1896 مستشفى باسم"مستشفى الغرباء". لقد ضمت قائمة ملاكه الاعداد الصغيرة الآتية: مدير مستشفى واحد، وطبيب واحد، وممرض واحد، وخمسة عمال خدمة[3]. وبسبب نقص الكادر الطبي في البصرة، ارسل واليها العثماني برقية الى الحكومة المركزية في استانبول بتاريخ 30 كانون الثاني 1897، شكا فيها من ان المدينة ليس لديها سوى طبيب واحد، فيما تفتقر بقية مناطق الولاية بالكامل الى اي نوع من الخدمات الطبية[4].

وخلال المدة بين 1890 و1902، كان المجلس البلدي للبصرة يضم طبيبا واحدا وصيدليا واحدا[5]. وفي مقابل هذا العدد المحدود للكادر الصحي في البصرة، كانت اعداد السكان في تزايد متواصل. فقد بلغ العدد الكلي لسكان

1 "Travels of Mirza Abu Taleb Khan in Asia, Africa, and Europe During the Years 1799, 1800, 1801, 1802, and 1803". Translated by Charles Stewart, Vol. III, 2nd Edition, (London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown, 1814), P. 124.

2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 217, 353.

3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 75.

4 "Public Health Reports", (P.H.R.)منشور فيما بعد, Vol. 12, No. 11, (Washington D.C: Government Printing Office, 1897), P. 261.

5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 74.

sharif mahmoud

ولاية البصرة في عام 1899، بضمن ذلك لحد، نحو 935.201 نسمة، بينما قُدر عدد سكان مدينة البصرة وحدها في عام 1890، بنحو 10.756 نسمة[1]. اذن، كتقدير نسبة الاطباء الى السكان، كان هناك طبيب واحد لكل 467.000 شخص في ولاية البصرة، فيما كان هناك طبيب واحد لكل 5.378 شخص في مدينة البصرة. ولاحظ طبيب بريطاني زار البصرة في عام 1903 حدوث زيادة طفيفة في عدد الاطباء، حيث اشار الى وجود ستة او سبعة اطباء أُلحقوا رسميا بالمدينة[2]. ومع ذلك، بقيت الفوة واسعة الى حد كبير بين عدد سكان ولاية البصرة والخدمات الصحية، سواء من حيث المستشفيات او الملاك الطبي.

في بلد متخلف كالعراق العثماني، فان عدم كفاءة الملاك الطبي قد اعطت انموذجها ايضا. لانفرد اذن حين نعرف ان المدير والجراح في مستشفى الغرباء في بغداد في عام 1899، كان، لبعض الوقت، اسطى عباس آغا[3]، الذي لم يكن طبيبا وفق المعايير الاكاديمية والعلمية المألوفة. ان عدم الكفاءة، على اي حال، انعكس بالاداء الضعيف المستوى في مجالات التشخيص والعلاج ووصفات الدواء. ففي عام 1874، مثلا، كان عملاج كثيرة من الناس يتم على ايدي ممارسين لديهم معلومات قديمة وهزيلة في علم الامراض[4]. ولم يكن بمقدور بعض الاطباء في بغداد لغاية عام 1876 ان يُميزوا بين الطاعون وبعض امراض الحميات. وكان احد هؤلاء الاطباء يعالج كل حالات الطاعون والحميات بمادة الكينين. وحين تبدأ دمامل الطاعون بالظهور لاحقا، فان هذا الطبيب يعتبر

1. "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", PP. 109, 110.
2. (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 762.
3. سالنامة ولاية بغداد لسنة 15: 1899-1900، ص 164.
4. Evatt. P. 197.

sharif mahmoud

الحالة خارج امكانية العلاج[1]. وكان الاطباء في العادة يتخلون عن الحالة المرضية للشخص المصاب بالطاعون عندما لاتثبت العلاجات جدواها[2]. وبوجه عام، فان نقص وعدم كفاءة المؤسسات والملاك الصحي والطبي قد اسهم بدرجة كبيرة في انتشار الامراض والاوبئة في العراق العثماني. وبالتأكيد ان مثل تلك التقصيرات الصحية والطبية قد تفاقمت بسبب الفوضى وعدم الاستقرار الذي اتسمت به الحياة السياسية في البلاد لفترات طويلة من الزمن.

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 936, December 7, 1878, P. 848.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 813, July 15, 1876, P. 83.

sharif mahmoud

عدم الاستقرار السياسي وسوء الادارة

يعد الاستقرار السياسي حجر الزاوية لبرامج ومشاريع الصحة العامة في اي بلد. ومن هنا، فان عدم الاستقرار السياسي في العراق العثماني قد عرقل الى حد كبير تطور وتقدم قطاع الصحة فيه. ان المظهر الابرز لعدم الاستقرار هذا كان التبدلات السريعة لولاة العراق العثمانيين. لقد عزيت هذه التبدلات الى اسباب عدة، بضمنها، المؤامرات بين الولاة انفسهم؛ وشكاوى الناس من ظلمهم؛ ورغبة الحكومة المركزية في استانبول بانهاء خدماتهم سريعا، كأجراء وقائي ضد مساعي محتملة لديهم للاستقلال الذاتي. ولفهم ابعاد هذه المسألة بوضوح، فأنه من الضروري ان نشير الى ان ولاية بغداد، كانموذج، حكمها واحد وثلاثون واليا للمدة من 1830 الى 1910. حكم واحد منهم فقط لمدة اربعة عشر عاما، وحكم عشرة ولاة آخرين لمدة تتراوح بين سبع سنوات وسنتين، ولم تتجاوز فترات حكم احد عشر واليا العام الواحد، فيما حكم تسعة ولاة آخرين لمدة اقل من عام. ومن الجدير بالاشارة هنا، ان احد الولاة من المجموعة الاخيرة حكم اكثر من شهر بقليل!

sharif mahmoud

جدول-7 (دورة حكم ولاة بغداد العثمانيين للمدة من 1830-1910)[1]

السنة			مدة دورة الحكم		
تقويم رومي	تقويم ميلادي	اسم الوالي	سنة	شهر	يوم
1246	1830	لاز علي رضا باشا	13	-	-
1258	1842	محمد نجيب باشا	6	-	-
1264	1848	عبد الكريم نادر باشا	1	6	-
1266	1850	وجيهي باشا	-	1	5
1267	1851	محمد نامق باشا (دورة اولى)	-	9	5
1268	1852	محمد رشيد باشا	5	-	17
1273	1857	اكرم عمر باشا	1	4	-
1275	1859	مصطفى نوري باشا	1	4	-
1277	1861	احمد توفيق باشا	-	6	22
1277	1861	محمد نامق باشا (دورة ثانية)	7	6	-

1 بيانات الجدول مستمدة من: سالنامة ولاية بغداد، طبعة 22، (بغداد: مطبعة الحكومة، 1329 رومي/ 1913 ميلادي)، ص ص 307-309؛ الدباغ، ص ص31-32؛ العلاف، ص ص265-266

sharif mahmoud

السنة			مدة دورة الحكم		
التقويم رومي	التقويم ميلادي	اسم الوالي	سنة	شهر	يوم
1284	1868	تقي الدين باشا (دورة اول)	1	-	-
1285	1869	احمد مدحت باشا	3	-	21
1288	1872	محمد رؤوف باشا	1	-	-
1289	1873	رديف باشا	1	11	15
1291	1875	عبد الرحمن باشا (دورة اول)	1	7	23
1293	1877	عاكف باشا	-	9	5
1294	1878	قدري باشا	-	8	9
1294	1878	عبد الرحمن باشا (دورة ثانية)	1	10	29
1296	1880	تقي الدين باشا (دورة ثانية)	6	2	19
1303	1887	مصطفى عاصم باشا	2	8	16
1305	1889	سري باشا	1	6	21
1307	1891	حجي حسن رفيق باشا	4	10	4
1312	1896	عطا الله باشا	2	10	22
1315	1899	نامق باشا (الصغير)	3	3	13

sharif mahmoud

السنة		اسم الوالي	مدة دورة الحكم		
التقويم رومي	التقويم ميلادي		سنة	شهر	يوم
1318	1902	احمد فيضي باشا (وكيل والي)	2	1	29
1320	1904	عبد الوهاب باشا	-	11	18
1321	1904	مجيد بك	1	1	16
1322	1906	حازم بك	1	-	-
1324	1908	محيي الدين بك	-	3	28
1325	1909	شوكت باشا	-	8	26
1326	1910	حسين ناظم باشا	-	10	11

وحكم ولاية الموصل خلال المدة من 1850 الى 1908 اثنان واربعون والياً، حكم اثنان منهم من سبع الى ثمان سنوات، وستة ولاة آخرين من اربع الى ست سنوات، واثنا عشر والياً من سنة الى سنتين، بينما حكم اثنان وعشرون والياً لمدد اقل من سنة. وفي الواقع، ان ثلاثة ولاة من المجموعة الاخيرة بقوا في الحكم لاقل من شهرين![1] ويمكن ملاحظة هذه التبدلات السريعة في دورة الحكم في ولاية البصرة ايضا. ففي المدة من 1890 الى 1902، كان هنالك اربعة ولاة في البصرة. بقي احدهم في المنصب لمدة ست سنوات، والآخر لسنتين،

1 "Osmanh Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 227-228.

sharif mahmoud

والاثنان الاخران لمدة سنة واحدا[1]. اذن كان من الصعب جدا، بل حتى من المستحيل احيانا، ان يثق بعض هؤلاء الولاة برايهم الاصلاحية. ولذلك، ترك اغلبهم بصمة خفيفة على الحياة في ولايات العراق العثماني ثم اختفى سريعا.

وكانت التمردات القبلية في العراق خلال الحكم العثماني مظهرا آخرا لعدم الاستقرار السياسي وسوء الادارة المحلية. لقد اظهرت القبائل العربية في العراق، المضطربة والميالة للاستقلال بطبيعتها على الدوام، مقاومة للتجنيد الالزامي ولدفع الضرائب. وقد اندلعت في المدة من 1858 الى 1871 خمسة تمردات قبلية في الفرات الاوسط، والناصرية، وبغداد والموصل. كان اثنان منها ضد التجنيد الالزامي، وواحد ضد الضرائب، واثنان آخران بدوافع ذات صلة بالتناقض السياسي[2]. وقد اقلقت والي بغداد مدحت باشا (1869-1872) اجراءات عسكرية صارمة لقمع التمردات القبلية بالقوة[3]. ومع ان مساعي مدحت باشا حققت نجاحا مؤقتا، لكنها اهملت معالجة الدوافع الحقيقية للتمردات. لذلك سرعان ما أستؤنفت هذه التمردات في الاعوام 1881، و1910، و1914[4]. وللحقيقة، فقد وسعت الاجراءات القمعية الهوة بين الناس والادارة العثمانية في العراق، وحالت بدورها دون تعاون المواطنين مع السلطات الحكومية في تطبيق الاجراءات الصحية.

---

1. "Osmanlı Vilayet Sahnelerinde Basra", P. 69.
2. الدوري، ج2: 1831-1872، ص ص213-214، 227-229، 240-243، 256-255.
3. Midhat Bey, P. 48.
4. الدوري، ج3: 1876-1914، ص ص39-40، 259-265.

sharif mahmoud

لقد ميز الفساد واللامسؤولية بوجه عام الادارات المحلية لولايات العراق العثمانية. وفي هذا الصدد، سلّف عالم اجتماع عراقي هذه الادارات على انها كانت الأكثر فسادا وتفسخا في الدولة العثمانية. لقد اعتقد هذا العالم ان الغالب الولاة العثمانيين الذين خدموا في العراق قد فعلوا ذلك لسببين، اما لانهم عجزوا عن ايجاد منصب لهم في مكان آخر، او لانهم كانوا طامعين في المال[1]. لقد ابتليت ولايات العراق العثمانية بانواع طفيلية من هؤلاء الحكام. هنا لمن يمكن ان نعطي مثلا من القرن التاسع عشر. لقد بين مؤرخ عراقي انه خلال سبعينيات القرن المذكور كان ظلم ولاة البصرة العثمانيين احد اسباب تدهور وخراب المدينة[2]. بينما اشار مؤرخ آخر، الى ان هؤلاء الحكام تلقوا لسنوات طوال الرشاوي، وابتزوا الاموال من الناس، ولم يبذلوا اي اصلاح من شأنه ان ينفع اهل البصرة[3].

ونتيجة لسوء الادارة العثمانية، اصبحت قبضة السلطات المحلية ضعيفة وغير مهابة، مما اسهم في عرقلة الاجراءات الصحية التي كانت تتطلب تعاونا تاما من سكان الولايات العراقية. فمثلا، عندما ضربت الكوليرا البصرة في عام 1858، اقامت السلطات المحلية نطاقا صحيا على امتداد شط العرب، مانعة بذلك السكان الذين عاشوا على ضفتي الشط من المرور من خلاله. ان هؤلاء السكان العرب، وبدافع الانتقام، دخلوا بيوت الجاموس وقتل الرز المواطنين

---

1. المصدر نفسه، ج4: 1914-1918، ص90.
2. ابراهيم فصيح الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، الطبعة الاولى، (لندن: دار الحكمة، 1999)، ص161.
3. علي شريف الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، (بغداد: مطبعة الفرات، 1927)، ص154.

sharif mahmoud

العثمانيين الذين سقطوا بايديهم، مستخلصين من كل واحد منهم مبلغا معينا من المال. وقد اوضحت ردود الفعل هذه عدم جدوى اجراءات صحية مماثلة، وحقيقة السيطرة الضئيلة التي تميزت بها السلطات العثمانية المحلية فيما وراء ضواحي المدن والشاطئ التي هيمنت عليها عمليا من خلال القطعات العسكرية[1].

ولم يذكر استبداد وفساد الحكام حتى الملاك الطبي الذي كان افراد احيانا عرضة لسلوكيات عدائية. فمثلا، قدم والي البصرة مذكرا الى السلطات الصحية العثمانية في صيف عام 1899، اساء فيها لسمعة الطبيب الصحي في البصرة، دكتور موستايدز. لقد حفّز هذا السلوك المشين للوالي اللجنة الصحية الدولية في استانبول، فارسلت تقريرا بهذا الخصوص الى الحكومة المركزية العثمانية تضمن شكوى ضد والي البصرة الذي يسلوكه هذا ... يعيب الخدمات الصحية بالشلل ... ويعرض ذلك الجزء من الامبراطورية الى خطر حقيقي على حد ما ورد في تقرير اللجنة[2].

ان عدم الاستقرار السياسي، وتصادم المسؤولية، وسوء الادارة، وتفشي التمويل، بالاضافة الى ضعف قبضة الحكومة في العراق اثناء المراحل العثمانية المتأخرة، ادت الى غياب خطة للتعامل مع مرحلة ما قبل ظهور الوباء. لقد كان بمقدور خدمات طبية ووقائية متقدمة ان تضمن نجاح هكذا خطة. لكن، لسوء الحظ، كانت اجراءات الادارة العثمانية في العراق لمكافحة الاوبئة ضعيفة فقط لمرحلة ما بعد ظهور الوباء. ولهذا السبب، فان بغداد ومدن وبلدات عراقية اخرى لم تكن لديها اية مناعة ضد الموجات الوبائية التي اجتاحت العراق طوال

1. Colvill, Summary Reports on Turkish Arabia, P. 65.
2. (F. H. R), Vol. 14, No. 30, September 22, 1899, PP. 1610-1611.

sharif mahmoud

العهد العثماني المتأخر. ففي غضون تلك المدة، لم تقم الحكومة وممثلوها في الولايات العثمانية والصحية بتطوير برامج معينة او خطوات محددة لتعزيز دفاعات المدن والبلدان العراقية في مواجهة الاوبئة. وحتى المبادرات الانسانية الفردية في هذا المجال كانت تقابل باللامسؤولية والاهمال واللامبالاة من لدن الحكام والمسؤولين. فكأنموذج عن اللامسؤولية هذه، اشار قنصل الولايات المتحدة في بغداد، جون ساندبرغ، في تقرير له نُشر في عام 1894، الى انه قابل والي بغداد في مقره، موضحا له كيف انه بالامكان توفير ماء نقي للمدينة اذا ما نُصبت محطات للضخ والفلترة. فكان جواب الوالي الوحيد: أن شاء الله، الله اكبر! وقد عجب هذا الرد ساندبرغ واثار سخطه[1].

لقد كان من الطبيعي جدا ان تنجم عن الفوضى الادارية واللامسؤولية عيوب وتقصيرات في اداء اللجان الطبية المحلية اثناء التفشيات الوبائية. ويمكن ملاحظة مثل هذه العيوب في اداء لجنة بغداد الصحية التي أرسلت الى بقعة ضربها الطاعون في الهندية في عام 1867. لقد وُجد آنذاك لوم شديد لعمل اللجنة لان اجراءاتها الصحية نُفذت بعد نهاية الوباء، تقريبا بعد ثلاثة اشهر من تفشيه[2].

ولقد عكس المشهد الاخير للحكم العثماني في بغداد بوضوح مشاعر العداء المتبادل بين اهل العراق والادارة العثمانية، وتداعيات ذلك على القطاع الصحي. ويُسلّط وصفا بانوراميا لنهب بغداد، بضمن ذلك المؤسسات الصحية،

1 Sandberg, A Letter from Bagdad, P. 640.

2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II: For the year 1870, (London: Longmans, Green, Reader & Dyer, 1871), P. 552.

sharif mahmoud

الضوء على طبيعة هذا العداء. لبثة اسبوعين قبل السقوط، سلب الأتراك الاهالي بشكل منظم. حيث ابتزوا منهم مبالغ كبيرة، وكل شيء ذو قيمة ويمكن نقله قد حُمل. اخذ الأتراك كل شيء، مثلما قال حبر يهودي، حتى الحصادات على المساجد اضحت هزيلة. وعندما اندفع القطار الأخير خارج محطة سكة حديد بغداد في الساعة الثانية من صباح 11 آذار [1917]، هبّ [ال..] والرعاع الآخرون من الأحياء الفقيرة لنهب الأحياء الأغنى. ولسبع ساعات دُمرت الدكاكين والبيوت في كل الاتجاهات، ولم يسلم حتى المستشفى التركي. فقد نهب اللصوص المستودعات، وأحدثوا الافرشة والادوية ومواد التخدير. ساعين لاصدقائهم لان يشتركوا في الغنائم. وقد وصلت القوات البريطانية في الوقت المناسب لانقاذ المرضى من ان يُرموا خارج أسرّتهم. وقد أُخمدت الحطوات العاجلة لوضع حد لهذه العربدة العامة للنهب، ولم يمض وقت طويل حتى عاد النظام للمدينة[1].

وهكذا فأنه غالبا ما اتبع حكام العراق العثمانيين سياسة قصيرة النظر تجاه ولاياتهم. لقد ركزوا خلال دورات حكمهم في تلك الولايات على مركزية السلطة، وقمع المعارضة، وجمع الضرائب. بالمقابل، اهملوا الجوانب الاخرى للحياة، بضمن ذلك قطاع الصحة العامة. وعلى نحو مماثل، وُجه اللوم ايضا الى المعتقدات والطقوس والشعائر الدينية لدورها في تفاقم الضرر في هذا القطاع.

1 Francis W. Halsey, The Literary Digest History of the World War, Vol. 8, August 1, 1914-October, 1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919), pp. 190-191

sharif mahmoud

المعتقدات والشعائر الدينية

بسبب التخلف ونقص الوعي الصحي في الدولة العثمانية، هيمنت التفسيرات الاسلامية التقليدية للامراض والاوبئة. فاستنادا على تفسيرات غيبية، عد العثمانيون الامراض والاوبئة بمثابة مسائل مقدرة. ففي مذكراته، وصف القس وليم جودل، الذي عاش في استانبول خلال القرن التاسع عشر، وجهة نظر المسلمين بالطاعون، قائلا: ان المسلمين المخلصين لايمانهم بالقدر، قد سمحوا للطاعون بان يأتي ويذهب دون تحريك اي اصبع لمنعه. فمقولة ما يريده الله ينبغي ان يكون، هي واحدة من البنود البارزة لعقيدتهم[1]. ولاحظ مراقب اجنبي في بداية القرن العشرين بان سواحلي المدن التركية في الداخل اظهروا كرها شديدا للتدابير الصحية، عادينها تدخلا يتهدك ارادة الله، وانهم يبذلوا قصارى جهدهم لتفادي تنفيذها[2].

وعلى غرار رعايا عثمانيين آخرين، آمن غالبية العراقيين، بما في ذلك النخبة السياسية الحاكمة، قاما بالتفسير القدري للامراض. ولايستثنى في ذلك احد من هذه القاعدة، حتى اولئك الذين كانت لديهم رتب عليا في الحكومة. فداود باشا، والي بغداد (1816-1831)، مثلا، كان نفسه قدريا. فعندما ضرب الطاعون بغداد في عام 1831، استخدم عقيد بريطاني كل نفوذه لاقناع داود

1 "Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell", (New York: Robert Carter and brothers, 1876), P. 202.

2 Quoted in: Palmira Brummett, Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press, 1908-1911, (New York: State University of New York Press, Albany, 2000), P. 276.

sharif mahmoud

باشا باقامة محجر صحي، لكن بلا جدوى. لقد لقي العقيد البريطاني الجواب المعهود لدى العثمانيين في مثل هكذا ظروف الذي يموت يموت، والذي يحيى يحيى[1]. ولقد عبر ملا (مسلم متعلم) بغدادي بوضوح عن هذه القدرية اثناء طاعون عام 1831، حين قال: أنا لم اخف السيف، لكني خفت الطاعون، لان الاول من عمل الانسان، اما الآخر فمن الله[2]. وفي مجتمع يهيمن عليه الدين، يجب اعطاء دور المعتقدات القدرية في تشكيل المواقف الشعبية من الامراض والاوبئة وزنا كبيرا. ان القاعدة الذهبية التي اكدت ان الطاعون شهادة ورحمة من الله للمسلم وعقوبة للكافر[3]، قد جعلت الناس، سواء في العراق العثماني ام في الاقطار الاسلامية الاخرى، يتعاملون بتساهل وبلا مبالاة مع امراض وبائية خطيرة، وبالاخص الطاعون.

بالاضافة للمعتقدات الدينية، كان الحج الى مكة وزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية مناسبات تنتشر فيها الاصابة بالاوبئة بين الحجاج والزائرين، الذين كانوا ينقلوها بدورهم الى اصقاع اخرى من العالم الاسلامي. لاغرابة اذن في وصف جراح بريطاني الحجاج لموسم حج عام 1877 بانهم كانوا وكلاء ممتازين لنشر الكوليرا[4]. لقد عدت مواسم الحج للسنوات 1890، 1891، 1893، و1895 مصدرا للكوليرا التي دخلت العراق[5].

---

1 "Travels of Dexter and Madame Hellot in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, (London: Richard Bentley & Son, 1878), P. 209.

2 Groves, P. 76.

3 يوسف بن محمد السرمري، كتاب في ذكر الوباء والطاعون، الطبعة الأولى، (عمان: الدار الاثرية، 2005)، ص87.

; Michael W. Dols, The Black Death in the Middle East, (Princeton: Princeton University Press, 1977), P.109

4 Gordon, P. 157.

5 Frederic Borel, Etude d'Hygiene Internationale Cholera et Peste dans le Pelerinage Musulman, (Paris: Masson et Cie., Editeurs, 1908), P. 84.

sharif mahmoud

وفي وفاء خالص لمعتقداتهم الدينية، كان شيعة العالم الإسلامي يذهبون، وما زالوا متواصلين، الى زيارة المراقد المقدسة في كربلاء والنجف. وطبقا لاحصائيات رسمية جُمعت من قبل دائرة الصحة المركزية في بغداد لسنتي 1889 و1890، كان الرقم الاجمالي للزوار الايرانيين 23.990 و57.567 على التوالي. لقد سُجلت هذه الارقام في دوائر الصحة العراقية في المنافذ الحدودية والداخلية (انظر: جدول- 8).

جدول-8 (حركة الزوار الشيعة خلال سنتي 1889 و1890)[1]

منطقة الدائرة الصحية	عدد الحجاج الايرانيين	
	سنة 1889	سنة 1890
زاباد	250	120
پنجوين	360	1110
حلبجة	17.830	48.860
مندلي	1550	1840
زرباطية	900	1280
العمارة	280	310
البصرة	2.490	3.610

1 Table data are derived from: Vital Cuinet, La Turquie d' Asie: Geographie Administrative Statistique Descriptive et Raisonnee de Chaque Province de l'Asie-Mineure, Tome Troisieme, (Paris: Ernest Leroux, Editeur, 1948), P. 16.

sharif mahmoud

منطقة الدائرة الصحية	عدد الحجاج الايرانيين	
	سنة 1889	سنة 1890
الفاو	50	20
النجف	20	6
كربلاء	10	10
المسيب	160	320
سامراء	50	41
الكاظمية	40	40
المجموع الكلي	23.990	57.567

و قدّر حبيب شبحه في كتابه بالفرنسية المنون ولاية بغداد والمنشور في عام 1908، عدد الزوار الايرانيين والمتوجه الذين دخلوا سنويا العراق، بانه كان يتراوح بين خمسين وثمانين الف شخص[1]. على اي حال، فانه على غرار غالبية الشيعة الذين يؤمنون بان اجدادهم لابد ان أوارى الثرى في النجف وكربلاء والكاظمية، جلب الايرانيون آلاف الجثث سرا وعمرا لتدفن في هذه البقاع المقدسة. ومثلت القوافل التي حملت عشرات آلاف الجثث طوال العهد العثماني تهديدا حقيقيا للصحة العامة في العراق، لان العديد منها كانت تعود لاشخاص هم ضحايا للطاعون واوبئة اخرى[2].

1 Chiha, P. 182.

2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509; (B. M. J), Vol. 1, No. 1038, April 9, 1881, P. 56

sharif mahmoud

ولتفادي مخاطر العدوى الوبائية الناجمة عن نقل الجثث الصابة، عقد والي بغداد مدحت باشا اتفاقية مع شاه ايران في عام 1870، لغرض تنظيم نقل الجثث من ايران الى العراق. وطبقا لتلك الاتفاقية، كان يجب دفن جثث الموتى الايرانيين في الاراضي الايرانية على الاقل لمدة عام واحد. يستطيع بعدها اقارب المتوفي نقل العظام الجافة الى مقابر الاماكن المقدسة في العراق. لقد ظن مدحت باشا ان هذا الاتفاق قد اوجد حلا نهائيا للمشكلة، لكن بعض الايرانيين طوروا لاحقا وسائل جديدة لتهريب الجثث وتفادي الرقابة الصحية في الحدود العراقية-الايرانية. كانت احدى هذه الوسائل ازالة اللحم من الجثث، وترك الهيكل العظمي يمسحوقي النورة (اوكسيد الكالسيوم) والزرنيخ لكي يُعطي مظهرا حقيقيا لبقايا جثة متحللة. بعد هذه العملية، يُسلم لحم الجثة الى اقارب المتوفي ليُحمل في اكياس يتم اخفاؤها عن عيون موظفي الصحة في الحدود. وحالما تصل الاكفان الى النجف او كربلاء، يشرع اقارب المتوفين بجمع اللحم والهياكل العظمية لتدفن سوية، لكن طبعا بعد اقامة بعض الشعائر الدينية الخاصة بالمناسبة[1].

كان على الايرانيين الفقراء ان يجدوا انفسهم، حتى من بعض ضروريات الحياة، لكي يدخروا مبلغا عند وفاتهم يكون كافيا لتغطية نفقات نقل ودفن اجدادهم في البقاع المقدسة في العراق. لقد اتبع نقل جثث الموتى الايرانيين وغيرهم طريقين رئيسيين. الاول كان برياً، حيث سلكت قوافل الجنائز طريق وادي كرمنشاه، ومن ثم تدخل العراق من خلال خانقين[2]. وكانت جثث الموتى

1 الوردي، ج2: 1831-1872، ص260

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

sharif mahmoud

في هذه القوافل لتحفظ في اكفان معلقة وتحمل على ظهور البغال، ومن ثم يتم سوقها مع قوافل الزوار الى وجهتها المنشودة[1]. اما الطريق الثاني، فقد كان بحريا عبر البصرة، حيث كانت العديد من السفن والمراكب لنقل الاحياء والاموات جنبا الى جنب نحو وجهتهم النهائية في كربلاء والنجف. وكان كل مركب يحمل بين 100 الى 150 مسافرا يتم حشرهم في حيز محدود سوية مع عشرين او اكثر من الجثث[2].

وتوفر مصادر مختلفة احصائيات متنوعة عن العدد الكلي للجثث. لقد قدرت مجلة طبية امريكية أن مايربو على ثلاثين الف جثة كانت تُنقل الى العراق سنويا[3]. وذهبت المذهب ذاته مجلة طبية بريطانية عندما بينت بأن معدل العدد الكلي للجثث القادمة من ايران كان ثلاثين الف جثة سنويا[4]. ومن جانبه، اشار حبيب شيحه الى ان عدد الجثث المنقولة من ايران الى العراق قد تراوح بين اربعة وستة آلاف جثة سنويا، وقد تصل احيانا الى ثمانية آلاف في السنوات التي يتفشى فيها الاوبئة[5]. واستنادا لاحصائية رسمية جُمعت من قبل دائرة الصحة المركزية في بغداد، وتضم ارقاما لجثث مسجلة في الدوائر الصحية الموزعة في مناطق عراقية مختلفة، فقد دخلت العراق من ايران 5.620 جثة في عام 1889، و9.754 جثة في عام 1890 (انظر: جدول-9)

1 Cuinet, P. 12.
2 Wenth, P. 32.
3 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509.
4 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
5 Chiha, P. 182.

sharif mahmoud

جدول-9 العدد الكلي للجثث الداخلة للعراق من ايران في سنتي 1889 و1890[1]

منطقة الدائرة الصحية	اعداد الجثث الايرانية الموردة للعراق	
	سنة 1889	سنة 1890
بشتجوين	19	96
خانقين	4.495	8.436
مندلي	75	74
زرباطية	10	117
العمارة	63	16
البصرة	814	819
الفاو	3	---
النجف	43	16
كربلاء	14	37
المسيب	27	45
سامراء	14	47
الكاظمية	43	51
العدد الاجمالي	5.620	9.754

1 Table data are derived from: Cuinet, P. 16.

sharif mahmoud

وفي مواسم معينة من السنة، كانت كل الطرق المؤدية للعراق "تتسم بالروائح الكريهة للجثث المتحللة. وقد بين تقرير لمجلس صحة استانبول بشأن تفشي وباء الطاعون في العراق في عام 1881، ان نقل آلاف الجثث من ايران لدفنها في البقاع المقدسة في العراق، الظرف الاكثر ملاءمة لانتشار الطاعون[1]. كما صنف بعض المراقبين الغربيين مثل تلك الشعائر الدينية على انها احد الاسباب التي اسهمت بقوة في اعادة انتاج الطاعون في العراق[2].

عموما، فأنه بسبب نقص الرقابة الصارمة والبيروقراطية المدروسة، كانت العواقب الصحية لتلك المناسك الدينية، سواء الحج لمكة ام الزيارات للمراقد المقدسة في العراق ودفن الجثث فيها، خطيرة للغاية. وقد تعزز هذا الضرر للصحة العامة اكثر من خلال التخلف الثقافي والاجتماعي الذي ساد العراق اثناء العهد العثماني.

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1076, April 9, 1881, P. 566.
2 "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, PP. 508-509.

sharif mahmoud

التخلف الثقافي والاجتماعي

اعاق الانحطاط الثقافي والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية في كثير من الأحيان تحسين الاوضاع الصحية العامة في العراق في ظل الحكم العثماني. ولعل العدد المحدود للمؤسسات التعليمية، هو الانعكاس الاكثر تعبيرا لتراجع الثقافة والفكر في هذا البلد آنذاك. ففي مدينة بغداد، مثلا، لم يكن عدد المدارس الرسمية في العام 1899-1900 يتجاوز العشرة. كانت اثنتان منها عسكرية، وواحدة للتعليم المهني، وتوزعت البقية بين مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية[1]. ولم يكن في مدينة الموصل وضواحيها في عام 1912 سوى تسع مدارس ابتدائية فقط[2]. اما البصرة، التي كانت في السابق مركزا ثقافيا اسلاميا بارزا، فقد اضحت "دار الجهل"، كما وصفها المؤرخ العراقي الحيدري[3]. على اي حال، كان في البصرة، شأنها شأن مدن العراق الاخرى، عدد قليل من المدارس طوال الفترات العثمانية[4].

وفي مجتمع تسود فيه الامية والجهل، كان من الطبيعي أن تلقى برامج مكافحة الاوبئة والتدابير الصحية الحكومية مقاومة من لدن غالبية الناس، وان يرفضوا التعامل معها بايجابية. فبسبب تخلفهم الثقافي، تصور هؤلاء ان بعض هذه الاجراءات تنتهك قيم وفضائل وعادات مجتمعهم. فعلى سبيل المثال،

---

1. سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15: 1899-1900، ص ص168-170، 206-208.
2. "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 349-351.
3. الحيدري، ص ص162-163.
4. الاعظمي، ص155.

sharif mahmoud

عندما اراد طبيب دائرة صحة البصرة ان يدخل بيتا هوجم بالوباء بعدما تفشى الطاعون في المدينة في عام 1901، جوبه برجل يحمل بندقية كان ينتظره عند الباب! لقد اعتقد هذا الرجل ان الطبيب يكشفه على حريمه (زوجته) سوف ينتهك القواعد الاخلاقية للمجتمع. ولربما لو اتخذت تدابير صارمة في هذه الحالة، لحدثت أعمال شغب، او لربما أطلق النار على الطبيب او تم اغتياله[1].

ونتيجة للاحباط الناتج وغياب الوعي الصحي العام، اخفت عامة الناس الحقائق المتعلقة بانتشار الاوبئة. لقد اوضح اطباء أرسلوا الى جنوبي العراق اثناء تفشي الكوليرا في عام 1893، ان الناس كانت تخفي الحقائق عن الوباء احيانا، مجرد تحاشي تعرضهم لقايقات التدابير الوقائية[2]. ووصف الجراح البريطاني كوتيل في آذار 1876 اخفاء الناس للحقائق المتعلقة بالاوبئة، بالقول ان تقرير الناس، ليس فقط من ناحية المرض، بل وحتى من ذكره او الاعتراف به، كان غير عادي تماما. ولم يعجب هكذا تكتم، في الواقع، المعرفة المبكرة لتطور الوباء فحسب، بل يفسر كذلك الاستجابة المتأخرة للسلطات الصحية في ملاحقة بعض التفشيات الوبائية[3].

وكان رهاب المستشفى وكذلك رهاب الطبيب ظاهرة سلوكية شائعة اقترنت بالحياة الاجتماعية للعراق العثماني. لقد اعتقد الجهلة والامميين آنذاك بانه ليس هناك فائدة تجنى بتاتا من ادخال المرضى للمعالجة في المستشفيات. بل

1 (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 763.

2 (W. A. S. R), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893, P. 528.

3 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", in "Sixth Annual Report of the Local Government Board 1876-77, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1876, Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1878), P. 293.

sharif mahmoud

بعضهم تجاوز هذا الاعتقاد وكان يؤكد بأن المستشفيات قد تقتل المرضى بدلا من ان تعالجهم[1]. وفي مجتمع عالق في مستنقع الجهل والتخلف، شوهت صورة الطبيب الى حد كبير في اذهان الناس، حتى غدت كلمة طبيب بالنسبة للعامة مرادفة لكلمة قاطع طريق او جابي ضرائب! كما أشار الى ذلك تقرير طبي امريكي[2]. وقد تتجسد ظاهرة رهاب الطبيب احيانا من خلال التصرفات العدائية التي كان يتبناها بعض الجهلة من الرجال ضد الأطباء. ففي السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، اتهم بعض اهل البصرة وقتما كانت الكوليرا تضرب مدينتهم، طبيب المدينة بأنه هو من ادخل الوباء اليها عن طريق القائه حلوى ملونة في الشوارع! وقد جليت الغوغاء عينات من الحلوى المزعومة الى والي البصرة. وقد أجبر الطبيب المشتبه به على اكلها يومذاك لاثبات عدم ضررها. ولم يمنع هذا الحل، على ما يبدو، المذعورين من عامة الناس، لذلك فضّل الطبيب الحصيف مغادرة المدينة حفاظا على حياته[3].

ومثل الاساليب غير الصحية لتنظيم الغذائي في العراق العثماني مظهرا آخرا للتخلف الثقافي. فبهذا الخصوص، وصف القنصل الامريكي في بغداد جون ساندبرغ عرب العراق بأنهم اكلة نهمين. وانهم، على غرار الاسكيمو، يرغبون بأن يفرقوا طعامهم بالسن. واشار ساندبرغ ايضا الى ان بعض عرب الصحراء كانوا يأكلون، وما زالوا يفعلون ذلك، شاة مع الرز والخبز والحليب في جلسة واحدة. لكن كان بمقدورهم احيانا، مثلما يضيف ساندبرغ، ان يعتاشوا على الخبز والتمر فقط[4]. وفي الحقيقة مايزال مثل هذا النظام الغذائي غير

1 الوردي، ج3: 1876-1914، ص250

2 (W. A. S. R), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 600.

3 (B. M. J), Vol. 2, No. 2230, September 26, 1903, P. 761.

4 Sandberg, A Letter from Bagdad, P. 649.

sharif mahmoud

الصحي وغير المتوازن شائعا بين اهل العراق، مسهما في تقصير اعمارهم، ومضعفا لمناعتهم، وتاركا اياهم فريسة سهلة للامراض المختلفة.

وبسبب التخلف والجهل، سادت الطرق التقليدية لعلاج الامراض في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فقد مارس اغلب الحلاقين في تلك الفترة مهنة طبابة الاسنان[1]. و كان الملاّ في المدن والبلدات العراقية الشخصية الاكثر شهرة بين الممارسين الشعبيين للطب. لقد تصرف الملالي وكأنهم اطباء في الحالات ذات الصلة بالارواح والعين الشريرة. لقد كان هؤلاء الملالي، الذين زعموا ان ممارساتهم يمكن ان تشفي العديد من الامراض، يضربون احيانا وجوه مرضاهم بالخفاف (النعال)! او يطرحونهم ارضا ويسددوا لكمات الى ظهورهم!. اما بين القبائل البدوية العربية، فقد كان الصلّبه الممارسين الطبيين الاكثر مهارة. لقد نال هؤلاء الصلّبه شهرة عريضة حتى في مدن وبلدات العراق العثماني. فغالبا ماكانوا يُشاهدون في الشوارع، عارضين بالنهم الطبية لعامة الناس. ولم يشكوا الصلّبه من نقص في الزبائن طالما كانت علاجاتهم الطبية رخيصة وفعّالة كما زعموا تأثير طيب. وبغض النظر عن وسائل العلاج البدائية العديدة، فقد أستعمل الكي في المدن والارياف والصحاري لمدة طويلة من الزمن. لقد عُد الكي الملاذ الاخير لاي علاج. ومن هنا جاء المثل العربي المعروف آخر العلاج الكي[2]. مجمل القول، ان التخلف الثقافي والاجتماعي، اضافة الى عوامل اخرى، قد اسهمت بشكل مؤثر في انتشار الامراض المعدية والاوبئة الفتاكة في العراق طوال المراحل المتأخرة للحكم العثماني.

---

1 الملاف، ص36.

2 Chiha, PP. 310-31

sharif mahmoud

الفصل الثاني
تفشيات الأوبئة الأكثر فتكا
في العراق العثماني 1850-1918

sharif mahmoud

sharif mahmoud

الفصل الثاني
تفشيات الاوبئة الاكثر فتكا
في العراق العثماني 1850_1918

(اولا)_ تفشيات الطاعون في السنوات 1867_1915،

عندما كان حاجا في طريقه الى بغداد صادفه شخص شبحي مفزع، فسأله الحاج من تكون؟ اجاب الشخص: انا الطاعون!، وانا ذاهب الى بغداد لأقتل الف شخص. وقد لمح الحاج الشخص الشبح وهو في طريق عودته، فاستوقفه وقال له: انت سبق وان اخبرني انك ذاهب الى بغداد لتقتل الف شخص، بينما انا وجدت عشرة الاف من ضحاياك في المدينة!. اجاب الطاعون: انا قلت الحقيقة، انا لم اقتل سوى الف شخص، اما البقية فقد ماتوا من الرعب[1]. هكذا وصف كاتب بشكل خيالي الذعر والفزع الذي كان يسببه الطاعون للناس، فبسبب كثافته الديمغرافية العالية وتأثيره النفسي، لايمكن مقارنة الطاعون بأي مرض معد آخر في التأريخ العثماني، حتى ما ذكر ذلك مبشر عاش في استانبول في القرن التاسع عشر[2].

يُعرّف الطاعون على انه مرض من امراض الحميّات الحادة المقترنة بالتهاب الغدد اللمفاوية، والذي تسبب بكتريا دقيقة. ويتوزع الطاعون على ثلاثة

1 Bertram S. Puckle, Funeral Customs, 1st Published. (London: T. Werner Laurie LTD, 1926), PP. 131-132.

2 "Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell", P. 202.

sharif mahmoud

انواع رئيسة: الطاعون الدملي، والطاعون الرئوي، والطاعون التسممي (انتان الدم). وفي الوقت الذي تنتشر فيه عدوى الطاعون الدملي والطاعون التسممي عن طريق البراغيث، فان عدوى الطاعون الرئوي تنتقل مباشرة بواسطة الاختلاط القريب مع مريض مصاب[1]. على اي حال، لقد كان الطاعون الدملي النوع الاكثر شيوعا في العراق وبقية الممتلكات العثمانية الاخرى.

وقد أطلقت مسميات عديدة على الطاعون في مناطق الشرق الاوسط المختلفة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد عُرف في طرابلس الغرب (ليبيا) في عام 1856 باسم "بوليد مع ورم فدي"؛ وعُرف في العراق في المدة من 1856 الى 1885، باسم "حُمّى النفوليد الفعّالة"، وكذلك حُمّى متقطعة مع ورم فدي؛ بينما أطلق عليه في ايران منذ عام 1863 فصاعدا، اسم "الحُمّى النزفية"[2]. وقد أطلق اسم الطاعون مجازا على اي مرض وبائي كان قاتلا لعدد كبير من الناس[3].

واعتقد بعض علماء الاوبئة، مثل الالماني هيرش، ان مراكزا جديدة للطاعون ظهرت في اجزاء مختلفة من الشرق الاوسط، مثل اليمن، وطرابلس الغرب، وايران، والعراق خلال المدة من 1850 الى 1870[4]. فيما يتعلق

1 Payne, P. 917; Milton J. Rosenau, Preventive Medicine and Hygiene, (New York and London: D. Appleton Co., 1913), PP. 254-255.

2 James Castlie, The Spread of the Bubonic Plague, "The Annals of Hygiene: A Journal of Health", Vol. XII (12), No.1, (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, March 1897), P. 140.

3 Montagu Lubbock, Plague, in "Hygiene & Diseases of warm Climates", Edited by Andrew Davidson, (Edinburgh and London: Young J. Pentland, 1893), P. 334.

4 Hirsch, Vol. 1, PP. 511-513.

sharif mahmoud

بالعراق تحديدا، فقد شهد هذا البلد في المدة من 1867 الى 1915 موجات متعاقبة للطاعون، بعضها كان محدود الانتشار، والبعض الآخر كان واسع الانتشار (انظر: جدول-10).

جدول-10 (تفشيات الطاعون الوبائية في العراق 1867-1915)

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1867	افندية (سجن كربلاء)		X
1874-1873	الدغارة ومناطق اخرى	X	
1875-1874	الديوانية ومناطق اخرى	X	
1876-1875	الحلة ومناطق اخرى	X	
1877	العزيزية وبغداد	X	
1881-1880	الشامية والنجف ومناطق اخرى	X	
1884	بدرة وجصان وزرباطية ومندلي		X
1893-1892	عنبر (عنك)		X
1899-1897	البصرة		X
1900	السليمانية		X
1902-1901	البصرة وبغداد		X
1903	الزبير (البصرة)		X
1907	البصرة وبغداد		X
1909-1908	كربلاء وبغداد		X
1910	البصرة		X

sharif mahmoud

السنة	المنطقة	تصنيف نوع التفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1911	البصرة		X
1913	البصرة		X
1914	البصرة		X
1915-1914	بغداد		X
المجموع الكلي		5	14

طاعون الهندية (من منتصف شباط الى منتصف حزيران 1867):

بعد هدنة وباتية لنحو ثلاث وثلاثين سنة، استأنف الطاعون هجماته في العراق في عام 1867. قبل هذا الاندفاع الجديد للوباء، تعرضت بغداد ومناطق عراقية اخرى لتفشيات متكررة لحمى التيفوئيد في السنوات 1856، 1858، 1859، 1860، 1861، 1862، 1863، 1864، و1865[1]. وقد اشارت هذه التفشيات جدلاً بين علماء الاوبئة. فلم ينظر الدكتور دالبكل، الطبيب الذي كان قد عُين من قبل السلطات الصحية في استانبول لتشخيص اعراض الحمّى والذي كتب تقاريرا عديدة بشأنها، للحمّى على انها اعراض للطاعون، بالرغم من انه لاحظ انها كانت مقترنة باورام غدّية عند المصابين متوزعة في الرقبة، وخلف الاذنين، وفي الابطين وفي اماكن اخرى. وفي المقابل، انتقد عالم الاوبئة الفرنسي، تولوزن، فرضيات دالبكل، قائلاً: اذا كان تشخيص المرض الاعتيادي هو الجزء الاكثر اهمية في عملنا، فينبغي ان يكون المرض الوبائي الأساس لعلوم الصحة.

1 for details, see: Thekuran, PP. 17-27.

sharif mahmoud

واضاف تولوزان: ان خطأ واحدا لطبيب هو بلا شك امر يؤسف له، اما نقص الدقة في تقييمات عالم لوبئة فهو الاداء الاكثر خطورة. وتأسيسا على طبيعة واعراض المرض، اعتقد تولوزان على نحو قاطع ان موجات الحمّى التي طالت العراق بين 1856 و1865، لم تكن سوى طاعونية، وان البلدان المجاورة كانت محظوظة لان تقشيرها الحصرت ضمن نطاق محلي[1]. لقيت وجهة نظر تولوزان تلك دعما من قبل عالم اوبئة آخر، الذي عد تقشيات الحمّى المذكورة آنفا بمثابة الدلاءات طاعونية خفيفة[2].

على اي حال، استهل الطاعون عودته الى العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بهجمات ضد بعض قرى الفديمة التابعة الى سنجق كربلاء يومذاك. وكانت مساحة المنطقة التي ضربها الطاعون بطول نحو 60 ميلا (96.5 كم) وبعرض نحو 20 ميلا (32 كم)، وتقع الى الجنوب من بغداد. وتُروى المنطقة المذكورة بواسطة قناة او شط الفديمة. وكانت المياه تغمر القرى الصغيرة في الفديمة عندما ترتفع مناسيب الفرات في وقت مبكر من ربيع كل عام[3].

كون عرب الفديمة آنذاك جزءا كبيرا من عشيرة بني طرف. وكان هؤلاء يوجه عام -كما وصفوا- اشداء ومتصافين جسديا. وكانت حياتهم غاية في البساطة، لكنهم قاوموا بيسر كل انواع الصعاب. وقد ارغمتهم طبيعة عملهم لان يعيشوا في المياه لعدة اشهر وباجساء نصف عارية. وخلال الطقس الحار، كان الرجال والنساء والاطفال يعيشون في العراء، ولم يكن لديهم سأوى سوى اكواخ بائسة صُنعت من القصب والحصير. اما غذاؤهم الرئيسي فكان يتمثل

1 Ibid, PP. 17-19.
2 Payne, P. 919.
3 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49-50.

sharif mahmoud

على الرز والتمر في الحالب[1]. وعندما هاجم الطاعون هؤلاء الناس، التهمت قراهم على 2,400 شخص اقاموا في ستمئة كوخ. وطبقا لشهادة افاد بها شيخ بني طرف، بدأ الوباء هجومه ضد افراد عشيرته في هذه المنطقة في منتصف شباط 1867. وقد حدثت اصابة واحدة في اليوم الاول للاندلاع الوبائي، لكن سرعان ما ارتفع معدل الاصابات الى عشرة اشخاص يوميا خلال العشرين يوما التالية. ومن بين سبعين مصابا من اتباع بني طرف الذين لقوا حتفهم، كان لدى ثلاثين منهم دمامل في الابطين والرقبة والاقحاذ[2]. وقد قدر الجراح البريطاني كوفيل الذي زار ثلاث قرى في المنطقة، ان من بين 1150 نسمة، وهو العدد الكلي لسكان تلك القرى، لقي 110 اشخاص حتفهم من الوباء. وكان من بين الضحايا العديد من الاطفال الذين تراوحت اعمارهم بين اربع وست سنوات. وللاسف، فقد عانى هؤلاء الاطفال من آلام مبرحة ولمدة طويلة من الزمن قبل ان يلقوا مصيرهم المفجع. ومنذ منتصف حزيران 1867، بدأ الطاعون بالانحسار ثم مالبث ان توقف تماما في بداية تموز[3].

طاعون الدغارة ومناطق اخرى (كانون الاول 1873ـ حزيران 1874):

عاود الطاعون ظهوره، في بعض مناطق المستقعات في جنوب العراق، حيث سُجلت الاصابة الاولى في ناحية الدغارة في الديوانية في نهاية كانون الاول من عام 1873[4]. لقد شخص الوباء منذ اندلاعه على انه طاعون دملي

1 Tholozan, P. 32.
2 Ibid, P. 33.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.
4 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", in: Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board, No. VII (7): Annual Report to the Local Government Board with Regard to the Year 1875, Presented Pursuant to Act of Parliament, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1876), P. 94.

sharif mahmoud

اعتيادي[1]. وقد لفت انتباه الناس في الدغارة نفوق اعداد كبيرة من الماعز قبل شهرين من وقوعه، وان البعض منهم قد تناول لحومها. ومع ذلك لم تثبت صلة هذا الحدث بالوباء. وخشية من تدابير الحجر الصحي التي قد تتخذها السلطات المحلية، فقد اخفت العشائر العربية للدغارة المعلومات بخصوص اندلاع الطاعون.

وقد لوحظ انه حالما ضرب الطاعون الدغارة، عانى الناس المصابين من انهاك كبير، وترنح في حركاتهم، وصداع وعطش شديد، وقيء، سحنوب في الغالب بدم اسود. كما لوحظ ايضا ان قوة المرض كانت تتراجع بتقدم الوقت، لكن دورة حياته كانت تستطيل وتظهر لدى المصابين دمامل وخراجات. ومن خلال رصد لعينات من الاشخاص الذين لقوا حتفهم من الداء، تبين ان الوفاة كانت تحدث اما بعد خمسة او ستة ايام او في نهاية الاسبوع الثالث، وان المريض كان يمر قبل وفاته بغيبوبة تستغرق تقريبا اثنتي عشر ساعة. ومع ان بعض المصابين في الدغارة تماثلوا للشفاء، فقد تواصلت الوفيات فيها باعداد كبيرة لمدة شهرين ونصف[2].

وانفجر الطاعون لاحقا بين العشائر العربية لمنطقة حفج (او حفك) الواقعة بين الدغارة والديوانية في 15 آذار 1874. وبحلول يوم العشرين من مايس، تكبدت هذه العشائر اكثر من الف وفاة. وبالكاد ان بقي عشرة بالمئة من اولئك الذين أصيبوا بالوباء على قيد الحياة. لقد فقدت تلك العشائر، التي قدر نفوسها يومذاك نحو 35.000 نسمة، 2.000 شخص في غضون ثلاثة اشهر[3]. وضرب

1 "Dictionnaire Encyclopédique des Sciences Medicales", Tome Huitieme. P. 169.
2 Sticker, P. 332.
3 Sticker, P. 332.

sharif mahmoud

الوباء النيرانية في 13 نيسان واستمر لغاية 9 حزيران، قائلا فيها نحو 794 شخصا. وهاجم الطاعون كذلك ناحية المدحتية في شهر نيسان، حيث سُجلت هناك 120 وفاة. واندلع الطاعون في الحلة، وسلطان منصور، والجزيرجية، وام البعرور، وطويريج، والنجف وكربلاء في المدة من 1 مايس الى 25 حزيران. وقد اخذ الوباء ارواح عدد قليل جدا من الناس في مدينتي كربلاء والنجف[1]. وبدءا من شهر حزيران، بدأت قوة الطاعون بالانحطاط التدريجي ثم مالبث ان توقف كليا[2]. تراوح عدد سكان المناطق التي هاجها الطاعون بين 80.000 و90.000 نسمة. لقد قُدر الرقم الاجمالي للوفيات في تلك المناطق بنحو 4000 شخص[3]، بينما كان عدد الوفيات المعلنة 3035 شخصا (انظر: جدول-11).

جدول-11 (وفيات الطاعون في بعض المناطق الجنوبية لولاية بغداد 1873-1874)[4]

القرية او المنطقة	عدد النفوس	تاريخ اندلاع الوباء	الوفيات المعلنة	الملاحظات
الدغارة والقرى المجاورة	35.000	كانون الأول 1873 - حزيران 1874	2.000	-

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", P. 94; Sticker, P. 332.
2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 258.
3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169; Sticker, P. 333.
4 Table data are entirely derived from a table given by doctor Castaldi in his report, which was published in Istanbul in 1875. Quoted in:"Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", P. 94.

sharif mahmoud

المدينة او المنطقة	عدد السكان	تاريخ اندلاع الوباء	الوفيات المعلنة	الملاحظات
مركز مدينة الديوانية واطرافها	6.000	13 نيسان – 9 حزيران 1874	794	من المحتمل 1200 وفاة
الحلة	20.000	13 مايس – 9 حزيران 1874	5	–
سلطان منصور والجزيرية	1.500	17 مايس – 13 حزيران 1874	82	–
ام البعرور	1.500	17 مايس – 13 حزيران 1874	8	كل الحالات الواحدة كانت بين هيئة الشرطة
طويريج	2.000	10 مايس – 13 حزيران 1874	1	–
النجف	4.000	1 مايس – 13 حزيران 1874	22	الوفيات بين الايرانيين غير معروفة
المدحية	700	نيسان–مايس 1874 (18 يوما)	120	–
كربلاء	10.000	25 حزيران 1874 (يوم واحد)	3	–
العدد الكلي للوفيات المعلنة			3.035	
الوفيات المقدرة			4.000	

sharif mahmoud

طاعون الديوانية ومناطق اخرى (كانون الاول 1873ـ حزيران 1875):

اندلع الطاعون مرة اخرى في مركز مدينة الديوانية في كانون الاول 1874. وبينما قُدر عدد سكان المدينة آنذاك بنحو 2.500 نسمة، سلب الوباء ارواح 400 شخص منهم[1]. ولقد انتدبت سلطات بغداد الصحية الجراح البريطاني كوليل للتحقق من الوباء وفحص عينات من المصابين. وبعد زيارات قام بها للعديد من البقع التي ضربها الوباء، اعلن كوليل ان المرض كان طاعونا مؤكدا[2]. وانتشر الداء بالفاء شط الحي في كانون الثاني 1875، ومضى الى ابعد من ذلك نحو سهل دجلة. وقد فقد عرب التفك (الناصرية)، الذين كانوا يعيشون الى الجنوب من قبائل خفج، بين ثلاثة وتسعين وخمسة وتسعين شخصا من اصل مئة سبق لهم ان أصيبوا بالوباء. ثم انفجر الوباء في شباط في كل بدير التي تقع الى مسافة تبعد نحو 12 ميلا (19 كم) عن هورخفج[3]. وهاجم الطاعون في بداية شهر آذار الفوار، التي كانت آنذاك قرية يبلغ عدد سكانها نحو 250 نسمة، حيث قتل فيها ثلاثة واربعون شخصا. وضرب الطاعون الشنافية ايضا، التي كان نفوسها آنذاك يربو على الف نسمة. وقد لقي 108 اشخاص من اهلها حتفهم في بداية مايس. وضرب الوباء ايضا منطقة الحي في الكوت في نيسان، حيث اهلك بحلول شهر مايس 500 شخص من اهليها. وقهر الطاعون في

1 Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1879), PP. 20-21.

2 John Wortabet, A Short of the Recent Visitation of the Plague in Baghdad and its Vicinity, 1867-1877, "Edinburgh Medical Journal", Vol. XXV (25), Part1: July to December 1879, (Edinburgh: Oliver and Boyd, 1880), PP. 222-223.

3 Sticker, P. 333.

sharif mahmoud

الشطرة في منتصف نيسان وتفاقم طوال شهر مايس. ووصل الداء الى الناصرية قادما من الشطرة، حيث قتل هناك ثلاثين شخصا بحلول منتصف مايس. وانتشر الطاعون في سوق الشيوخ في آذار، فاتلا نحو 200 شخص. لكن بحلول شهر مايس، لم تعد تسجل هناك اية وفيات. لقد شكلت المنطقة التي ضربها الطاعون مثلثا نقطة الاولى في الكوت على دجلة، والثانية في الشنافية بالديوانية، والثالثة في سوق الشيوخ بالناصرية (انظر الخارطة في ملحق - 1). وقد هاجم الطاعون نصف القرى التي تضمنتها هذا المثلث. وفيما بعد بدأ الطاعون بالانحطاط التدريجي ثم توقف تماما بين نهاية مايس و10 حزيران 1875[1]. ولاتتوفر، في الواقع، ارقاما رسمية بشأن الوفيات في المنطقة المستهدفة[2]. لكن طبقا لكوانفيل، فقد بلغ العدد الكلي المقدر للوفيات نحو 4.000 شخص، او ما نسبته 13٪ من سكان القرى المصابة[3].

طاعون الحلة ومناطق اخرى (منتصف تشرين الثاني 1875 - تموز 1876)

انتشر الطاعون في بعض قرى الفرات الاوسط الى الجنوب من بغداد في خريف عام 1875. وفي احدى هذه القرى الواقعة الى الشمال الشرقي من الحلة والتي كانت تشغلها ثمان عوائل، قتل الطاعون كل افرادها باستثناء امرأة طاعنة في السن. كما ضرب الطاعون قرية اخرى تقع الى الجنوب من الحلة تقطنها عشيرة البوسلطان. وقد قتل الطاعون في غضون اسبوع ثمانين شخصا من مجموع اربعمائة من افرادها[4]. وهاجم الطاعون ايضا مدينة الحلة في كانون الثاني

1 Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, PP. 20-21.
2 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 286.
3 Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, PP. 21.
4 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 286.

sharif mahmoud

1876، لكن على هيئة التهاب رئوي غدي عميت[1]. وقد لاحظ طبيب الماني عدم في العراق لمدة خمس سنوات، ان الطاعون الذي انتشر في الحلة في المدة من شباط الى نيسان قد تميّز باعراض سعال مصحوب بالدم، وتقيؤ مواد خضراء اللون، وصداع، وحمّى مستمرة، وآلام حادة في الكتف. كما لاحظ ايضا ان مدة دورة المرض كانت تستغرق بين يوم وثلاثة ايام[2]. لقد قُدر العدد الكلي للاصابات في الحلة، التي كانت يومذاك مدينة يبلغ عدد نفوسها قرابة 15.000 نسمة، نحو 1826 شخصا (889 رجلا و937 امرأة). ويُبين الجدول ادناه، الذي يضم 1826 حالة كانت قد شُخصت وسُجلت من قبل الدكتور جيوفاني كاياندس في الحلة، ان نسبة الوفيات بلغت 52.6٪ (انظر جدول-12).

جدول-12 (بيان تحليلي بخصوص 1826 حالة لرحظت من قبل الدكتور كاياندس في الحلة اثناء تفشي طاعون عام 1876)[3]

العمر	العدد	الجنس	النتيجة
من شهرين الى 9 سنوات	277	-	-
من 10 سنوات الى 19 سنة	617	-	-
من 20 سنة الى 29 سنة	432	-	-

1 Sticker, P. 333.

2 "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin". Unter Mitwirkung Zahlreicher Gelehrten. Herausgegeben von Rud. Virchow und Aug. Hirsch, XIV. Jahrgang: Bericht für das jahr 1879, (Berlin: Verlag von August Hirschwald, 1880), P. 17.

3 Quoted in: E.D. Dickson, The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 52.

sharif mahmoud

العمر	العدد	الجنس	النتيجة
من 30 سنة إلى 39 سنة	292	-	-
من 40 سنة إلى 49 سنة	123	-	-
من 50 سنة إلى 59 سنة	52	-	-
من 60 إلى 69 سنة	18	-	-
من 70 سنة إلى 79 سنة	11	-	-
من 80 سنة إلى 89 سنة	3	-	-
رجل مسن يعمر 113 سنة	1	-	-
المجموع	1826	ذكور: 889 إناث: 937	المتوفون: 865 الموتى: 961

وظهر الطاعون لاحقا في الكفل، والكوفة، والمسيب، وطويريج، وكربلاء، والديوانية، والسماوة، والناصرية، وسوق الشيوخ، والكوت، والعزيزية[1]. ووصل الداء الى بغداد في منتصف آذار[2]، مهاجما الاحياء الاكثر فقرا في المدينة. لقد كان ظهور الطاعون الاستهلالي في بغداد خفيفا، لكن سرعان ما تصاعدت حدته واصبح اكثر فتكا في الاسابيع الاخيرة من شهر آذار. وشهد نيسان ذروة الوفيات عندما لقي 69٪ من المصابين بالداء حتفهم. وقد تراجعت الوفيات قليلا في مايس حين قضى 39٪ من المصابين نحبهم. لقد اشتملت اعراض الوباء بوجه عام على دماميل وخراجات وآلام حادة في الابطين والغدد التكفية[3].

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 170.
2 Sticker, P. 334.
3 "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin", P. 17.

sharif mahmoud

والفخذين والرقبة. و كان هناك في جميع الحالات ارتفاع حاد بدرجة حرارة الجسم يتوافق مع خطورة الحالة. وغالبا ما كانت الوفاة تحدث في اليوم الرابع او الخامس للمرض. اما العلاجات التي أستخدمت آنذاك في بغداد والخلة، فقد تضمنت وسائل لتخفيف حدة التورمات، بالاضافة الى ادوية تحتوي على حامض الكربوليك او سلفات الكينين. وكان لهذه العلاجات نتائج طيبة في حالات معينة، بينما هي لم تُجد في حالات اخرى، ان لم تكن ضارة[1]. وقد توقف الوباء تماما خلال صيف العراق اللاهب، عندما سجل الحرار درجة 45 او 50 مئوية (113 او 122 فهرنهايت)[2].

ويظهر جدولا اعده الجراح البريطاني كولنيل بخصوص 534 حالة حدثت اثناء هجوم الطاعون على بغداد في عام 1870، شدة الحمى الوبائية، واعمار الضحايا، وجنسهم. وطبقا للجدول، فان معظم الوفيات حدثت فيمن الايام الثلاثة الاولى للهجمة. فمن بين 534 حالة، سُجلت 311 وفاة اثناء تلك الايام او نحو 58٪ من الخسائر في الارواح. وكانت اغلب حالات الوفاة تلك لعود لاشخاص تراوحت اعمارهم من عام الى ثلاثين عاما. كما اظهر الجدول ايضا، ان 215 طفلا ورجلا وامرأة شكلوا تقريبا 40٪ من الوفيات في الايام الثلاثة الاولى للهجوم. ومن حيث جنس الضحايا، فقد هاجم الطاعون النساء اكثر من الرجال. فمن بين 534 حالة، اهلك الطاعون 301 امرأة، و 233 رجلا (انظر: جدول-13).

---

1 (B.M.J), Vol.1, No. 949, March 6, 1875, PP. 339-341.
2 Dickson, The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, P. 51.

sharif mahmoud

جدول-13 (دورة المرض بخصوص 534 حالة لاعمار مختلفة اثناء تفشي الطاعون في بغداد في عام 1876)[1]

العمر بالسنوات	جنس المصاب	الفترة التي تستغرقها الوفاة بالأيام بعد الهجوم الوبائي																				المجموع
		1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	ملونة من ذلك	
سنة فما دون	ذكر	2	1	1	-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	5
	انثى	4	1	2	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	8
من سنة الى 12	ذكر	17	12	15	11	11	3	2	-	-	-	-	-	-	-	-	-	2	-	-	-	73
	انثى	23	22	21	15	7	5	-	1	4	-	-	-	-	-	-	-	5	-	-	-	103
من 12 الى 30	ذكر	24	13	10	11	12	7	1	5	3	3	4	-	-	-	-	-	-	-	-	-	97
	انثى	24	9	10	14	9	5	6	4	4	1	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-	95
من 30 الى 40	ذكر	5	5	7	4	4	1	1	-	-	-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-	29
	انثى	14	5	8	7	7	2	-	2	-	-	1	1	-	-	-	-	-	-	-	-	50

1 Table data are derived from: Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1876-1877, PP. 62-63.

sharif mahmoud

الفترة التي تستغرقها الوفاة بالأيام بعد الهجوم الوبائي															
العمر بالسنوات	جنس المصاب	1	2	3	4	5	6	7	8	10	12	16	20	مقاربة من 40	المجموع
من 40 الى 60	ذكر	2	5	6	4	1	-	-	1	2	1	-	-	-	22
	انثى	0	5	7	1	7	2	1	1	1	1	-	-	-	30
من 60 الى 80	ذكر	-	-	3	2	1	-	1	-	-	-	-	-	-	7
	انثى	2	-	1	2	1	-	-	-	-	-	-	-	-	6
المجموع للجنسين	ذكر	50	58	47	32	29	13	5	6	5	6	-	3	-	233
	انثى	76	42	58	44	31	14	7	8	9	3	1	8	-	301
المجموع العام	---	176	100	105	76	60	28	12	14	14	9	1	11	-	534

ولقد عزا الجراح البريطاني كوالفيل النسبة العالية للوفيات بين النساء لأسباب اجتماعية. لقد اعتقد كوالفيل ان المجتمع في العراق، حيث تعدد الزوجات معترف به من قبل الاسلام، قد اعطى الفقراء، الذين تزوجوا

sharif mahmoud

بالطاعون اكثر من اغنياء بغداد، الفرصة لان يكون لديهم اكثر من زوجة في بيوتهم[1]. على اي حال، فان طبقا لتقارير السلطات الصحية المحلية لبغداد، فان 4570 اصابة و2616 وفاة سُجلت في المدينة والمناطق المجاورة من 13 آذار ولغاية 5 تموز 1876 (انظر: جدول-14).

جدول-14 (اصابات ووفيات الطاعون في بغداد في عام 1876 طبقا لبيانات رسمية قدمتها دوائر الصحة العثمانية في العراق للقنصليات الاجنبية)[2]

التاريخ	الاصابات	الوفيات
لغاية 13 آذار 1876	5	2
16-20 آذار	29	15
21-27 آذار	119	45
28 آذار – 1 نيسان	145	75
2-8 نيسان	256	169
9-15 نيسان	455	267
16-23 نيسان	535	336
23-29 نيسان	609	399
30 نيسان- 6 مايس	643	409
7-13 مايس	480	341
14-20 مايس	457	234
21-27 مايس	304	162

1 Ibid, P. 41.

2 Table data are derived from: "Memorandum by MR, Norton Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 289.

sharif mahmoud

التاريخ	الاصابات	الوفيات
28 مايس – 3 حزيران	311	76
4–10 حزيران	132	69
11–17 حزيران	79	12
18–24 حزيران	7	3
25 حزيران – 2 تموز	4	2
العدد الكلي	4.570	2.616

طاعون العزيزية وبغداد (آذار حزيران 1877):

قبل تفشي الطاعون في عام 1877، أبلغ عن حدوث حالات اصابة بالوباء في بغداد في بداية كانون الاول 1876، لكنها كانت خفيفة ومتقطعة[1]. وبسبب لواصل ظهور هذه الحالات الخفيفة والمتناثرة للطاعون من حين لآخر، استنتج البعض بان التفشي الوبائي لعام 1877 كان امتدادا لطاعون عام 1876[2]. وفي الواقع، انه من غير المنطقي القبول بهذا الاستنتاج، لان الفاصل الزمني بين التفشيين كان تقريبا ثمانية اشهر، فضلا عن ان المنطقة التي ضربها الطاعون في عام 1877 كانت محدودة جدا، مقارنة بالمنطقة الواسعة المصابة لعام 1876.

لقد حدثت الحالات الاولى للطاعون في قضاء العزيزية الى الجنوب من بغداد في 15 كانون الثاني 1877. وسجلت اصابتين في بغداد في 17 من الشهر ذاته. كما تم الابلاغ عن حالات اصابة اخرى في شباط وبداية آذار. وقد بلغ

1 Wortabet, P. 224.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 170.

sharif mahmoud

الوباء فدونه في المدة من منتصف آذار ولغاية نهاية مايس، اذ سُجلت 790 وفاة في آذار و756 حالة وفاة اخرى في مايس. لقد شكلت هذه الارقام مايقرب من 95٪ من العدد الاجمالي للوفيات. ومنذ منتصف حزيران بدأ الطاعون بالانحسار بشكل كبير[1]، بحيث لم يمض تموز الا وقدت بغداد نظيفة تماما من الوباء[2].

ويبدو الارقام التي اعطتها بعض المصادر بشأن الوفيات الناجمة عن تلك المحنة الوبائية للطاعون مشوشة وحائرة للجدل. فقد اعتقد رحالة زار بغداد بأن عدد وفيات الطاعون في بغداد كان 5.000[3]. بينما اوضح جون وربست، طبيب وعالم اوبئة عمل في مستشفى في بيروت، ان السلطات الصحية لبغداد قد اخفت الاسباب الحقيقية لبعض الوفيات، وان الطاعون قد اعلنك ما لايقل عن 2.000 شخص. علاوة على ذلك، اشار وربت الى ان عدد سكان بغداد كان يضم آنذاك نحو 50.000 مسلم، و30.000 يهودي، و2.000 مسيحي، وانه بسبب مغادرة الطائفة الاخيرة لبغداد فور ظهور الطاعون، فأن العدد الكلي للوفيات يجب ان يُقسّم بين المسلمين واليهود[4]. وللحقيقة، فانه طبقا لسالنامة بغداد لعام 1877، كان العدد الكلي لسكان سنجق بغداد، بما في ذلك مركز ولاية بغداد والمناطق الادارية الاخرى الملحقة به، نحو 61.506 نسمة موزعين على النحو الآتي: 47.464 مسلما، و9.618 يهوديا، و1.324 مسيحيا، و3.100 من افراد القبائل (كلهم من المسلمين)[5]. اذن، انه يبدو من المتعذر ان نُقسّم الوفيات بين

1 "Memorandum by MR. Norton Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 292.
2 (B. M. 3), Vol.2, No. 863, July 14, 1877, P. 51.
3 Geary, PP. 130-131.
4 Worsbet, P. 224.
5 "سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، محرم 1294 هجرية/ 1877 ميلادية)، ص ص 126-127.

sharif mahmoud

المسلمين واليهود بالتساوي، بالرغم من ان عددا كبيرا من اليهود قد قضوا نحبهم اثناء الفجعة الوبائية، كما يبين ذلك الرحالة غراتان جيري[1]. ومهما يكن من امر، فأن استنادا للارقام التي ذكرتها سلطات بغداد الصحية، فان العدد الكلي للخسائر في الارواح الناجة عن الطاعون، للفترة من 26 كانون الثاني ولغاية 16 حزيران 1877، كان يربو على 1.626 حالة وفاة[2].

طاعون الشامية والنجف ومناطق اخرى (ايلول 1880ـ حزيران 1881):

ضرب الطاعون عشيرة آل زياد في قضاء الشامية الواقع على الضفة اليمنى للفرات في اواخر ايلول 1880[3]. وقد تضمنت اعراض المرض فقدان كبير للشهية، وحمّى عالية، وعطش، وصداع، واسهال، وقيئ مصحوب بالدم، وتبول دموي، وتورمات في الابطين والفخذين، وهزال، ومن ثم غيبوبة تقود الى الوفاة في غضون ثمانية عشر، او اربع وعشرين، او ثمان واربعين ساعة[4]. واثناء تفشيه الوبائي، نشر الطاعون نفسه مثل بُقعة زيت كما وُصف، ولم يترك للآخرين اي مكان خال من هجومه القاتل. وفي تشرين الثاني تنقل الوباء الى الشنافية. ومن ثم ظهر في ناحية الجعّارة (الآن الخيرة) في ابو صخير في كانون

1 Geary, PP. 130-131.

2 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 292.

ومن الجدير بالذكر ان الرقم الكلي للخسائر بالارواح الذي اعطاه رادكليف في مذكرته قد حُسب خطأ على انه 1672 حالة وفاة.

3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Deuxieme Serie: L - P, Tome: Vingt-Troisieme: PER - PHA, (Paris: G. Masson & Asselin et Houzeau, 1887), P. 664; "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", Vingt-Huitieme Annee, 15 Avril, 1881, (Paris: G. Masson, 1881), P. 243.

4 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.

sharif mahmoud

الثاني 1881[1]. وخلول الخامس والعشرين من آذار، قتل الطاعون في هذه المدينة الصغيرة 350 شخصا من بين 1.200 شخص، وهم العدد الكلي المقدر لسكان الجعّارة يومذاك. اما النجف، التي كانت آنذاك مدينة يعدد سكان يتراوح بين 6.000 و8.000 نسمة، فلم تعاني في بداية الهجوم الوبائي من خسائر كثيرة في الارواح. فحسبما ذُكر أُحصيت هناك بين 25 و30 وفاة[2]. لكن الخسائر في الارواح ازدادت في النجف لاحقا بشكل سافت للنظر. فلغاية 20 نيسان، تفي من سبعين الى ثمانين شخصا حتفهم هناك يوميا[3]. وطال الداء ايضا ابو صخير والكوفة، حيث سُجلت ارقاما مرتفعة في الوفيات. وعلى اثر ذلك، ارسلت الحكومة العثمانية في استانبول، التي اعلنت حالة الانذار لهذا الهجوم الوبائي، برقية الى سلطات بغداد الهلية تأمرها باتخاذ التدابير الصحية الصارمة لمنع الوباء القاتل من التغلغل الى مناطق اخرى. وامتثالا للاوامر، اصدر والي بغداد تعليماته للاطباء، الذين سبق وان أرسلوا الى المناطق التي ضربها الطاعون لغرض تأسيس نطاق صحي لعزل المناطق الموبوءة، ان يقوموا بتأسيس نطاق صحي ثاني مؤلف من حرس مدربين، وجندرمه (افراد شرطة)، وجنود وفرسان لعزل كل المناطق الواقعة الى الشمال من كربلاء، واعتراض اي اتصال بين النهر والمناطق الواقعة الى الشرق. كما أُتخذت خطوات وقائية اخرى لايقاف تمدد الوباء، تضمنت احراق الاكواخ المصابة، وحرق قطعان الماشية، واخلاء القرى والبيوت... الخ[4]. وقد تراوحت نسبة الوفيات في تلك المناطق التي ضربها

1 (B. M. J), Vol. I, No. 1050, April 9, 1881, P. 566.
2 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.
3 (B. M. J), Vol.I, No. 1057, April 2, 1881, P. 525; "Revue d'Hygiene et de Police Sanitaire", Troisieme Annee, (Paris: 1881), P. 456.
4 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 243.

sharif mahmoud

الطاعون بين ربع وخمس السكان[1]. ولان الصيف الحار جدا للمعراق كان قاتلا لمحترقا على الدوام للطاعون، فقد تضائل نشاطه مع بداية الموسم ثم مالبث ان توقف تماما في نهاية حزيران 1881[2].

طاعون بدرة وجصان وزرباطية ومندلي (شباط – تموز 1884):

بعد تحققه من طبيعة واعراض الداء، أيقن مفتش صحة بغداد في بداية شباط 1884 بأن الوباء الذي تفشى في مناطق بدره وجصان وزرباطيه ومندلي الواقعة الى الشرق من بغداد بمحاذاة الحدود العراقية-الايرانية، كان طاعونا مؤكدا[3]. وقد ضرب الطاعون لاحقا العشائر العربية التي تجولت او استقرت الى جوار المناطق المنوهة[4]. ومع ان الطاعون الذي هاجم تلك المناطق لم تضنيفه على أنه من النوع الدملي الحاد، الا انه كان محصورا ضمن نطاق محلي[5]. وقد اقترن المرض، مثلما لوحظ، بنزف متكرر، وتقيؤ مصحوب بالدم، وسعال حاد، ووفاة سريعة للمصاب في العديد من الحالات[6]. وحدثت في تلك الأونة كارثة طبيعية فاقمت عواقب هذا التفشي الوبائي. اذ فاض نهر دجلة محولا بغداد الى جزيرة، ولذلك احتاجت اية مساعدة حكومية الى ثمانية ايام على الاقل

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 604.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169.
3 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 604.
4 (B. M. J), Vol.1, No. 1203, May 17, 1884, P. 964.
5 "Journal de'Hygiene", Vol.13, No. 624, Jeudi, Septembre 6, 1888 (Paris: 1888), P. 422.
6 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 604.

sharif mahmoud

للوصول الى الاماكن التي ضربها الوباء[1]. وبحلول موسم الصيف، بدأ الطاعون بالتراجع التدريجي لغاية ان انتهى تماما في تموز 1884[2].

طاعون عفج (مظلم) (بين آذار 1892 وحزيران 1893)

حدث اندلاعان، لكن على نحو منقطع، للطاعون في العراق خلال المدة بين آذار 1892 وحزيران 1893. وطبقا لتقرير صحي امريكي، كانت ناحية عفج في سنجق الديوانية البؤرة التي ضربها الوباء في كلا الاندلاعين[3]. وقد صنّف الطاعون الذي ضرب الناحية في آذار من عام 1892، بانه كان خفيفا واعراضه القليلة تضمنت حمّى عالية، وتدامل، وبقع جلدية وجمرات[4]. وقُدرت وفيات الطاعون بنحو 630 شخصا من بين 4.000 نسمة، شكلوا يومذاك العدد الكلي التقريبي لسكان عفج[5]. وقد اعلن سريدين زافتزيانو، القومس الصحي للولايات المتحدة في استانبول في حزيران 1892، بأن الطاعون في العراق قد اختفى في الغالب[6]. لكن القومس الامريكي ذاته اعلن مجددا في كانون الثاني 1893، بأن طبيب صحة بغداد افاد استانبول باندلاع جديد للطاعون في عفج في اواخر كانون الاول 1892[7]. وعلى ما يبدو ان هذا التفشي الخفيف

1 (B. M. J), Vol.1, No. 1206, May 17, 1884, P. 904.
2 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome: Vingt-Troisieme, P. 664.
3 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 5, February 5, 1893, P. 71.
4 (W. A. S. R.), Vol. 7, No. 25, June 17, 1892, P. 268; "Revue Generale de Clinique et de Therapeutique Journal des Praticiens", Dixieme Annee, (Paris: 1896), P. 271
5 "Revue Scientifique", Tome: V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896), P. 604.
6 (W. A. S. R.), Vol. 7, No. 29, July 15, 1892, PP. 330-331.
7 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 5, February 5, 1893, P. 71.

sharif mahmoud

والمتقطع للطاعون قد تواصل في العراق لغاية حزيران 1893، اذ اعلنت التقارير الصادرة عن سلطات بغداد الصحية وقتذاك خلو البلاد من الداء[1].

طاعون البصرة (نيسان 1897 – حزيران 1899):

عُدّ العراق وفقدة سبع سنين (1893–1900) بلدا نظيفا من الطاعون باستثناء حالات قليلة متفرقة حدثت في البصرة. فقد اعلنت القنصليتان الامريكيتان في بغداد وطهران في تشرين الاول 1896 ان طاعونا فتاكا ضرب بومبي في الهند[2]. ولقد اثار هذا الحدث مخاوف الحكومات الاوربية من امتداد الطاعون الى ديارهم. لهذا السبب، تم عقد المؤتمر الصحي الدولي في البندقية بايطاليا، للمدة من 16 شباط الى 19 آذار 1897، لتحري الوسائل ومناقشة الخطوات اللازمة لمنع طاعون الهند من بلوغ اوربا. ومن اجل تعزيز الدفاعات الصحية العراقية ضد تقدم محتمل للطاعون من الهند، اوصى المؤتمر بتأسيس محطات صحية عند مدخل الخليج العربي وفي البصرة[3].

وبالرغم من كل التدابير الصارمة التي اتخذتها السلطات الصحية العثمانية لوقف انتشار الوباء، فقد حدثت وفاة بالطاعون في البصرة في نيسان 1897. وللحقيقة، فانه باستثناء هذه الحادثة، لم تلاحظ اية حالة مرضية اخرى[4]. ازاء ذلك، اعرب اغلب المفوضين الصحيين الاوربيين في استانبول عن تفاؤلهم بانه لم تعد لديهم مخاوف بشأن انتشار الطاعون في الامبراطورية العثمانية عبر ولاية

1 (W. A. S. R.), Vol. 6, No. 24, June 16, 1893, P. 479.
2 (P. H. R), Vol.11, No. 48, November 27, 1896, P. 1110. (P. H. R), Vol.11, No. 50, December 11, 1896, P. 1157.
3 (P. H. R), Vol.12, No. 19, May 7, 1897, P. 457.
4 (P. H. R), Vol.12, No. 18, April 30, 1897, P. 434.

sharif mahmoud

البصرة، لكن المقوض الصحي للولايات المتحدة كانت لديه وجهة نظر مغايرة، اذ صرح قائلا: " انه ليس هناك شيء يمكن ان يضمن لنا ... ان الطاعون سوف لن يظهر ثانية في تلك الولاية"[1].

وقد سُجلت حالات قليلة للطاعون في البصرة في مايس 1899، عندما وصلت سفينة بخارية من جدة كان على متنها حجاجا ومسافرين. لقد سُجيّت وسط هؤلاء ست جثث لعود لاشخاص قضوا اثيهم من الطاعون اما خلال الرحلة او على الساحل[2]. كما سُجلت حالة اضافية اخرى في البصرة في حزيران 1899، عندما توفي شخص هندي من التبعية البريطانية من الطاعون الدملي[3].

طاعون السليمانية (آذار-حزيران 1900):

لم تستمر هذه التأثرات الطاعونية المحدودة الاثر على هذا المنوال، اذ سرعان ما عاود الوباء انتشاره في العراق في ربيع عام 1900. اذ تفشى الطاعون في 5 آذار في ثلاث قرى حدودية ايرانية تقع على مسافة قريبة جدا من سنجق السليمانية في كردستان العراق[4]. ودمر الطاعون قريتين حدوديتين في السليمانية في اواخر آذار[5]. وفي سياق التفشي ذاته اعلنت دائرة صحة بغداد بأن الطاعون

1 (P. H. R), Vol.12, No. 47, November 19, 1897, P. 1414.

2 (P. H. R), Vol.14, Nos. 25 & 26, for the days: June 23 and 30, 1899, PP. 975, 1027; J. M. Eager, The Present Pandemic of Plague, Treasury Department, Public Health and Marine-Hospital Service of the United States, (Washington: Government Printing Office, 1908), P. 6.

3 (P. H. R), Vol. 14, No. 31, August 4, 1899, PP. 1247-1248.

4 (P. H. R), Vol. 15, Nos. 16 & 18, for the days: April 20, May 4, 1900, PP. 925, 1100.

5 (A. N. A), Roll 2, Vol. 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Dispatch No. 141, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 21-23.

sharif mahmoud

ساد في قرية دبلتاوة[1] في 1 نيسان، حيث توفي فيها 70 شخصا. كما هاجم الطاعون كذلك قرى اخرى مجاورة[2]. واكتشفت دائرة صحة بغداد في منتصف نيسان وجود الطاعون في ثماني قرى في السليمانية[3]. وفي تقريره المؤرخ في 25 نيسان، اعلن القومسير الصحي للولايات المتحدة في استانبول بأن طاعونا دمّليا قد تفشى في مدينة كِلعنبر[4] في السليمانية.[5] على اي حال، كان تفشي الطاعون في عام 1900 خفيفا وقصيرا بوجه عام في بعض المناطق الكردية الواقعة على الحدود العراقية-الايرانية. وقد اختفى الداء من هذه المناطق في حزيران من العام المذكور، ولم تتجاوز فاتحة وفياته 180 شخصا[6].

طاعون البصرة وبغداد (اواخر نيسان 1901 – اواخر شباط 1902):

الدمّل في العراق، ولهذا قرابة عام، نوع خفيف ومتقطع من الطاعون. ففي نشرتها التي قدمتها الى القنصلية الامريكية في اواخر نيسان 1901، اعلنت دائرة صحة بغداد، استنادا لتشخيص قامت به السلطات الصحية في البصرة، بأن طاعونا قد انتشر في المدينة[7]. وفي تقريره المؤرخ في 4 مايس 1901، اشار جي. أم

---

1 الاسم القديم لمدينة الحلبجة في دهلان

2 (P. H. R), Vol. 15, No. 18, May 4, 1900, P. 1100.

3 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 144, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 27-28.

4 الاسم القديم لمدينة خورمال في السليمانية

5 (P. H. R), Vol. 15, No. 20, May 18, 1900, P. 1226.

6 (P. H. R), Vol. 15, No. 26, June 29, 1900, P. 1679.

7 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 165, dated May 2, 1901, Subject: Plague, Serial number: 96-97; Eager, P.9.

sharif mahmoud

أيضاً، كبير الجراحين الذي كان يعمل في خدمة مستشفى مشاة البحرية الامريكية، الى حدوث ثلاث اصابات بالطاعون في البصرة. وكاستجابة امريكية لهذا التفشي الخفيف، اتخذت تحوطات صارمة اثناء تفتيش المهاجرين القادمين نابلي في ايطاليا الى نيويورك[1]. وفي فحص تلك المدة، تم الابلاغ رسمياً عن وقوع اصابتين بالطاعون في بغداد[2]. وفي 6 مايس، توفيت امرأة كردية بعمر ثلاثين عاما في بغداد كانت زوجة لبائع ملابس قديمة. وكأجراء وقائي، وضع كل الاشخاص الذين كانوا على اتصال بتلك المرأة تحت رقابة صحية صارمة[3]. وبينما اختفى الطاعون من البصرة في اواخر حزيران 1901[4]، واصل نشاطه في بغداد، لكن على نحو متقطع. وقد عاود الطاعون ظهوره في العراق في الخريف بعد توقف مؤقت له في الصيف، حيث سُجلت بعض الحالات[5]. وقد بعث القنش الصحي لبغداد برقية الى استانبول في بداية عام 1902، يبلغها بان السلطات الصحية في بلاده لديها شكوك بشأن مرض تسبب في بعض الوفيات في بغداد. وبالرغم من ان خطوات وقائية عدة قد أتخذت من قبل السلطات الصحية لمواجهة المرض، الا ان الاطباء لم يكن بمقدورهم التحقق من نوعه وطبيعته. وقد قيض لواحد فقط من هؤلاء الاطباء في 16 كانون الثاني 1902 من تشخيص المرض بانه طاعون. وفي منشور صادر عن دائرة صحة بغداد بتاريخ 22 كانون الثاني، تم اعلام كافة القنصليات الاجنبية، بضمنها الامريكية، بأن المرض الذي ضرب

1 (F. H. R), Vol. 16, No. 22, May 31, 1901, PP. 1231-1232.
2 (B. M. J), Vol. I, No. 21, May 4, 1901, P. 1092.
3 (F. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, P. 1350.
4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 166, dated July 4, 1901, Subject: Plague in Basra, Serial number: 99-99.
5 (F. H. R), Vol. 17, No. 10, March 7, 1902, P. 535.

sharif mahmoud

بغداد قد كان طاعونا[1]. ومقارنة بتقشيات سابقة، كانت قائمة الوفيات جراء الوباء خفيفة نسبيا. فقد سُجلت في المدة بين 22 كانون الاول 1901 و20 كانون الثاني 1902 ثمان حالات في المدينة[2]. ولم تكن هناك لغاية 10 شباط، اكثر من اربعة عشر اصابة وعشر حالات وفاة تم الابلاغ عنها[3]. وطبقا لرسالة بعث بها القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة خارجية بلده، مؤرخة في 27 شباط 1902، فأن دائرة صحة بغداد اعلنت عن اختفاء الطاعون من المدينة خلال الشهر المذكور[4].

طاعون الربيع (نيسان-مايس 1903):

من المفترض ان هذا الطاعون كان قد دخل العراق من ايران[5]، حيث ساد هناك بعض في ربيع عام 1903 بين افراد من عشيرة بني طرف في الخويزة. ومع ان السلطات العثمانية اوقفت كل الاتصالات مع الحدود الايرانية قرب نهر دجلة لتمنع تسلل الطاعون الى ممتلكاتها[6]، الا ان الوباء تخلغل على ما يبدو الى

1 (P. H. R), Vol. 17, No. 9, February 28, 1902, P. 488; (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 174, dated January 23, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 123-125.

2 (P. H. R), Vol. 17, No. 10, March 7, 1902, P. 535.

3 (P. H. R), Vol. 17, No. 13, March 28, 1902, P. 713.

4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David I. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 176, dated February 27, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 128-129.

5 (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889.

6 Bruce Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04, Presented to Both Houses of Parliament by Command of His Majesty", (London: Darling & Son, 1905), P. 251; Enger, PP. 10-11.

sharif mahmoud

جنوبي العراق وظهر في الزبير في البصرة في نيسان 1903، حيث حصدت العديد من الوفيات[1].

لقد اثار ظهور الطاعون في الزبير جدلاً محتدما بين الهيئات الصحية في البصرة بشأن طبيعة المرض. فبينما اكد بعض الاطباء انه كان مجرد شكل من اشكال حمّى الضنك، اعلن الجراحين العسكريين العثمانيين الذين أرسلوا إلى ضواحي الزبير، بأن المرض هو مقترن باورام في الغدتين، وحمّى، واعراض عامة للتيفوئيد، ووفاة تستغرق في بعض الحالات من يومين الى سبعة ايام منذ بداية الاصابة. وكانت هذه الظاهر السريرية للمرض تتسق، في الواقع، مع تشخيص الطاعون[2]. على اي حال، لم يستقر هذا الجدل لغاية مايس، عندما تحققت سلطات البصرة الصحية بأن المرض المشابه به الذي ساد في الزبير كان طاعونا دمليا حقيقيا، مثلما اوضح تقرير القنصل الامريكي العام في برلين[3].

وكاستجابة للتفشي الوبائي، امر والي البصرة باتخاذ بعض الاجراءات الوقائية، بضمن ذلك حرق كل الاكواخ والملابس في المناطق المصابة، وتعويض خسائر القاطنين، وانشاء مساكن جديدة لهم في مكان آخر. ولم تكن الزبير في تلك الحقبة المنطقة الوحيدة التي ضربها الطاعون، فان افراد عشيرة المساعدة، القاطنين في المناطق المجاورة، قد أصيبوا ايضا خلال شهري نيسان ومايس بالمرض. وادّت دائرة صحة البصرة في هذه المناطق الخطوات ذاتها التي سبق وان اتخذتها لوقف تفشي الوباء في الزبير[4].

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 22, May 29, 1903, P. 847.
2 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 281.
3 (P. H. R), Vol. 18, No. 24, June 12, 1903, PP. 931-932.
4 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 282.

sharif mahmoud

ومع حقيقة ان الطاعون قد اثبت انه كان قاتلا، الا ان قائمة وفياته في كلا المكانين لم تكن ثقيلة بوجه عام. فعندما بلغ الطاعون في البصرة ذروته في اواخر نيسان، لم تتخطى قائمة الوفيات ستة عشر شخصا[1]. وبحسب بعض التقارير الصحية الامريكية، فانه لغاية 22 مايس، كان العدد الاجمالي للاصابات 40 شخصا، والوفيات 32 شخصا[2]. بينما اشارت مصادر صحية اخرى الى حصول 49 اصابة و40 حالة وفاة منذ بداية الهجوم الوبائي في نيسان ولغاية انتهائه في اواخر مايس. وكان نصيب افراد عشيرة المساعدة من الاصابات القاتلة، لغاية 24 مايس 1903، 13 اصابة[3].

طاعون البصرة وبغداد (حزيران 1907)،

كان العراق في عام 1907 عرضة لانتشار محدود للطاعون. لقد حدثت الوفاة الاولى من المرض في البصرة بتاريخ 1 حزيران 1907[4]. واكد الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة يوم 3 حزيران، وجود الداء في المدينة[5]. وبالرغم من كل التدابير الوقائية التي اتخذتها دائرة الصحة المحلية، فقد تم الابلاغ عن حالات اخرى للطاعون في البصرة يوم 18 حزيران. وفي وقت متزامن، تفشى الطاعون على نحو محدود في بغداد ايضا، حيث تم اشعار السلطات الصحية بوقوع بعض الحالات في 10 حزيران 1907[6]. ولم يستغرق امد التفشيين في بغداد والبصرة اكثر من اسبوعين، اذ انتفى الداء كليا من المدينتين في منتصف

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889.
2 (P. H. R), Vol. 18, Nos. 25 & 26, for the days: June 19 and 26, 1903, PP. 979, 1028.
3 Low, Summary of the Progress and Diffusion of Plague throughout the World during 1903, P. 282.
4 (P. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 1013.
5 (P. H. R), Vol. 22, No. 23, June 7, 1907, P. 772.
6 (P. H. R), Vol. 22, No. 44, November 1, 1907, P. 1585.

sharif mahmoud

حزيران. وبنتيجة ذلك، أزيل الحجر الصحي الذي كان قد فرضته السلطات الصحية على البصرة، لان المدينة عُدت وقتذاك خالية من الطاعون[1].

طاعون كربلاء وبغداد (آذار 1908 – مايس 1909):

لقد صُنف هذا التفشي الوبائي على انه منقطع وعلى، لكنه استغرق وقتا طويلا، تقريبا مدة اربعة عشر شهرا. كانت بدايته في كربلاء في آذار 1908، حيث تم الابلاغ عن حالتين. ولان كربلاء كانت، ومازال، مكانا مقدسا للزوار الايرانيين، فان سلطات طهران الصحية امرت، كاجراء وقائي، بفرض حجر صحي لمدة خمسة ايام على السفن التي تحمل الموانئ الايرانية من شط العرب. كما اصدرت السلطات ذاتها اوامرا اخرى بإقامة محطة حجر صحي لحماية طريق كرمنشاه[2]. ان هذا الطاعون الذي اندلع في كربلاء ومن ثم توقف فجأة، قد انتقل الى بغداد، حيث سُجلت اصابته الأولى في شهر مايس 1908. وخلال المدة من 7 مايس ولغاية 6 حزيران 1908، أحصيت 36 اصابة و17 وفاة في المدينة[3]. وقد بلغ الوباء ذروته بحلول السابع من ايلول، عندما حصد ارواح 51 شخصا. وفي اواخر ايلول، تلقت القنصلية الأمريكية في بغداد منشورا من دائرة صحة بغداد يُعلن انها لم تتلق اي بلاغ عن وقوع حالات جديدة. لقد شجع هذا التراجع في حدة الوباء سلطات استانبول الصحية لأن توقف كل التحوطات التي كانت قد أتخذت لوقف انتشار محتمل للطاعون من بغداد[4]. وبالرغم من هذا الاعلان المبكر لنهاية الطاعون، فقد واصل الداء نشاطه خلال الاشهر التالية، لكنه تطور بوتيرة اكبر وخسائر اقل في الحياة من المرات السابقة. فمثلا، سُجلت

1 (P. H. R), Vol. 22, No. 32, August 9, 1907, P. 1113.
2 (P. H. R), Vol. 23, Nos. 15 & 17 for the days: April 10 and April 24, 1908, PP. 471, 540.
3 (P. H. R), Vol. 23, No. 26, June 26, 1908, P. 942.
4 (P. H. R), Vol. 23, No. 49, December 4, 1908, P. 1778.

sharif mahmoud

في المدة من 4 كانون الثاني الى 8 شباط 1909 خمس اصابات وسبع وفيات فقط[1]. وفي الواقع، واصل الطاعون نشاطه لغاية نهاية شهر مايس 1909، حين الحسر وتوقف تماما. لقد قدر العدد الاجمالي للاصابات بالطاعون في بغداد، منذ ظهوره في مايس 1908 ولغاية نهايته في مايس 1909، بنحو 163 اصابة، بينما بلغت الخسائر بالارواح نحو85 وفاة (انظر: جدول- 15).

جدول-15 (اصابات ووفيات الطاعون في بغداد 1908-1909)[2]

التاريخ	الاصابات	الوفيات
9 مايس – 6 حزيران 1908	36	17
7 حزيران – 7 ايلول 1908	70	51
6 تشرين الثاني 1908- 31 مايس 1909	51	17
المجموع الكلي	163	85

طواعين البصرة (نيسان 1910، ومايس 1911، ومايس 1913):

هاجم الطاعون البصرة من حين لآخر خلال المدة من نيسان 1910 الى تموز 1913، وكان محدودا في تأثيره ونطاقه الجغرافي. فوفقا لبرقية من القنصلية الامريكية في بغداد، بتاريخ 27 نيسان 1910، اندلع الوباء في البصرة في ربيع العام المذكور[3]. وقد سُجلت سبع حالات وثلاث وفيات في المدينة في المدة من

1 (B. M. J), Vol. I, No. 2521, April 24, 1909, P. 1018.
2 Table data are derived from: (F. H. R), Vol.23, Nos. 26 & 49, for the days June 26, December 4, 1908, PP. 942, 1778; Vol. 24, No. 26, June 25, 1909, P. 933; (B. M. J), Vol 2, No. 2545, October 9, 1909, P. 1100.
3 (F. H. R), Vol. 25, No. 18, May 6, 1910, P. 610.

sharif mahmoud

27 نيسان ولغاية 7 مايس[1]. وافاد تقرير للقنصل الامريكي بتاريخ 20 مايس 1910 بأختفاء المرض من البصرة، ورفع الحجر الصحي الذي كان قد أقيم فيها. لكن خلال الصيف ظهرت حالات قاتلة قليلة في المدينة، حيث سُجلت حالة اصابة واحدة ووفاة واحدة من المرض في المدة من 12 الى 18 حزيران[2]. وقد الابلاغ عن اربع اصابات وثلاث وفيات في 13 آب، بغاية الاشارة الاخيرة بصدد انتشار الطاعون في البصرة في عام 1910[3].

وعاود الطاعون تفشيه على نحو خفيف في البصرة في منتصف عام 1911، حيث سُجلت في المدة بين 7 و13 مايس اصابتين ووفاتين[4]. وحدثت في المدينة كذلك اربع اصابات ووفاتين في المدة من 21 ولغاية 31 مايس 1911. وقد اخذ الداء بعد ذلك التاريخ ينحسر تدريجيا ومن ثم توقف تماما[5].

واستأنف الطاعون نشاطه مرة اخرى في البصرة في منتصف عام 1913، حيث هاجم في المدة بين 31 مايس و3 حزيران احدى احياء المدينة، مسببا 31 حالة اصابة ووفاة واحدة[6]. وقد بدأ الوباء بالتفاقل خلال المدة من 14 الى 21 تموز 1913، ولم يتم الابلاغ سوى عن اصابة واحدة ووفاة واحدة في المدينة. بعد ذلك، تراجع الوباء بمعدل منتظم لغاية ان اختفى تماما[7].

1 (P. H. R), Vol. 25, Nos. 23 & 24, for the days: June 10 and 17, 1910, PP. 812, 865.
2 (P. H. R), Vol. 25, No. 30, July 29, 1910, PP. 1067, 1069.
3 (P. H. R), Vol. 25, No. 38, September 23, 1910, P. 1336.
4 (P. H. R), Vol. 26, No. 26, June 30, 1911, P. 1048.
5 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 27 & 29, for the days: July7 and 21, 1911, PP. 1071, 1126.
6 (P. H. R), Vol. 28, Nos. 26 & 34, for the days: June 27 and August 22, 1913, PP. 1374, 1376.
7 (P. H. R), Vol. 28, No. 33, August 15, 1913, P. 1709.

sharif mahmoud

طاعون البصرة (مايس – تموز 1914):

شهدت البصرة اندلاعا خطيرا للطاعون في عام 1914، حيث أبلغ عن الحالات الاولى يوم 25 مايس[1]. وبلغ المرض اوج نشاطه اثناء النصف الاول من تموز، عندما حصلت عشرة اصابات وست وفيات[2]. ثم بدأت جذوة الطاعون تخبو في البصرة خلال النصف الثاني من تموز، ولم تُسجل في المدينة سوى اربع اصابات ووفاتين. وقد بلغ العدد الاجمالي لاصابات الطاعون 20 اصابة، فيما بلغت الخسائر بالارواح اثني عشرة وفاة[3](انظر: جدول-16).

جدول-16 (اصابات ووفيات الطاعون في البصرة من 25 مايس إلى 19 تموز 1914)[4]

التأريخ	الاصابات	الوفيات
25 مايس	1	-
26-28 مايس	3	4
24-28 حزيران	2	-
29 حزيران- 12 تموز	10	6
13-19 تموز	4	2
العدد الكلي	20	12

1 (F. H. R), Vol. 29, No. 25, June 19, 1914, P. 1647.
2 (F. H. R), Vol. 29, Nos. 30 & 31, for the days July 24 and 31, 1914, PP. 1972, 2035.
3 (F. H. R), Vol. 29, No. 33, August 14, 1914, P. 2142.
4 Table data are derived from: (F. H. R), Vol. 29, Nos. 25, 26, 30, 31, 33, for the days June 19, 26, July 24, 31, August, 14, 1914 respectively , PP. 1647, 1715, 1972, 2035, 2142.

sharif mahmoud

عد هذا الانتشار الوبائي الخفيف للطاعون الاخير من ناحية الترتيب الزمني للاندلاعات الوبائية للمرض في البصرة تحت الحكم العثماني. ففي ذلك الوقت، كانت ولاية البصرة العثمانية على اعتاب غزو بريطاني، فيما كان الفاو، الميناء الجنوبي للولاية، موطئ القدم الاول الذي احتلته القطعات البريطانية في تشرين الاول 1914. ومن هناك واصل البريطانيون لاحقا زحفهم نحو وسط وشمالي العراق.

طاعون بغداد (ايلول 1914 – تموز 1915)

كان هذا التفشي الوبائي المحصور محليا بمثابة "حفلة وداع طاعون" للحكم العثماني في العراق. انها كانت الزيارة الوبائية الاخيرة للبلاء قبل الانسحاب العثماني من بغداد في آذار عام 1917. لقد جلب البلاء شخص مصاب بالطاعون كان على متن مركب تجاري عثماني، ثم حط رحاله في بغداد. ومنذ ذلك الحين بدأت العدوى بالانتشار تدريجيا. وقد تم الابلاغ عن حدوث اصابة واحدة خلال ايلول 1914[1]، فيما سُجلت في 15 تشرين الاول حالات اصابة اضافية[2]. وكان عدد الاصابات والوفيات لغاية بداية كانون الثاني 1915 منخفض نسبيا، لكنه قفز خلال المدة بين 12 كانون الثاني و6 آذار الى 314 اصابة و178 حالة وفاة، وبمعدل ست اصابات وثلاث وفيات يوميا[3]. وقد

1 (P. H. R), Vol. 29, No. 45, November 6, 1914, P. 2908. Bruce Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever Throughout the World, 1914-1917; Reports on Public Health and Medical Subjects, No. 3, Ministry of Health. (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920), P. 148.

2 (P. H. R), Vol. 29, No. 46, November 13, 1914, P. 3054.

3 (P. H. R), Vol. 30, No. 19, May 7, 1915, P. 1403.

sharif mahmoud

تواصلت معدلات الاصابة والوفيات المنخفضة تلك لغاية 9 نيسان 1915، عندما بدأت الدوائر الصحية تسجل خمس اصابات واربع وفيات يوميا[1]. وازدادت الارقام على نحو ملفت للنظر في المدة من 5 الى 17 نيسان. اذ سُجلت الثانيها 151 اصابة و121 وفاة، وبمعدل 12 اصابة و10 وفيات يوميا[2]. وازدادت معدلات الاصابات والوفيات ايضا في المدة بين 18 و24 نيسان 1915، اذ أحصيت 22 حالة اصابة و19 وفاة يوميا[3]. وقد لوحظ ان مدة الوباء بدأت بالفتور في المدة من 2 مايس ولغاية 13 حزيران، اذ تراجعت قائمة الاصابات والوفيات الى 10 اصابة و12 وفاة يوميا. وقد سُجل ادنى معدل يومي للاصابات والوفيات في المدة بين 21 حزيران و26 تموز 1915، اذ كان المعدل اليومي للاصابات والوفيات اقل من واحد[4]. وفيما يبدو، ان الطاعون قد توقف تماما في اواخر تموز. وقد بلغ العدد الكلي لاصاباته نحو 1508، فيما بلغت خسائره بالارواح نحو 1096 حالة وفاة (انظر: جدول-17).

1 (P. H. R), Vol. 30, No. 23, June 4, 1915, P. 1715.
2 (P. H. R), Vol. 30, No. 24, June 11, 1915, P. 1772.
3 (P. H. R), Vol. 30, No. 26, June 25, 1915, P. 1950.
4 (P. H. R), Vol. 30, Nos. 34, 36, 38, 39, for the days: August 29, September 3, 17, 24, 1915 respectively, PP. 2507, 2666, 2827, 2900.

sharif mahmoud

جدول-17 الاصابات ووفيات الطاعون في بغداد للمدة من 30 ايلول 1914 – 26 تموز 1915)[1]

التاريخ	الاصابات	الوفيات	المعدل اليومي للاصابات	المعدل اليومي للوفيات
30 ايلول 1914	1	-	1	-
18-24 تشرين الاول	1	1	اقل من واحد	اقل من واحد
28 تشرين الاول	1	1	1	1
1تشرين الثاني-3 كانون الاول	11	9	اقل من واحد	اقل من واحد
26 ك1 1914-5 ك2 1915	12	8	1	اقل من واحد
12 كانون الثاني-6 اذار 1915	314	178	6	3
15 اذار-4 نيسان	116	86	5	4
5 -17 نيسان	151	121	12	10
18 - 24 نيسان	133	118	22	19
2 مايس - 13 حزيران	704	520	16	12
14 حزيران - 20 حزيران	35	35	5	5
21 حزيران - 5 تموز	17	11	1	اقل من واحد
6 - 26 تموز	12	8	اقل من واحد	اقل من واحد
العدد الكلي	1508	1096	-	-

1 Table data are derived from:(P. H. R), Vol. 29, Nos. 45, 50, 51, for the days, November 6, December 11, 18, 1914 respectively, PP. 2988, 3341, 3420 ; Vol. 30, Nos. 6, 13, 19, 23, 24, 26, 34, 36, 38, 39, for the days, February 5, March 26, May 7, June 4, 11, 25, August 20, September 3, 17, 24, 1915 respectively, PP. 402, 951, 1403, 1715, 1772, 1950, 2507, 2666, 2827, 2900.

sharif mahmoud

ثانياً: تفشيات الكوليرا في السنوات 1851 ـ 1917:

يُعتقد ان مصطلح الكوليرا مشتق اصلا من كلمة عبرية ذات ملطعين، كولي-را[1]، التي تعني المرض الخبيث او الضار[2]. او من كلمة يونانية تدل على الصفراء، لان المرض هو مقترن بالتقيؤ[3]. وفي كل هجماته ضد العراق واقطار الشرق الاوسط الاخرى في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، كانت الاعراض المصاحبة للمرض، على النحو الآتي: تقيؤ، اسهال، كبت البول، تقلصات حادة في عضلات الاطراف، عطش شديد، تسارع في نبضات القلب، كبت الصوت، انخفاض حرارة الجسم، وضعف عام[4].

لم تكن الكوليرا، على ما يبدو، معروفة على نطاق واسع في العراق خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر. فقد وصف المؤرخ العراقي رسول الكركوكلي في كتابه "دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء" الكوليرا التي ضربت البصرة في عام 1821، بانها مرض خبيث ليس له اسم او علاج معروف[5]. على اي حال، تعرض العراق العثماني تكرارا الى تفشيات كوليرا عديدة منذ عام 1851 ولغاية عام 1917 (انظر: جدول 18). وكانت صدرى الوباء، كما سنلاحظ فيما بعد، تجلب في الغالب من الهند ومكة وايران واماكن اخرى وبوساطة متنوعة.

---

1 "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Edited by Albert H. Buck, Vol. VIII (8), (New York: William Wood and Company, 1904), P. 352.
2 Robert Hooper, Lexicon Medicum; or Medical Dictionary, Vol. II, (New York, J. and J. Harper, 1829), PP. 49, 85.
3 "Progress of the Indian Cholera", P. 450.
4 Macnamara, P. 2.
5 الكركوكلي، ص 298.

sharif mahmoud

جدول- 18 انتشارات الكوليرا الوبائية في العراق العثماني 1851 – 1917)

السنة	المنطقة	تصنيف نوع الفاشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1851	البصرة وبغداد ومناطق اخرى	X	
1855	بغداد ومناطق اخرى	X	
1856	بغداد		X
1857	خانقين وبغداد ومناطق اخرى	X	
1858	البصرة	X	
1861–1860	خانقين وبغداد ومناطق اخرى	X	
1866–1865	البصرة وبغداد والموصل	X	
1869	بغداد ومناطق اخرى	X	
1870	الديوانية وخانقين ومناطق اخرى		X
1872–1871	البصرة وبغداد والموصل	X	
1889	البصرة وبغداد والموصل	X	
1890	الموصل ومناطق اخرى	X	
1893	البصرة وبغداد ومناطق اخرى	X	

sharif mahmoud

السنة	المنطقة	تصنيف نوع الفشي	
		واسع الانتشار	محدود الانتشار
1899	البصرة ومناطق اخرى	X	
1904-1903	عانه (ولاية بغداد) والموصل ومناطق اخرى	X	
1908	بغداد وكربلاء		X
1911-1910	البصرة وبغداد	X	
1911	بغداد والبصرة	X	
1917-1915	بغداد والموصل	X	
العدد الكلي	-	16	3

كوليرا البصرة وبغداد ومناطق اخرى (حزيران – تشرين الثاني 1851):

عاودت الكوليرا الظهور في العراق في عام 1851 مع انتشار واسع النطاق. وقد جُلبت العدوى من افغنـ، حيث كان المرض سائدا هناك. لقد ظهرت الاصابات الاولى في البصرة يوم 10 حزيران 1851، قاتلة تقريبا 800 شخص. وكان هناك اعتقاد بأن الزوار الهنود الذاهبين الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف هم الوكلاء لنقل تلك العدوى [1]. وفي الوقت الذي بدأت فيه

1 Wenck, P. 32.

sharif mahmoud

الكوليرا بالتفاؤل بالبصرة في تموز، وصلت القرات وهاجمت سوق الشيوخ والنجف واخلة. وقد اندلعت الكوليرا بعد ذلك في بغداد في 11 ايلول، واستمرت هناك خمسين يوما. وعاودت الكوليرا ظهورها في بغداد في تشرين الثاني وانتشرت منها الى كفري وكركوك[1]، ومن ثم الى تبريز في ايران[2]. وكان التحول اللاحق لهذا التفشي الى وباء عالمي، التطور الاكثر اثارة أنذاك. فبعد توقف مؤقت في ايران، غزا الوباء اجزاءا واسعة من القارة الاوربية، بضمن ذلك جنوبي روسيا، وشمالي المانيا، وهولندا، والكلترا وانفار اخرى[3].

كوليرا بغداد ومناطق اخرى (للاعوام من 1855 الى 1858)

شهد العراق في السنوات من 1855 ولغاية 1858 اربع تفشيات للكوليرا على نحو متقطع. وفيما تم جلب عدوى الاثنين منهما، وهما كوليرا عام 1856 و1857، من ايران[4]، جلبت عدوى الاثنين الاخريين، وهما كوليرا عام 1855 و1858، من مكة فبالنسبة لكوليرا عام 1855، فقد ظهرت اولا في النجف وكربلاء في تشرين الثاني من العام المذكور. ثم ظهر الوباء لاحقا في بغداد بتاريخ 12 كانون الاول، لكن اصاباته القاتلة كانت محدودة جدا. وضربت الكوليرا بغداد مرة اخرى في 2 تشرين الاول 1856، لكنها توقفت في 5 تشرين الثاني. كان الهجوم بشكل عام خفيفا، ولم يتجاوز معدل الوفيات خمسة اشخاص يوميا. واجتاحت الكوليرا ايضا خانقين في عام 1857، ثم ماليث ان غزت بغداد وكربلاء والنجف في تشرين الاول. ولم يتعد معدل الوفيات اثناء مدة التفشي

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 57.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 300, September 29, 1866, P. 360.
3 Wundt, PP. 32-33.
4 (B. M. J), Vol. 2, No. 300, September 29, 1866, P. 360.

sharif mahmoud

الخمسة اشخاص يوميا. لكن عندما بلغ الوباء ذروته، حصد مئة شخص يوميا في كربلاء، التي كانت آنذاك مدينة يعدد سكان يبلغ نحو 30.000 نسمة. بينما بلغت الوفيات في النجف، التي كانت يومذاك مدينة يعدد سكان يبلغ قرابة 18.000 نسمة، نحو 30 وفاة يوميا. وقد تراجعت الكوليرا كليا في 25 تشرين الثاني. وحقل عام 1858 باندلاع تفشي قاتل للكوليرا على نطاق واسع في مكة. وقد انتقل الوباء عبر الاحساء والكويت والقصيرة (خرمشهر حاليا) الى البصرة في 10 ايلول. وقد تراوحت الخسائر بالارواح في المدينة بين 400 و500 شخص، كان غالبيتهم من البصراويين ذوي الاصول الافريقية. وقد تفرك المرض لاحقا نحو الشمال، فصارت القرنة وسوق الشيوخ قبل ان يتوقف في منتصف كانون الاول[1].

كوليرا خانقين وبغداد ومناطق اخرى (9 كانون الاول 1860 – 2 كانون الثاني 1861):

لوحظ حدوث حالات مفردة للكوليرا في العراق خلال المدة من اواخر عام 1860 ولغاية مطلع عام 1861[2]. فقد عاودت الكوليرا ظهورها في العراق خلال خريف عام 1860. وقد رافق المرض الزوار الايرانيين على امتداد محطات طريقهم، بدءا من طهران، ومرورا بهمدان، وكرمنشاه، وخانقين، ومن ثم بغداد التي ظهرت فيها الكوليرا يوم 28 ايلول. كان الوباء –الى حد ما– قاتلا، والخسائر بالارواح كانت تعادل ثمانية اشخاص يوميا. وقد اختفى الداء من بغداد في 6 تشرين الثاني، لكن بعد ان افنى نحو 302 من مواطنيها. كما

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 58-59.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1031.

sharif mahmoud

أبلغت الدوائر الصحية ايضا، بأن عددا كبيرا من الضحايا قد سقطوا في كربلاء والنجف يوم 20 تشرين الثاني جراء اصابتهم بالكوليرا[1].

كوليرا البصرة وبغداد والموصل (أب 1865 – تشرين الثاني 1866):

استهلت هذه الموجة الوبائية فعالياتها في الحجاز، حيث اصابت الكوليرا ارواح الاف الحجاج في مكة والمدينة اثناء موسم الحج[2]. وقد ظهر الوباء لاحقا في مسقط بتاريخ 18 آب 1865، ومنها تسلل الى الاراضي العراقية عبر طريقين: الاول، مسقط، والبصرة، ومن ثم وادي الفرات. والثاني، الاسكندرية، وبيروت، وحلب، وديار بكر، ومن هناك الى العراق. وقد أبلغ عن الاصابة الاولى للوباء في البصرة في 4 ايلول 1865. وقد اشتملت قائمة الوفيات في البصرة على 471 شخصا[3]. وكان من ضمن الضحايا افراد لقبائل بدوية، مثل آل ظفير، التي فقدت شيخها وابنه وآخرين[4]. ولحرك الوباء فيما بعد من البصرة نحو الشمال، ناشرا العدوى بين سكان ضفتي شط العرب، ومن ثم هاجم القرنة. وقد حملت حشود من الزوار الايرانيين صعدوا وادي الفرات عدوى المرض. وعلى طول هذا النهر، ثم اصطياد المدن بالكوليرا الواحدة تلو الاخرى، بدءا من سوق الشيوخ، ومن ثم السماوة، والديوانية، والنجف، وكربلاء، واخيرا الحلة[5].

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 59; (R. M. J), Vol. 1, No. 1551, May 3, 1890, P. 1031.

2 Ibid, P. 60.

3 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", Presente par doctors Goodeve, Bikow, Salvatori, and Bartoletti, (Constantinople [Istanbul]: Juillet, 1866), P. 19.

4 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

5 J. Netten Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, "Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, No. V (5), (London: George E. Eyre and William Spottiswoode, 1875), PP. 113-116.

sharif mahmoud

وكانت الوفيات في المدن التي ضربها الوباء، على النحو الآتي: في السماوة، كان هناك العديد من الضحايا، لكن لايتوفر رقم محدد؛ في الديوانية، 22 جنديا من الحامية العسكرية و125 مدنيا؛ في النجف، ثلاثة جنود و330 مدنيا؛ في كربلاء، جنديين و 1478 مدنيا وزائرا؛ وفي الحلة، اربعة جنود و54 مدنيا[1].

وقد وصلت الكوليرا بغداد في 17 ايلول 1865، حيث قتلت 300 شخص، وبعدها اختفت في 11 تشرين الثاني[2]. وقد ضربت الكوليرا كذلك الكاظمية، حيث تجمع الزوار الايرانيين الذين سبق لهم ان هربوا من الوباء في النجف وكربلاء. لذلك، أجبر هؤلاء على العودة الى بلادهم عبر خانقين. وفي غضون ذلك الحد، ظهرت الكوليرا في بعض مناطق اعالي الفرات ودجلة، حيث نقل العدوى قافلة قادمة من حلب في شهر ايلول. وقد انتشر الوباء في مدينة عانه وهبت على الفرات الاعلى، وسامراء على دجلة[3]. ومن هناك، تحركت الكوليرا شمالا وهاجمت الموصل في 23 تشرين الاول[4]. ثم غزا الوباء في الشهر ذاته اربيل وكركوك والسليمانية (انظر: الخارطة في ملحق- 2). وطبقا لتقرير موظف صحة السليمانية، فان الوفاة الاولى حدثت في 31 تشرين الاول 1865، بينما واصل الوباء نشاطه لغاية 13 شباط 1866. وفي الواقع، ان الاندفاعات القوية للوباء في السليمانية قد حدثت في الفترات من 21-13 تشرين الثاني، و23-28 تشرين الثاني، و1-29 كانون الاول، و31 كانون الاول 1865 الى

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.
2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60;
العزاوي، ج7: 1831-1872، ص 175
3 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.
4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

sharif mahmoud

22 كانون الثاني 1866؛ بينما حدث الاندفاع الاخير في المدة بين 1–13 شباط 1866. وخلافا للتوقعات، لم يوقف البرد الشديد التفشي السريع للوباء. بل على العكس، بدا وكأن البرد قد اسهم في معاودة المرض. لقد كانت قائمة الوفيات في السليمانية ثقيلة للغاية. فقد تكبدت السليمانية، وهي يومذاك مدينة يبلغ عدد سكانها ما يربو على عشرة آلاف نسمة، نحو 600 اصابة و300 وفاة. وضرب الوباء في السليمانية ايضا الثكنات العسكرية في الضواحي المحيطة بالمدينة. وقُدر ان من بين 900 جندي عثماني مقيمين في تلك الثكنات، أصيب 34 فردا منهم، فيما لقي 17 آخرين حتفهم[1].

وفي اعقاب هدنة وبائية قصيرة جدا، ضربت الكوليرا السليمانية مرة اخرى في شهر آذار 1866. وفي بغداد، سُجلت بعض الاصابات المتفرقة بين 26 آذار و5 مايس. ولم تُبلَغ السلطات الصحية في المدينة عن مزيد من الحالات لغاية شهر آب عندما عاود المرض الظهور في بغداد، فالملا 172 شخصا في 28 تشرين الثاني. وقد تفشت الكوليرا على نحو خفيف في مناطق اخرى من العراق، كالبصرة والنجف داخلة، والموصل وكفري، بينما كان التفشي في الجزيرة وسنجار عنيفا. كما سادت الكوليرا في مندلي وخانقين في تشرين الاول. وقد توقف الوباء تماما في شهر تشرين الثاني 1866[2]. وبذلك اضحى العراق عاليا من الكوليرا، باستثناء حالات معدودة تم الابلاغ عنها في مناطق متفرقة[3].

---

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.

2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, PP. 116-117.

3 Ibid, P. 118; A. Proust, La Defense de l'Europe Contre Le Cholera, (Paris: G. Masson, 1892), P. 137.

sharif mahmoud

كوليرا بغداد ومناطق اخرى (آب – كانون الاول 1869)

لقد انتشرت الكوليرا في الهند على نطاق واسع في عام 1869، ثم مالبثت ان غزت ايران في منتصف حزيران[1]. وقد جلب عدواها الى العراق في شهر آب زوار ايرانيين كانوا قاصدين الى المراقد المقدسة في كربلاء والنجف. وقد اندلع الوباء في مواقع عدة على امتداد الطريق الذي سلكه هؤلاء الزوار. وسُجلت حالات متفرقة للاصابة في بغداد في 14 تشرين الاول. ومنذ انفجار الوباء في ولاية بغداد في تشرين الاول، ولغاية انقراضه في كانون الاول، كانت قائمة خسائر الوباء طفيفة في مناطق معينة، وثقيلة في مناطق اخرى. فبينما بلغت الوفيات في مدينة بغداد 39 شخصا، والكاظمية 18 شخصا، كانت الخسائر بالارواح الى الجنوب من بغداد اكبر من ذلك بكثير. حيث سُجلت في كربلاء 210 وفاة، وفي النجف 343 حالة وفاة اخرى[2].

كوليرا الديوانية، خانقين ومناطق اخرى (كانون الثاني – كانون الاول 1870)

شهد عام 1870 حصول اندلاعات خفيفة ومحدودة النطاق والاثر للكوليرا في مناطق متفرقة من العراق. ففي كانون الثاني من العام المذكور، تفشت الكوليرا على نحو خفيف بين القطعات العسكرية العثمانية في الديوانية.

1 James L. Bryden, Epidemic Cholera in the Bengal Presidency: Report on the General Aspects of Epidemic Cholera in 1869, (Calcutta: Office of Superintendent of Government Printing, 1870), P. 37.

2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, PP.119-120.

sharif mahmoud

وكان هذا التفشي محليا وسرعان ما انتهى في الشهر ذاته[1]. وفي ايلول من العام ذاك جُلبت الكوليرا من ايران عن طريق خانقين، وانتشرت -الى حد ما- في قزل رباط (السعدية)، التي كانت آنذاك قرية يعدد نفوس يربو على 800 شخص. وقد القي من خمسة الى ستة مواطنين حتفهم في قزل رباط في غضون عشرة ايام[2]. وسُجلت في النجف ايضا ثلاث حالات اصابة بالكوليرا في كانون الاول. ومنذ ذلك التاريخ، لم تُلاحظ حالات اصابة اخرى بالكوليرا في العراق لغاية ربيع العام التالي[3].

كوليرا البصرة وبغداد والموصل (آذار 1871 – كانون الثاني 1872)

ومع ان هذا الهجوم الوبائي للكوليرا غطى منطقة واسعة من العراق، الا ان خسائره بالأرواح كانت نوعا ما معتدلة. كان المصدر للعدوى الوبائية هذه المرة مدينة بوشهر في ايران، حيث انتشرت الكوليرا هناك في بداية عام 1871. ولم يُفلح الحجر الصحي الذي أقيم في البصرة بتاريخ 2 آذار[4]، في اعاقة تسلل المرض الى القرنة. وقد فتكت الكوليرا هناك عددا قليلا من السكان ثم تلاشت في 15 آذار[5]. وانتشرت الكوليرا في مدينة البصرة على نطاق واسع في 17 آذار، حيث أبلغ هناك عن وقوع 330 اصابة[6]. وزحف الداء في منتصف مايس بشكل

1 Bryden, PP. 37-38; Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan and Persia, 1865-72, P. 120.
2 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.
3 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 121.
4 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.
5 W. H. Colvil, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI (11), For the Year 1871, (Bombay: Education Societies Press, 1872), P. 38.
6 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

sharif mahmoud

مطّرد نحو الشمال على طول وادي الفرات، صاريا سوق الشيوخ، والسماوة، والديوانية، وكربلاء، والنجف والحلة. وهاجمت الكوليرا العمارة والكوت في وادي دجلة، وبلغت بغداد في حزيران. وكان المرض هناك قاتلا الى مدى معين[1]. فنادرا ما تجاوزت معدلات الخسائر بالارواح خمس وفيات يوميا، فيما لم تتعد قائمة الوفيات الاجمالية 128 شخصا[2]. واشتدت الكوليرا في لمرز نحو الشرق والشمال الشرقي، وبلغت السليمانية حيث قتلت 188 شخصا من اهليها. وفي غضون تلك المدة، سُجلت عشرون حالة وفاة في خانقين بين 2 و11 آب. واندلع الوباء في الشهر ذاته في كركوك، التي كانت آنذاك مدينة يعدد نفوس يبلغ 25.000 نسمة. وقد اعملت الوباء هناك ما لايقل عن 1200 شخص ضمن مدة عشرين يوما. ولوحظ كذلك وقوع حالات اصابة قليلة متفرقة في الموصل وراوندوز في شهر تشرين الثاني. وقد توقفت الكوليرا تماما في ولاية بغداد والمناطق العراقية الأخرى في كانون الثاني 1872[3].

كوليرا البصرة، بغداد والموصل (تموز – كانون الاول 1889)

اجتاحت العراق في عام 1889 واحدة من اعنف موجات الكوليرا في تأريخه الحديث. وكان يُعتقد بان عدوى المرض قد جُلبت من بومبي في الهند، حيث سادت الكوليرا هناك وبلغت معدلات الوفيات فيها اكثر من 600 شخص اسبوعيا. وغدت مراكب شركة الهند البريطانية، التي كانت تنقل الزوار

1 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 122; (B. M. J), Vol. 2, No. 556, August 20, 1871, P. 239.
2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.
3 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 123.

sharif mahmoud

الشيعة من الهند الى العراق بانتظام، المشتبه به الرئيسي في نقل العدوى[1]. وقد لوحظ أيضا ان بعض الحجّاج، الذي تم إرسالها من يومي لدفنها في البقاع المقدسة في العراق، قد أتزلت في البصرة وأرسلت برا الى كربلاء والنجف مرورا بمنطقة المنتفك الناصرية، حيث ظهرت الكوليرا هناك اولاً[2]. على اي حال، لقد ضرب الوباء الشطرة في الناصرية يوم 19 تموز 1889 حيث سجلت اصابة واحدة. وقد كانت الشطرة يومذاك بلدة صغيرة تضم اراضي مستنقعات. وقد قُدر عدد نفوسها قبل تفشي الكوليرا بنحو 5 آلاف شخص عاش معظمهم في الصرائف. وقد استولى الرعب على الشطرة عندما ضربت الكوليرا هيئة ادارتها الحكومية في 27 تموز، فقضى القائمقام ورجال الشرطة وموظفين آخرين لحبهم جميعا. وفي اعقاب ذلك، لاذ اهلها بالفرار وتشتتوا في كل انحاء المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد. ولم ينجُ من ذلك حتى الوكيل الذي اعقب القائمقام في ادارة المدينة بعد وفاته، اذ هرب هو الآخر لينجو بنفسه من الوباء[3].

وقد بلغ عنف غارة الكوليرا على الشطرة حدا جعل مجلة امريكية تصفها بانها كانت مثل "قصف الرعد"[4]. لقد قُدرت الخسائر بالارواح في الشطرة للمدة من 27 تموز ولغاية 25 ايلول بنحو 345 وفاة[5].

---

1 "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Vol. VIII (8), P. 354; Pruitt, P. 139.

2 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 10, March 7, 1890, P. 102.

3 E. D. Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894), PP. 128-130.

4 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), No. 242, (New York: January 1890), P. 61.

5 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 370.

sharif mahmoud

وقد أبلغ مفتش صحة بغداد، الدكتور لويز، في مطلع آب ادارة الصحة العثمانية بأن كوليرا فتاكة سادت في الناصرية، التي كان عدد نفوسها يومذاك يربو على 8 آلاف نسمة[1]. وقد تم اتخاذ بعض الاجراءات الوقائية العاجلة لوقف انتشار المرض الى اماكن اخرى، ومن بين تلك الاجراءات، حرق البيوت والصرائف المصابة[2]، وارسال اطباء مثل الدكتور لويز والدكتور غزالة، وهما من دائرة صحة بغداد، للتحقيق في طبيعة واعراض المرض. لقد اثبتت مثل هذه الخطوات عدم جدواها، لانه حالما اندلع الوباء في الناصرية، فان اهلها انطلقوا الى اكواخ خارج المدينة، او لجأوا الى مضيفات القبائل العربية المجاورة، او فروا بعيدا. وهذا يفسر في الواقع الانتشار السريع والواسع للوباء. وقد سُجلت في الناصرية 87 حالة وفاة في 8 آب، لكن اعداد الوفيات تضاءلت تدريجيا في وقت لاحق[3].

اجتازت الكوليرا، التي ظلت محصورة في مناطق الشطرة والناصرية، كل موانع السهول الكبرى للعراق الادنى واظهرت نفسها في البصرة يوم 9 آب[4]. وفي محاولة لوقف تقدم الوباء، تم اقامة نطاق صحي في الكوت لحماية بغداد. وقد عُدّ هذا النطاق لاحقا من السماوة الى الحي، والكوت، وبدرة، وجصان وزرباطية. علاوة على ذلك، امرت سلطات استانبول الصحية بوقف حركة الملاحة النهرية في دجلة بين الكوت والبصرة، وايضا حركة الملاحة النهرية في الفرات بين السماوة والبصرة. وقد تم تبني تدابير صحية اخرى للسيطرة على

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 373.

2 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 83.

3 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1883, 1890, and 1891, PP. 128-129, 134.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 373.

sharif mahmoud

الكوليرا، بضمن ذلك تأسيس محطات حجر صحي في النسيب والمخاويل عند الوافدين من مدن الحلة وكربلاء والنجف التي ازدحمت بالقادمين من الوباء في الشطرة والناصرية. وشكلت في غضون اشهر ذاتها لجنة صحية في بغداد وضعت تحت رئاسة الوالي[1]. وبالرغم من كل هذه الخطوات الفعالة، واصلت الكوليرا انتشارها على امتداد كل المناطق الواقعة بين وادي دجلة والفرات، مخترقة كل الخانقات الصحية الصارمة التي أقيمت لحماية بغداد، التي وصلتها العدوى يوم 14 آب[2]. وقد شخص الدكتور ادلر، المفتش الصحي المؤقت لبغداد، الاصابة الاولى للكوليرا التي حدثت في المدينة، وكانت لجندي توفي بعدما أدخل المستشفى لمدة ست ساعات فقط[3]. وقد استمرت الكوليرا باجتياح بغداد لمدة ثلاثين يوما، وقد وجد قاطنوها الاثرياء، بضمنهم اليهود والاعيان وآخرين، ظرفا ملائما لمغادرة المدينة الى القرى المحيطة[4]. وقد قدرت مجلة امريكية تعنى بالشؤون الصحية، وفيما يبدوعلى نحو مبالغ فيه، الخسائر بالارواح في بغداد للمدة من 20 الى 30 آب، بين 100 و200 حالة وفاة يوميا[5]. وقد وصف القنصل الروسي في بغداد الخسائر البشرية والرعب الذي سببه الوباء، بالقول: غالبا ماكنا نسمع بعد الظهر عن جنازة شخص سبق ان رأيناه في الصباح بصحة تامة، وهذا

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1888, 1890, and 1891, P. 135.

2 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 63.

3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 375-376.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 46, November 15, 1889, P. 390; العلاف، ص 196.

5 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 63.

sharif mahmoud

لايعجب المرء من الذعر الذي حل بالمدينة والذي الهم كل واحد التفكير بالفرار[1].

وبعدما اجتاحت الكوليرا بغداد، امر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909) باقامة نطاق صحي آخر يمتد من كفري الى طوز خورماتو وتكريت على دجلة، ومن هناك الى هيت وكبيسة على الفرات. كانت الية من وراء اقامة هذا النطاق، حماية المنطقة الى الشمال من بغداد[2]. لقد اثارت الكوليرا رعبا واسعا بين سكان العراق، ناشرة نفسها في المدة بين 20 آب و20 ايلول على شكل "مروحة" غطت مناطق شاسعة من العراق. على حد وصف تقرير صحي امريكي (انظر الخارطة في ملحق- 3). لقد اكتسحت الكوليرا كل المناطق الواقعة على امتداد شط العرب، بضمن ذلك البصرة. كما ضرب الوباء المناطق التي تتبع مجرى نهر دجلة، من القرنة في الجنوب الى بغداد في الوسط، وابرز تلك المناطق كانت العمارة وعلي الغربي والكوت. والى الشرق من بغداد، هاجمت الكوليرا بدره، وزرباطية، وبعقوبة، وقزل رباط (السعدية)، ومندلي وخانقين. والى الشمال من بغداد، عصفت الداء بتكريت، وكركوك، وكفري، وطوز خورماتو، والتون كوبري، وطاووق، وچمچمال والسليمانية. وطالت الكوليرا ايضا المناطق الواقعة على امتداد وادي الفرات من جنوب العراق الى غربه، حيث ضرب الداء السلطرة، والناصرية، وسوق الشيوخ، وكربلاء،

1 Pierre Pomaliloue, Life in the Modern East, Translated from the Russian by Emma Cochran Pomaliloue, (New York: Dodd, Mead and Company, 1911), P. 63.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 115.

sharif mahmoud

والنجف، والحلة، وطويريج، والسيب، والصقلاوية، والفلوجة، والرمادي، وهيت وكيسه[1] (انظر: جدول-19).

جدول- 19 (وفيات موجة الكوليرا الكبرى في العراق في المدة من 27 تموز الى 25 ايلول 1889)[2]

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الشطرة	27 تموز	16 آب	345
الناصرية	1 آب	15 ايلول	486
البصرة	6 آب	23 ايلول	450
الرميثة	8 آب	18 ايلول	82
سوق الشيوخ	12 آب	31 ايلول	93
الحمار	13 آب	17 ايلول	7
الترنة	13 آب	-	3
بغداد	14 آب	20 ايلول	924
الفاو	18 آب	29 ايلول	5
السيب	20 آب	6 ايلول	28
البغداد	20 آب	-	15

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 374-376.
2 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 376.

sharif mahmoud

المطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الكوت	21 آب	2 ايلول	3
السماوة	21 آب	25 ايلول	76
الغراف	22 آب	23 ايلول	5
الكاظمية	23 آب	25 ايلول	218
طويريج	23 آب	-	8
خانقين	23 آب	26 ايلول	53
قزل رباط (السعدية)	23 آب	14 ايلول	9
الدجيل	23 آب	-	1
الشامية	23 آب	23 ايلول	381
الحمزة (الحيرة)	24 آب	13 ايلول	325
بعقوبة	24 آب	26 ايلول	23
مندلي	26 آب	24 ايلول	99
العشائر بين السماوة والديوانية	26 آب	10 ايلول	400
الصقلاوية - فلوجة	26 آب	-	10
الامام الاعظم (الاعظمية)	29 آب	6 ايلول	20
كربلاء	31 آب	26 ايلول	343
علي الغربي	2 ايلول	6 ايلول	40

sharif mahmoud

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الشدية	2 ايلول	6 ايلول	8
العمارة	2 ايلول	25 ايلول	230
عين الدخن	2 ايلول	16 ايلول	78
الحر الكبير	2 ايلول	10 ايلول	217
صلاحية (كلوى)	4 ايلول	24 ايلول	143
الكوفة	4 ايلول	-	3
حصان	6 ايلول	-	6
الشافية	6 ايلول	13 ايلول	41
الملحة	7 ايلول	15 ايلول	16
الحلة	7 ايلول	26 ايلول	106
الرمادي	7 ايلول	-	2
النجف	7 ايلول	18 ايلول	68
كركوك	7 ايلول	26 ايلول	385
زنگنة	9 ايلول	-	1
الاسكندرية	11 ايلول	-	7

sharif mahmoud

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
الجزيرة	12 ايلول	-	14
طوز خورماتو	12 ايلول	19 ايلول	8
القر الصغير	14 ايلول	-	10
تكريت	16 ايلول	-	2
الثون كوبري	16 ايلول	25 ايلول	2
طاووق	17 ايلول	18 ايلول	7
جسمجمال	20 ايلول	-	2
السليمانية	20 ايلول	26 ايلول	17
بدره	23 ايلول	-	6
زرباطية	23 ايلول	-	2
الزبير	25 ايلول	-	5
مناطق متفرقة اخرى	-	-	340
العدد الاجمالي			6.178

ولي الاخذ بالحسبان حجم الخسائر البشرية، يتبين من الجدول اعلاه، ان اكثر المناطق تضررا من الكوليرا كانت: بغداد، والناصرية، والبصرة، والمنطقة

sharif mahmoud

التي كانت تقطنها العشائر بين السماوة والديوانية، وكركوك، والشامية، والشطرة، وكربلاء، والجغارة، والعمارة، والكاظمية، والجر الكبير، وكفري والحلة.

وضربت الكوليرا الموصل في 9 تشرين الثاني[1]، مما تطلب اقامة نطاق عسكري حول المدينة[2]. لقد قُدرت الوفيات في الموصل منذ بداية الهجوم الوبائي ولغاية انتهائه نحو 200 وفاة[3]. واذا ما قورنت الموصل ببغداد، فلم تكن عدد الوفيات فيها كبيرة جدا. فمثلا، كان عدد الوفيات المسجلة في بغداد في المدة من 14 الى 22 آب نحو 240 حالة وفاة، بينما لم تتجاوز الخمسة عشر في الاورفا في الموصل في المدة من 10 الى 18 تشرين الثاني 62 حالة وفاة (انظر جدول-20).

جدول- 20 (وفيات الكوليرا في العراق في المدة من 25 تشرين الاول ولغاية 18 تشرين الثاني 1889)[4]

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
اربيل	24 تشرين الاول	2 تشرين الثاني	21
الفندية وجوارها	24 تشرين الاول	4 تشرين الثاني	15
الشيب	25 تشرين الاول	-	2

1 (R. M. J), Vol. 2, No. 1512, December 21, 1889, P. 1416.
2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 143.
3 Prunet, P. 135.
4 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889, P. 454.

sharif mahmoud

المنطقة	التاريخ		الوفيات
	من	الى	
كربلاء	25 تشرين الاول	28 تشرين الاول	18
النجف	25 تشرين الاول	-	1
السليمانية	25 تشرين الاول	15 تشرين الثاني	35
كيسه	26 تشرين الاول	27 تشرين الثاني	37
رانديز	26 تشرين الاول	17 تشرين الثاني	75
البصرة	27 تشرين الاول	-	1
هيت	28 تشرين الاول	-	1
التون كوبري وجوارها	29 تشرين الاول	4 تشرين الثاني	5
بعقوبة	5 تشرين الثاني	-	1
بغداد	8 تشرين الثاني	-	1
الموصل	10 تشرين الثاني	18 تشرين الثاني	62
العدد الاجمالي			275

وهاجمت الكوليرا ايضا اربيل وراوندوز والقرى الصغيرة الواقعة بين رافدي الزاب الاعلى والزاب الاسفل في المدة من 14 الى 26 تشرين الاول[1].

1 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (28), P. 65.

sharif mahmoud

وفي اعقاب اندلاعها في الموصل في منتصف تشرين الثاني، أعلنت الكوليرا بالاضمحلال تدريجيا. وعزا دكتور فيازي، عضو ادارة صحة استانبول، في رسالته بتاريخ 5 كانون الاول 1889 هذا الانحطاط في نشاط الوباء الى اسباب عدة، من بينها تأثير البرد، وصعوبة المواصلات، وتأثير الحجر الصحي والنطاقات الصحية، بالاضافة الى تدابير وقائية اخرى[1]. من جانبه أعطى دكتور لويز، مفتش صحة بغداد، التواريخ النهائية للمرض في مناطق عراقية مختلفة. لقد اكد لويز ان الكوليرا توقفت في بغداد يوم 17 ايلول؛ وفي السليمانية تقريبا يوم 22 تشرين الثاني؛ وفي الموصل تقريبا يوم 1 كانون الاول؛ وفي راوندوز تقريبا يوم 9 كانون الاول1889[2].

اما بالنسبة للعدد الاجمالي للوفيات، فبالاضافة الى الارقام التي عُرضت في جدولي رقم 19 و20، فقد كان هناك 694 حالة وفاة سُجلت في المدة من 26 ايلول الى 25 تشرين الاول[3]. طبقا لذلك، فان العدد الاجمالي للخسائر في الارواح يقف عند 7.147 وفاة. وهذا الرقم، في الواقع، هو الرقم الى التقدير الذي اعطاه الدكتور لويز، الذي حسب ان ما يعادل 7.261 وفاة قد حدثت اثناء موجة الكوليرا الوبائية في عام 1889[4]. ويقترب هذا الرقم ايضا مع ما اعلنته مجلة صحية امريكية، استنادا على تقارير سلطات الصحة العثمانية في العراق، بان عدد الخسائر بالارواح كان 7.142 حالة وفاة[5].

1 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 2, January 16, 1890, P. 32.
2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 144.
3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889, P. 455.
4 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 145.
5 "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), P. 65.

sharif mahmoud

وفي ظل غياب تسجيل نظامي شامل للوفيات من قبل السلطات الصحية العثمانية في العراق، فان كل الارقام المذكورة اعلاه لاتعكس الرقم الحقيقي لضحايا الهجوم الوبائي. اذن، انه من الصعب، بل ومن المستحيل، ان نقرر بشكل دقيق عدد الاشخاص الذين اهلكتهم الكوليرا في عام 1889. وعزا جراح بريطاني ملحق بالمقيمية البريطانية في بغداد الارتباك في الارقام الى حقيقة ان غالبية سكان العراق كانوا يتهربون من النظم الصحية لاسباب عديدة بضمنها، معارضتهم لان يخضعوا لرقابة صحية او ان يتم وضعهم تحت حجر صحي، وأجورهم الاجور العالية للدفن، وخشية العديد من الفقراء منهم حرق ملابسهم وفرشهم كاجراء وقائي[1].

من ناحية اخرى، اثارت المدة الطويلة لتفشي وباء الكوليرا في العراق الذي استغرق نحو ستة اشهر، بالاضافة الى خسائره الباهظة في الانفس، مخاوف حقيقية بين الاقطار الاوربية من ان يتمدد الشرخ الى مناطق ابعد من العراق ويتحول الى وباء عالمي[2]. وقد عبر بعض الممثلين الدبلوماسيين الاجانب في بغداد عن مثل تلك المخاوف. فمثلا اعلن القنصل الروسي في تقرير له نشر في شباط 1890، بأن الكوليرا قد توقفت الآن في العراق، لكن تجددها قد يكون امرا متوقعا في اي وقت، لان العراق لديه اوضاع صحية مثالية على نحو مريع[3].

1 (R. M. J), Vol. 2, No. 1500, September 28, 1889, P. 741; (R. M. J), Vol. 1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1032.

2 Topics of the Week: Influenza and Cholera, "The Journal of the American Medical Association", Vol. XIV (14): January-June, 1890, No. 7, February 15, 1890, (Chicago: 1890), P. 244.

3 (R. M. J), Vol. 1, No. 1528, March 15, 1890, P. 623.

sharif mahmoud

كوليرا الموصل ومناطق اخرى (نيسان – تشرين الاول 1890):

منذ خريف عام 1889 ولغاية بداية عام 1890 انتشرت الكوليرا في مناطق عديدة من الشرق الاوسط، مثل ايران[1]، وحلب، وبيروت واماكن اخرى. وقد اشارت تقارير غير رسمية في استانبول بتاريخ 27 كانون الثاني 1890، الى معاودة ظهور الكوليرا في العراق. وقد تأكدت السلطات الصحية العثمانية من تفشي الكوليرا في الموصل في نيسان من العام نفسه[2]. وقد سُجلت هناك اصابتين غير قاتلة وحالتي وفاة في المدينة في المدة من 25 نيسان الى 3 مايس. ازاء ذلك، أتخذت تدابير صحية عالية لكبح المرض. وفي قريتي بلد وسميجة في الدجيل، الواقعة شمالي بغداد، تم الابلاغ في 8 مايس عن اشخاص معدودين كانت لديهم اعراض مشابهة للكوليرا، وان بعضهم قد لقي حتفه لاحقا. وفي بلد، التي تم عزلها بنطاق صحي في المدة من 14 الى 19 مايس، تم الابلاغ عن وقوع ست وفيات[3]. وفي الموصل، فانه بالرغم من ان بيانا صادرا عن الصحة في بداية تموز اعلن ان الكوليرا خامدة في الولاية، وانها لم تشد لا الى مناطقها الشمالية او الشرقية[4]، فأن التقارير الرسمية لدائرة صحة بغداد افادت بان الكوليرا قد وصلت اربيل في 6 تموز[5]. وقد استمرت الكوليرا في الظهور في الموصل واربيل حتى اواخر آب، بعد ذلك بدأت بالتضاءل لغاية ان انقضى تماما

1 (A. S. R), Vol. 5, No. 13, March 28, 1890, P. 140.
2 John B. Hamilton, Hygiene and Epidemiology, "Annual of the Universal Medical Sciences", Edited by Charles E. Sajous and others, Vol. 5, Section B, (Philadelphia: F. A. Davis, Publisher, 1891), P. E-37.
3 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 25, June 20, 1890, P. 267.
4 Hamilton, P. E-37.
5 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 36, September 5, 1890, P. 397.

sharif mahmoud

من مناطق العراق كافة في بداية شهر تشرين الاول[1]. ومع ان بعض التقارير الصحية صنفت هذا الفشي الوبائي على انه محدود النطاق وخفيف الاثر، لكن بالامكان اعتباره واسع الانتشار وقاتل، لانه غطى رقعة جغرافية كبيرة ضمت ثلاثة عشر منطقة عراقية[2]، فضلا عن ان نسبة وفياته كانت مرتفعة نسبيا. ففي الموصل سُجلت بين 50 الى 100 حالة وفاة، وفي اربيل 150 وفاة، وفي مناطق الزاب الاعلى 150 وفاة اخرى[3]. وبعدما توقفت الكوليرا كليا في عام 1890، لم تعاود الظهور ثانية في العراق لمدة عام ونصف تقريبا، باستثناء حالات طفيفة ومتقطعة وقعت في الشطرة والناصرية في عام 1891[4].

الكوليرا البصرة وبغداد ومناطق اخرى (مايس – تشرين الثاني 1893):

عادت الكوليرا قبل اندلاعها في العراق في مايس 1893 في العديد من اقطار الشرق الاوسط وشمالي افريقيا. لقد غطى الداء آنذاك منطقة واسعة جدا امتدت من المغرب الى ايران. ومن الجدير بالذكر هنا، ان الكوليرا كانت منتشرة في غربي ايران في اثناء 1892–1893. لذلك، فمن المحتمل ان تكون عدواها قد جُلبت من هناك الى العراق. لقد ظهرت الكوليرا اولا في منطقة العمارة المجاورة للحدود الايرانية في 17 مايس 1893، حيث أصيب ثلاثة اشخاص بالوباء[5].

1 Hamilton, P. E-57.
2 CW. A. S. R.), Vol. 10, No. 47, November 22, 1895, P. 1035.
3 Proust, P. 135.
4 Mordtmann, Die Cholera in der Türkei und Konstantinopel im Jahre 1893, "Hygienische Rundschau", IV. Jahrgang, No. 7, April 1, 1894, (Berlin: 1894), P. 290.
5 F. W. Barry., Report on the Western Diffusion of Cholera During the Year 1893, "Twenty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1894-95, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1894-95, Presented to Parliament by Command Her Majesty", (London: Eyre and Spottiswoode, 1896), PP. 263-268.

sharif mahmoud

وفي البصرة تم التأكيد رسميا على وقوع اصابتين في 26 مايس[1]. وانتشار المرض ايضا في مدينة الشطرة بالناصرية في 27 مايس. وتم الابلاغ كذلك عن حالات اخرى بين افراد من قبيلتي عبدالله بن علي وبني مالك، اللتان كانتا تخيمان يومذاك في منطقة المنتفك بجوار العمارة[2]. ومن اجل وقف امتداد الوباء نحو الاجزاء الشمالية للعراق، امرت السلطات العثمانية بوقف حركة كافة المسافرين القادمين برا من المناطق الموبوءة بالطاعون بغداد. وفي الوقت عينه، طلبت تلك السلطات من شركات المراكب البخارية العاملة في دجلة برفض اخذ مسافرين على متنها من المناطق المصابة بالكوليرا[3].

لقد واصلت الكوليرا انتشارها في البصرة خلال الاسابيع الاولى من شهر حزيران، مسببة دزينات من الوفيات يوميا، ومرغمة العديد من اهلها على الفرار الى القرى في المناطق المجاورة. ونتيجة لذلك، تكونت مراكز جديدة للمرض. وقد بين تقرير القنش الصحي في بغداد، المؤرخ في 19 حزيران، بان الكوليرا دمرت بقوة منطقة ابو الخصيب الواقعة على امتداد مجرى شط العرب، حيث قتلت بحدود هذا التاريخ نحو 293 شخصا[4]. وقد ارتفع هذا الرقم الى 309 اشخاص مع نهاية الموجة الوبائية (انظر: جدول-21).

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 28, July 14, 1893, PP. 588-589.
2 Barry, P. 276.
3 Ibid, PP. 276-279.
4 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 31, August 4, 1893, PP. 672; Barry, P. 279.

sharif mahmoud

جدول- 21 (وفيات الكوليرا في المدن والبلدات والقرى وبين العشائر العربية في العراق من مايس ولغاية تشرين الثاني 1893)[1]

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التاريخ	الوفيات
العمارة	17 مايس	8
البصرة	26 مايس	365
الشطرة	27 مايس	188
ابو الخصيب	10 حزيران	309
الكوت	16 حزيران	2
شط العرب	16 حزيران	8
الزبير وجوارها	19 حزيران	58
عشيرة حسن خيون (في الناصرية)	20 حزيران	14
مناوي (البصرة)	22 حزيران	3
بني خالد (عشيرة- الفرات الاوسط)	22 حزيران	30
هور الحمار	23 حزيران	1
الناصرية	2 تموز	130
القرنة	2 تموز	22

1 Table data are derived from: Barry, PP. 280-281.

sharif mahmoud

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التاريخ	الوفيات
الحي	8 تموز	1
سوق الشيوخ	29 تموز	49
بغداد	24 اب	693
طاروق	7 ايلول	8
مندلي	14 ايلول	142
آل فلة (في الفرات الاوسط)	19 ايلول	168
الحلة	23 ايلول	178
الهندية	27 ايلول	43
عشيرة بني حسن (قرب الهندية)	30 ايلول	548
النجف	8 تشرين الاول	14
خانقين	9 تشرين الاول	58
القرى بين كفري وكركوك	9 تشرين الاول	29
المسيب	10 تشرين الاول	26
علياوه (قرب خانقين)	12 تشرين الاول	5
قزل رباط (السعدية)	12 تشرين الاول	20
بعقوبة	12 تشرين الاول	32

sharif mahmoud

المدينة، البلدة، القرية، والعشيرة	التاريخ	الوفيات
صلاحية (كلري)	13 تشرين الاول	18
الكاظمية	14 تشرين الاول	1
الكفل	14 تشرين الاول	5
السماوة	15 تشرين الاول	139
الكوفة	25 تشرين الاول	52
الديوانية	28 تشرين الاول	11
كربلاء	9 تشرين الثاني	108
أكون كويري	25 تشرين الثاني	3
مناطق متفرقة اخرى	-	831
المجموع العام		4.320

وضربت الكوليرا القرنة ومنطقة شط العرب في المدة من 14 الى 16 حزيران. وظهر المرض ايضا بين عشائر حسن خيون قرب القرنات بين القرنة وسوق الشيوخ في 18 حزيران. وأبلغ في اليوم التالي عن ظهور الوباء بين عشيرة آل ظفير قرب الزبير. وضربت الكوليرا الناصرية وسوق الشيوخ في 28 حزيران و2 تموزعلى التوالي. وعلول آب، هاجم الوباء تقريبا اغلب المدن والبلدات المهمة بجنوب العراق، وعانت العديد من عشائر المتفك بشدة من الداء. وطبقا لبلاغات صحية عثمانية رسمية، تضمنت قائمة الوفيات من

sharif mahmoud

الكوليرا في ولاية البصرة 977 شخصا فقبروا جميعهم في المدة بين 17 مايس و5 آب[1].

وبمجرد ان ظهر الوباء، وجهت السلطات العثمانية في استانبول انظارها نحو بغداد، لاحتمال تعرضها للخطر الوبائي، وتدارست السلطات في الوقت ذاته الوسائل اللازمة لوقف مسيرة الكوليرا المحتملة نحوها. وبعث المجلس الصحي في استانبول توصيات الى الباب العالي بهذا الشأن. لكن كان يتوجب على الحكومة العثمانية ان تتغلب اولا على الصعوبات في التعامل مع عشائر جنوب العراق من اجل تطبيق اية تدابير صحية[2]. وكـ"اجراء وقائي، فان حجرا صحيا قد أقيم في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، مدعوما بنطاق عسكري ممتد من الحدود الايرانية الى الفرات. على اي حال، فانه بالرغم من الحذر الحكومي والخط الاحمر، فأن جرثومة الكوليرا اجتازت حراس النطاق العسكري الصحي بسهولة، ومن ثم هاجمت مدينة تقع على دجلة، تماما فوق محطة الحجر الصحي. وبدأ موظفو الحجر الصحي وجرثومة الكوليرا آنذاك سباقا لتناوبا فيه الفوز بعضهم على البعض الآخر، لغاية ان نجحت الكوليرا من دخول بغداد. عندذاك، أزيلت محطة الحجر الصحي من موقعها السابق وحركت الى مسافة معينة فوق بغداد، فيما أعيد تأسيس الاتصالات مع منطقة الخليج العربي[3]. ووفقا لصحيفة "الزوراء" العراقية، فقد ظهرت الكوليرا في بغداد في 1 صفر 1311 هجرية (الموافق 13 آب 1893)، وان الوباء بلغ ذروته يوم 24

1 Ibid, P. 279.
2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893, P. 520.
3 "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, November 27, 1897 (Chicago: American Medical Association Press, 1897), P. 1123

sharif mahmoud

آب[1]، عندما فشى في تكتات الجنود، مسببا 12 اصابة وثلاث حالات للوفاة. وانتشر المرض في اليوم التالي سريعا بين السكان المدنيين. وقد اوضح تقرير للقنصل الامريكي في بغداد، بتاريخ 31 آب 1893، انه كان هناك في المدة بين 24 و31 آب، 81 اصابة و32 وفاة[2]. وبلغ العدد اليومي للخسائر في الارواح في بغداد حده الاقصى يوم 6 ايلول، عندما توفي 57 شخصا. وقد اخذ عدد الوفيات بالتناقص التدريجي خلال شهر تشرين الاول، اذ أحصيت 18 حالة وفاة فقط. وقد قُدرت الخسائر بالارواح المسجلة رسميا في بغداد من جراء الوباء، منذ اندلاعه في منتصف شهر آب ولغاية 28 تشرين الاول، نحو 693 حالة وفاة[3]. وعصفت الكوليرا بهياج شديد بمناطق الفرات الاوسط المختلفة، مثل كربلاء والنجف والحلة والمدينة خلال شهري ايلول وتشرين الاول 1893. وفي غضون تلك المدة، زحف الوباء نحو الغرب والشمال، بالغا هيت في اعالي الفرات وسامراء على دجلة[4]. وواصل المرض اندفاعه المدمر نحو الشرق والشمال في تشرين الاول وتشرين الثاني، مكتسحا مندلي وخانقين الى الشمال الشرقي من بغداد، ومتجها الى أكتون كوبري وبعض القرى الى الجنوب من الموصل. ويُعتقد ان وباء الكوليرا لعام 1893، قد اتبع الطريق ذاته الذي سلكته كوليرا عام 1889[5]. ان المعلومات المتوفرة بخصوص كوليرا عام 1893، تبين بوضوح انه كان هناك ثلاثة نطاقات جغرافية رئيسة ساد فيها الوباء وفق ثلاثة سياقات زمنية متمايزة: النطاق الاول، تضمن ولاية البصرة التي اندلعت فيها

1 مقتبس من: العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 145

2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893, PP. 1051.

3 Barry, P. 279.

4 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 42, October 20, 1893, PP. 1061; Barry, P. 279.

5 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 47, November 24, 1893, PP. 1183; Barry, P. 279.

sharif mahmoud

الكوليرا في شهري حزيران وتموز بين العشائر العربية للمنتفك والاخرى التي تقطن بجوار مدينة البصرة؛ والثاني، ضم بغداد وضواحيها التي ضربتها الكوليرا في الاسابيع الاخيرة من شهر آب وبداية شهر ايلول؛ اما الثالث، فاشتمل على الفرات الاوسط، والفرات الاعلى، وشمال شرقي بغداد، واعالي دجلة انظر: الخارطة في ملحق-4). وقد هاجت الكوليرا هذه المنطقة في المدة من نهاية ايلول ولغاية نهاية تشرين الثاني. ومع حقيقة ان الكوليرا قد انقرضت في تشرين الثاني، الا ان الاعلان الرسمي لهذا الانقراض كان في 21 كانون الاول، متلما اشار الى ذلك جون ساندبرغ، القنصل الامريكي في بغداد[1]. وفحوص اعداد الوفيات، فهنالك اختلاف كبير بين الارقام التي اعطتها القنصليتان الامريكية والبريطانية في بغداد. فبينما احصت القنصلية الامريكية ما مجموعه 1882 حالة وفاة وقعت في العراق من جراء الكوليرا (انظر: جدول-122)، كان الرقم الذي روجت له القنصلية البريطانية اكثر من الضعف بقليل، اذ اشار الى حدوث 4.320 حالة وفاة في العراق عموماً[2]. وحتى هذا الرقم عده طبيب بريطاني اقل من العدد الفعلي، لانه كان هنالك نقص في البيانات المستلمة من اماكن عديدة ضربتها الكوليرا. فمثلاً، صدت العشائر العربية لجنوبي العراق موظفي الصحة الحكوميين ورفضت اعطائهم اية معلومات بخصوص المرض والوفيات[3].

1 (W. A. S. S.), Vol. 5, No. 5, February 2, 1894, P. 46.
2 Barry, P. 279.
3 Ibid, P. 280.

sharif mahmoud

جدول-22 (وفيات الكوليرا في العراق للفترة من مايس الى تشرين الثاني 1893)[1]

الناطق والمدن	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين الاول	تشرين الثاني
الشطرة	35	62	-	-	-	-	-
العمارة	7	1	-	-	-	-	-
البصرة	85	680	215	47	-	-	-
بغداد	-	-	-	71	667	11	1
المجموع للاشهر	127	743	215	118	667	11	1
المجموع العام	1882						

ويبدو جدول الوفيات الذي زودته القنصلية البريطانية في بغداد شاملا ودقيقا الى حد ما، وذلك بسبب ان قاعدة بياناته قد تم استخلاصها بدقة من التقريرات الصحية لبغداد، ولانه غطى منطقة واسعة واماكن عديدة، بضمن ذلك قرى وعشائر بدوية.

وقد اصدر الباب العالي في استانبول مرسوما في وقت مبكر من عام 1894، قضي بان لا يتم السماح للكوليرا وباي ثمن بدخول بغداد. ومع ذلك، تجري الرياح بما لا تشته السفن، مثلما قال شاعر عربي. فقد جربت بغداد خلال

1 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 9, No.6, February 9, 1894, P.78.

sharif mahmoud

تلك السنة فاجعتين، فيضان ومرض يُشتبه بانه كان كوليرا. لقد فاض نهر دجلة فجأة في ربيع عام 1894، محولا الصحراء المحيطة خارج المدينة الى بركة كبيرة، ويمعدل عمق يتراوح من عشرة الى اثني عشر قدما. وحالما بدأت بغداد تتعافى من كارثة الفيضان، اندلع مرض غامض فيها، اصاب الفلاحين على طول ضفاف النهر وكذلك عرب الصحراء، فمات منهم بالمئات. ومع انه لم يكن بالامكان تفريق المرض عن وباء الكوليرا، الا ان السلطات الصحية الرسمية رفضت الاعتراف بان المرض كان كوليرا[1]. وقد ذكر القنصل الامريكي جون ساندبرغ في مذكرة له بتاريخ 2 آب 1894، انه قد تم ابلاغه بحدوث عدة اصابات كوليرا في محلة الميدان في اواخر تموز، لكنه، كما اشار، كان مازعما في البداية في القبول بهذه البيانات على انها حقائق، وانه لم يكن بمقدوره الجزم بصحة البلاغ[2]. لكن في تقريره الذي نشره في مجلة صحية امريكية في تشرين الثاني 1894، اكد ساندبرغ حدوث كوليرا في بغداد، وتساءل متعجبا: كم عدد الذين ماتوا هنا (في بغداد)؟ الله يعلم فقط[3]. اضافة لذلك، اشار ساندبرغ في تقريره الى حدوث 336 اصابة قاتلة في غضون اسبوع واحد، لكنه في الوقت عينه بين بأن هذه الارقام لايمكن الوثوق بها، بسبب اخفاء السلطات الصحية المتعمد للمرض[3]. على اي حال، وبما انه لم يُنشر لغاية الآن سوى القليل بخصوص تفشي الكوليرا هذا، فانه ينبغي ان نفترض، ولغاية ان يُثبت العكس، ان المرض الذي اندلع في صيف بغداد عام 1894، قد كان كوليرا.

1 "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, P. 1124.
2 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 38, September 21, 1894, P. 825.
3 Sandberg, A Letter from Baghdad, P. 648.

sharif mahmoud

كوليرا البصرة ومناطق اخرى (تشرين الاول – كانون الاول 1899):

في عام 1899 كانت الكوليرا منتشرة على نطاق واسع في افندد احد المراكز التقليدية للاوبئة في الشرق في العصور الحديثة. ففي تلك السنة، قضى نحو 171.410 اشخاص نحبهم من الكوليرا. ولوحظ في الخريف ظهور الوباء على ضفاف شط العرب[1]. واعلنت برقية مرسلة من قبل طبيب صحة البصرة الى اللجنة الطبية الدولية في استانبول، مؤرخة في 7 تشرين الاول، ان حالات وفاة من الكوليرا وقعت يوم 5 تشرين الاول بين الهبرادية (السقائف) المعزولة من سعف النخيل الواقعة في ضواحي مدينة البصرة[2]. ففي كل عام كان يتم جلب اعداد كبيرة من العمال من كل المناطق ومن كلا الجنسين للعمل في بساتين النخيل على ضفاف شط العرب. وكان هؤلاء يعيشون سوية في تلك الهبرادية التي كانت فيها ضروريات النظافة، وحتى الخشمة، مهملة تماما[3]. وسنذ الظهور الاول للكوليرا ولغاية يوم 22 الشهر تم الابلاغ عن خمس وعشرين حالة وفاة[4].

وعزا القنصل الصحي الامريكي في استانبول في تقريره المؤرخ في 9 تشرين الثاني، انتشار الكوليرا الى اهمال السلطات الصحية في البصرة، التي اعاقت الجهود المخلصة لطبيب الصحة السابق موستايدز، وعرضت عليه اللجنة الصحية الدولية في استانبول لنقله الى منطقة نائية في البحر الاحمر[5]. وبالرغم من الازدياد الملحوظ في اصابات الكوليرا منذ يوم 25 تشرين الاول في

1 Frank G. Clemow, Two Years of Cholera Prevalence in the Turkish Empire, "Transactions of the Epidemiological Society of London" Vol. XXIII (23): Session 1903-1904, (London: William and Norgate, 1904), P. 224.

2 (F. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.

3 Clemow, P. 225.

4 (F. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.

5 (F. H. R), Vol. 14, Nos. 48 & 50, December 1 and 15, 1899, PP. 2157, 2270.

sharif mahmoud

مدينة البصرة[1]، الا ان التفشي، مقارنة بما قبله، كان خفيفا، وانتهى في المدينة في غضون الاسبوع الاول من شهر كانون الاول. وفي الواقع، ان انتشار الوباء على نحو اوسع قد حدث عندما فر بدو في الجوار كانوا مصابين بالكوليرا الى الدواخل فاصبحوا وكلاء نشطين في بث العدوى على ضفاف دجلة والفرات وفي اماكن اخرى[2]. وبعدما أبلغ عن بعض الاصابات في القرنة، هاجم الوباء الاجزاء الجنوبية من العراق. فقد تفشت الكوليرا في ضواحي العمارة في 13 كانون الاول، واندلعت ايضا في التأريخ ذاته بين العشائر قرب الشطرة في الناصرية. وضرب الوباء فيما بعد الغاز في 17 كانون الاول، وبلدة الشطرة في 18 كانون الاول، والكوت في 21 كانون الاول[3]. ولغاية هذا التأريخ كانت بغداد قد نجت باعجوبة من الداء[4]. وقد توقفت الكوليرا،على ما يبدو، في اواخر كانون الاول، ولم ترد اية اشارة لمعاودة انتشارها لغاية عام 1903.

كوليرا عانه (ولاية بغداد) والموصل ومناطق اخرى (تشرين الاول 1903 – كانون الاول 1904):

غذت هذه الموجة الوبائية امتدادا لكوليرا مكة حيث انتشر فيها الداء في شباط من عام 1902. فقد تحركت الكوليرا فيما بعد برا وبحرا الى مناطق عديدة من الشرق الاوسط العثماني، من بينهما مصر وسوريا اللتان عصف بهما الوباء في شهري تموز وتشرين الاول. وبعد خمود قصير الامد، استأنف الوباء نشاطه في ربيع عام 1903 وظهر في حلب، حيث سلك من هناك طريقين: الاول، الى عينتاب ودياربكر، ومن ثم هبط عبر طريق دجلة الى الموصل وكركوك في

1 الجزاوي، ج8: 1872-1917، ص 160

2 Clemow, P. 225.
3 (F. H. R), Vol. 14, Nos. 48 & 50, December 1 and 15, 1903, PP. 2157, 2270.
4 Clemow, P. 225.

sharif mahmoud

الشمال. اما الطريق الثاني، فكان على امتداد الفرات[1]. لقد كان التوقف المميت الاول للكوليرا في اعالي الفرات في عانه، التي جلب المرض اليها في اواخر تشرين الاول مسافرون على متن قارب، وكان احدهم مصابا بالكوليرا ومن ثم توفي خلال الرحلة[2]. وطبقا لفرانك كليمو، المفوض البريطاني في اللجنة الصحية الدولية في استانبول، بلغت قائمة الخسائر البشرية في عانه للمدة من 29 تشرين الاول ولغاية 3 كانون الاول 1903، نحو 526 اصابة و281 حالة وفاة. وضرب الوباء لاحقا مناطق اخرى في اعالي الفرات، مثل حديثة، وجبة، وهيت، حيث سُجلت فيها 28 اصابة و13 حالة وفاة[3]. وقد اثبت الوباء بأنه كان فتاكا ايضا في مناطق الفرات الاوسط. ففي كربلاء، التي كانت آنذاك مدينة يبلغ سكانها نحو 11.215 نسمة[4]، الحقت الكوليرا فيها خسائر بشرية كبيرة في كانون الاول 1903[5]. فقد اصاب الوباء 674 شخصا، فيما اهلك 634 شخصا آخرين في المدة بين 9 و23 من الشهر المذكور[6].

وقد تحركت الكوليرا فيما بعد من كربلاء صوب الهندية والمسيب، حيث سُجلت فيهما 34 اصابة و29 حالة وفاة. وكانت الموصل البقعة الاخيرة التي

1 (P. H. R), Vol. 18, No. 50, December 11, 1903, P. 2211; (P. H. R), Vol. 20, No. 7, February 17, 1905, PP. 279-280.

2 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1905), P. 314.

3 Clemow, P. 251

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 162.

5 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 206, dated December 24, 1903, Subject: Epidemic, Serial number: 275-276.

6 Clemow, P. 251.

sharif mahmoud

ضربها الوباء على نحو خفيف في عام 1903، حيث سُجلت هناك اصابة واحدة وحالة وفاة واحدة (انظر: جدول-23).

جدول-23 (اصابات ووفيات الكوليرا في ولايتي بغداد والموصل في عام 1903)[1]

الولاية	القضاء	تاريخ الظهور	تاريخ الاختفاء	مدة المرض بالأيام	الاصابات	الوفيات
بغداد	خانقين	29 تشرين الأول	3 كانون الأول	35	526	281
بغداد	حديثة	20 تشرين الثاني	6 كانون الأول	0	18	0
بغداد	جبة	7 كانون الأول	8 كانون الأول	-	2	1
بغداد	عنه	13 كانون الأول	15 كانون الأول	2	8	4
بغداد	كربلاء	9 كانون الأول	23 كانون الأول	14	674	634
بغداد	الشامية	18 كانون الأول	19 كانون الأول	2	2	2
بغداد	الشبيب	18 كانون الأول	29 كانون الأول	11	55	28
الموصل	الموصل	26 كانون الأول	31 كانون الأول	-	1	1
العدد الكلي					1264	959

1 Table data are derived from: Ibid, P. 251.

sharif mahmoud

وبينما اختفت الكوليرا من كربلاء في 24 كانون الاول[1]، فانها تفشت ثم تلاشت بسرعة في بغداد في بداية كانون الثاني 1904[2]. وظهر الداء في البصرة في شباط من العام المذكور، حيث تم الابلاغ عن ست اصابات وثلاث وفيات بين 6 و12 شباط[3]. واستأنفت الكوليرا همجيتها الثانية ضد بغداد في 4 آذار فيما واصلت الانتشار على نحو متزامن في البصرة. ووفقا لنشرات صادرة عن دائرة صحة بغداد، كان هناك 36 اصابة و23 حالة وفاة في بغداد في المدة من 4 الى 20 آذار، و34 اصابة و35 حالة وفاة في البصرة في المدة من 5 الى 20 آذار[4]. وازدادت هذه الارقام بشكل طفيف في البصرة خلال العشرة ايام الاولى من شهر نيسان، عندما تم تسجيل 37 اصابة و28 حالة وفاة[5].

وبالرغم من اعلان السلطات الصحية لبغداد يوم 21 نيسان، ان الكوليرا قد اختفت وان المدينة كانت خالية تماما من المرض[6]، الا ان الوباء اندلع للمرة

---

1 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 210, dated February 18, 1904, Subject: Diseases, Serial number: 290-291.

2 Clemow, P. 237.

3 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 13, 15, 21, March 25; April 8; and May 20, 1904 respectively, PP. 545, 649, 998.

4 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatches Nos. 212, dated March 17, 1904, Subject: Epidemic, Serial number: 295-297; (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 215, dated March 24, 1904, Subject: Cholera at Baghdad and Basra, Serial number: 306-308.

5 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 13, 15, 21, March 25; April 8; and May 20, 1904 respectively, PP. 545, 649, 998.

6 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 217, dated April 28, 1904, Subject: Cholera, Serial number: 311-312.

sharif mahmoud

الثالثة في بغداد في صيف عام 1904. كان هذا الانفجار الوبائي فتاكا بشكل ملحوظ، وقدر ان نحو 100 وفاة حدثت يوميا في المدينة[1]. وقد انفجرت تفشيات وبائية شديدة اخرى ضمن منطقتين اخريين. الاولى، تقع الى الجنوب من بغداد، واشتملت على المسيب، والحلة، والفندية، وكربلاء، والنجف، والكوفة، والديوانية، والشامية والعمارة. اما الثانية، فتقع الى الشمال والشمال الشرقي من بغداد، وضمت الكاظمية، وسامراء، وبعقوبة، وشهربان (المقدادية)، وخانقين واماكن اخرى[2]. وقد اوضح تقرير طبي بريطاني ان نحو 1.500 شخص هاجمتهم الكوليرا في بغداد في صيف عام 1904، وان من بينهم 1.100 شخص قد قضوا نحبهم[3].

وامتد الوباء الى الاجزاء الشمالية الشرقية القصية من العراق في تموز 1904. فقد بينت النشرة الصحية الاسبوعية للمدة من 16 الى 23 تموز، والصادرة عن دائرة صحة بغداد، ان الكوليرا قد ضربت السليمانية وان الاصابات فيها بلغت 133 اصابة، فيما بلغت الخسائر بالارواح 33 وفاة. وقفزت قائمة خسائر الكوليرا في المنطقة ذاتها خلال اسبوعين فقط بشكل يُنذر

1 (B. M. J), Vol. 2, No: 2273, July 23, 1904, P. 199.

2 (A. N. A), Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 220, dated June 30, 1904, Subject: Epidemic, Serial number: 317-318; Clemow, P. 238.

3 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World in 1904, "Thirty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1904-05, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1904-05", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1906), P. 291.

sharif mahmoud

بالخطر. ففي المدة من 23 تموز الى 6 آب أحصيت 568 اصابة و799 وفاة[1]. وعاود المرض ظهوره في مناطق اعالي الفرات في المدة من 18 الى 25 آب، حيث هاجم هيت التي سُجلت فيها 61 اصابة و28 حالة وفاة[2]. وبلغ الوباء ذروته في آب حين غطت هجماته معظم ولايات العراق العثماني الثلاث (انظر: الخارطة في ملحق- 15)، ضاربا في كل الاتجاهات ومسببا خسائر فادحة بالأرواح. فمثلا، قتلت الكوليرا 611 شخصا في مناطق عراقية مختلفة خلال المدة من 13 آب ولغاية 3 ايلول (انظر: جدول-24).

جدول-24 (اصابات ووفيات الكوليرا في العراق للمدة من 13 آب ولغاية 3 ايلول 1904)[3]

المنطقة	الاصابات	الوفيات
بغداد	543	382
السليمانية	111	136
مندلي	51	18
الديوانية	3	4
الفتحة	1	1
هيت	61	28

1 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 37 & 39, September 9 & 23, 1904 respectively, PP. 1859, 1957.

2 (P. H. R), Vol. 19, No. 43, October 7, 1904, P. 2070.

3 Table data are derived from: (P. H. R), Vol. 19, Nos. 41and 44, October 7 & 28, 1904 respectively, PP. 2078, 2233-2234.

sharif mahmoud

المنطقة	الاصابات	الوفيات
شهربان (المقدادية)	42	21
الكوت	5	3
تكريت	3	1
حلتين	10	8
العمارة	18	6
الكاظمية	2	–
سامراء	2	3
المجموع الكلي	852	611

وبينما بدأت سطوة الكوليرا بالتراجع في البصرة في ايلول، واصل الداء قتله الناس بالمئات في بغداد والموصل. وقد بلغت الاصابات والوفيات المسجلة في تلك المدينتين خلال مدة اسبوعين فقط من شهر ايلول، على النحو الآتي: في بغداد، 439 اصابة و283 حالة وفاة؛ وفي الموصل، 287 اصابة و 209 حالة وفاة[1]. وبدت نهاية الوباء وشيكة بحلول تشرين الاول. فمنذ ذلك التاريخ فصاعدا، مالت ارقام الوفيات والاصابات نحو الانخفاض، على سبيل المثال، حدثت 33 اصابة و39 وفاة في بغداد خلال الاسبوع المنتهي في الاول من تشرين الاول 1904، فيما لم الابلاغ عن ست وفيات فقط في الموصل[2]. وخلال

1 (P. H. R), Vol. 19, No. 45, November 4, 1904, P. 2278.
2 (P. H. R), Vol. 19, No. 49, December 2, 1904, P. 2438.

sharif mahmoud

الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني بلغت الوفيات والاصابات ادنى معدلاتها المسجلة منذ بداية التفشي الوبائي. اذ لم يُبلغ حينذاك سوى عن 23 اصابة و24 وفاة في جميع انحاء العراق[1].

وبالرغم من الانحطاط الملحوظ في معدلات الاصابات والوفيات، لم يكن العراق العثماني يومذاك خارج خطر الكوليرا بعد. اذ استمر التفشي الخفيف للوباء في بعض مناطق العراق، ولاسيما الشمالية، في بداية تشرين الثاني 1904. ففي تلك الأونة اصابت الكوليرا السليمانية، حيث جلبت العدوى اليها عشيرة الجاف الكردية التي كانت قد عادت للتو من ربوعها الصيفية في الاراضي الايرانية[2]. ووفقا لنشرة صحية مُعدّة من قبل اختصاصي الجراثيم حمدي عزيز، صادرة في بغداد يوم 21 تشرين الثاني، فقد تم الابلاغ عن 31 اصابة و17 حالة وفاة في السليمانية ورانية[3]. واضحى الاندلاع الخفيف للوباء في تشرين الثاني عنيفا في كانون الاول، واعلنت حالات كوليرا تظهر مجددا في مناطق متفرقة من العراق، مثل بغداد، والبصرة (التي كانت لطيفة من المرض منذ آب 1904)، والموصل، والعمارة، والسليمانية، ورانية وراوندوز. واظهرت نشرة صحية صدرت في بغداد يوم 5 كانون الاول تصاعدا كبيرا في معدلات الاصابات، التي حصل معظمها في المنطقة الكردية. وقد سُجلت في ذلك الشهر 313 اصابة و230 حالة وفاة في عموم العراق، منها 203 اصابة و141 حالة وفاة حدثت في المناطق الكردية (في السليمانية 70 اصابة و30 حالة وفاة، وفي راوندوز 51

1 (P. H. R), Vol. 19, No. 51, December 16, 1904, P. 2579.
2 (P. H. R), Vol. 20, No. 2, January 13, 1905, P. 61.
3 (P. H. R), Vol. 20, No. 3, January 20, 1905, P. 111.

sharif mahmoud

اصابة و36 وفاة، وفي رانية 82 اصابة و69 وفاة[1]. وشكلت حصة المنطقة الكردية من الأرقام الواردة الذكر نحو 65٪ من الاصابات و61٪ من الوفيات. وضربت الكوليرا بحدة راوندوز، التي كانت آنذاك بلدة صغيرة، في منتصف كانون الاول. فبينما سُجلت في عموم العراق 332 اصابة و292 حالة وفاة، كان نصيب راوندوز منها 203 اصابة و185 حالة وفاة[2]، اي بنسبة 61٪ من العدد الكلي للاصابات و63٪ من الوفيات.

وبدأت زيارة الكوليرا غير الرحيمة للعراق في 1903-1904، التي روعت الناس وملئت قلوبهم بالذعر، بالانحسار مرة اخرى في اواخر كانون الاول. لذلك لوحظ تراجع ملفت للنظر في اعداد الاصابات والوفيات في راوندوز، التي سبق وان ضربها الوباء بعنف في كانون الاول 1904[3]، بينما تم اعلان بغداد مدينة خالية من الكوليرا في 3 كانون الثاني 1905[4]. وقد لوحظ ايضا ان اصابات وحالات الوفيات للكوليرا في عموم العراق اثناء الاسبوع الاخير من شهر كانون الاول 1904 لم تتجاوز 25 اصابة و20 حالة وفاة (انظر: جدول-25).

1 (F. H. R), Vol. 20, No. 4, January 27, 1905, PP. 145, 149.
2 (F. H. R), Vol. 20, No. 6, February 10, 1905, P. 228.
3 (F. H. R), Vol. 20, No. 7, February 17, 1905, P. 280.
4 (A. N. A), Roll 2, Vol. 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 243, dated January 5, 1905, Subject: Disappearance of cholera, Serial number: 388-389.

sharif mahmoud

جدول-25 (اصابات ووفيات الكوليرا في العراق من كانون الاول 1903 الى كانون الاول 1904 استنادا لنشرات صحية متتابعة)[1]

رقم النشرة	تاريخ النشرة	الاصابات	الوفيات
39	كانون الاول 1903	249	196
40	كانون الاول 1903	464	485
41	كانون الاول 1903	20	31
3	كانون الثاني 1904	5	5
5	شباط 1904	11	9
6	شباط 1904	30	253
8	آذار 1904	27	16
10و11	آذار ونيسان 1904	72	73
12	نيسان 1904	38	28
23	حزيران 1904	342	230

1 Table data are derived from: "P. H. R": Vol. 19, Nos. 3, 5, 6, 9, 14, 15, 17, 19, 21, 30, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 44, 45, 46, 48, 52, 53, for the days January 15, 29, February 5, 2., April 1, 8, 2., May 6, 20, July 22, August 5, 12, 19, 26, September 2, 9, 16, 23, 30, October 28, November 4, 11, 18, 25, December 16, 23, 30, 1904 respectively, PP. 98, 172, 207, 337, 508, 637, 748, 881, 998, 1475, 1562, 1630, 1688, 1743, 1799, 1846, 1906, 1945, 2000, 2224, 2278, 2334, 2438, 2579, 2639, 2680; Vol. 20, Nos: 4, 6, 7, for the days January 27, February 10, 17, 1905 respectively, PP. 145, 228, 280.

sharif mahmoud

رقم النشرة	تاريخ النشرة	الاصابات	الوفيات
24	حزيران 1904	481	852
25	تموز 1904	210	355
26	تموز 1904	227	213
27	تموز 1904	518	375
28	تموز 1904	683	541
29	آب 1904	965	950
30	آب 1904	926	964
31	آب 1904	361	363
32	آب 1904	425	327
33	آب 1904	306	242
35	ايلول 1904	580	373
36 و37	ايلول 1904	933	644
38	تشرين الاول 1904	233	106
40	تشرين الاول 1904	56	55
44	تشرين الثاني 1904	23	14
45	تشرين الثاني 1904	84	63

sharif mahmoud

رقم النشرة	تاريخ النشرة	الاصابات	الوفيات
46	تشرين الثاني 1904	72	43
47	كانون الاول 1904	313	230
48	كانون الاول 1904	11	14
49	كانون الاول 1904	332	292
50	كانون الاول 1904	25	20

لاشك في ان هذا الهجوم الوبائي الطويل الامد للكوليرا، الذي استغرق اكثر من عام، سبب خسائر بشرية فادحة لسكان العراق. لقد بلغت الاعداد الكلية لاصابات ووفيات الكوليرا لستة اشهر، من 25 حزيران ولغاية 30 كانون الاول 1904، نحو 2.730 اصابة و3.887 حالة وفاة، بينما بلغت الاعداد الكلية للاصابات والوفيات منذ 1 كانون الثاني ولغاية 29 تشرين الاول 1904 نحو 9.006 اصابة و8.516 حالة وفاة[1]. وارتفعت الاعداد المذكورة، لغاية 26 كانون الاول 1904، الى 10.466 اصابة و9.192 حالة وفاة[2].

كوليرا البصرة وبغداد (ايلول 1910 – كانون الثاني 1911)،

كان العراق العثماني لمدة ست سنوات تقريبا خاليا من الكوليرا، باستثناء حالات قليلة ذكرت في بغداد وكربلاء في ربيع عام 1908[3]. وفي خريف عام

1 (P. H. R), Vol. 19, Nos. 51 & 53, December 16 & 30, 1904, PP. 2688, 2689-2690.

2 (P. H. R), Vol. 20, No. 8, February 24, 1905, P. 324.

3 (P. H. R), Vol. 23, Nos. 10, 15, and 20, for the days: March 6, April 10, and May 15, 1908, PP. 289, 471, 660 respectively.

sharif mahmoud

1910 اكتسحت موجة وباء كوليرا قاتلة الاراضي العثمانية الآسيوية في الأناضول وامتدت ايضا الى العراق، حيث أبلغ عن المرض في البصرة في ايلول وفي بغداد في تشرين الاول من العام المذكور[1]. وكثف الوباء هجومه ليتسبب في اصابة 390 شخصا ووفاة 235 شخصا آخرين في ولاية بغداد في المدة من 6 ولغاية 30 تشرين الاول. وقد تسبب الوباء ايضا، لكن بمدى اقل في الخسائر، باصابة 14 شخصا ووفاة عشرة اشخاص آخرين في البصرة في المدة بين 25 ايلول و25 تشرين الاول[2]. وبعد ثلاثة اسابيع، بلغ الوباء ذروته في ولاية بغداد، حيث ازدادت اعداد الضحايا بشكل ملحوظ. فقد سُجلت في الولاية لغاية 19 تشرين الثاني 1910، نحو 645 اصابة و544 حالة وفاة[3]. وقد كانت الاعداد الاجمالية لاصابات ووفيات الكوليرا في بغداد والبصرة، ملخصا تم الاعلان عنها من دوائر الصحة في العراق، على النحو الآتي: في بغداد، 819 اصابة و723 وفاة في المدة من 16 تشرين الاول 1910 ولغاية 16 كانون الثاني 1911[4]، وفي البصرة، 212 اصابة و164 وفاة في المدة من 20 تشرين الاول ولغاية 30 تشرين الثاني 1910[5]. وقد اندثرت الكوليرا لاحقا في العراق ليدخل البلد بعد ذلك في هدنة وبائية قصيرة لغاية منتصف عام 1911، عندما استأنفت الكوليرا هجماتها ثانية.

---

1 (P. H. R), Vol. 25, Nos. 43 & 44, October 23 & November 30, 1910, PP. 1546, 1697.
2 (P. H. R), Vol. 25, No. 48, December 2, 1910, P. 1779.
3 (P. H. R), Vol. 25, No. 51, December 23, 1910, P. 1905.
4 (P. H. R), Vol. 26, No. 7, February 17, 1911, P. 191.
5 (P. H. R), Vol. 26, No. 31, August 4, 1911, P. 1186.

sharif mahmoud

كوليرا بغداد والبصرة (مايس – تشرين الاول 1911):

تفشت الكوليرا في ولايات عثمانية عديدة بضمن ذلك بغداد في منتصف عام 1911. وقد نجم عن العودة العنيفة للوباء الى بغداد وقوع 124 اصابة و114 وفاة خلال المدة بين 29 مايس و30 تموز. وقد ضرب المرض البصرة ايضا، حيث تم الابلاغ عن 132 اصابة و91 حالة وفاة في المدة من 17 حزيران ولغاية 9 آب[1]. وامتد المرض كذلك الى سنجق العمارة، وانتشر عند قبر عزرا[2]، حيث سُجلت هناك ست اصابات في 17 حزيران[3]. وتحلول الخريف قفزت قائمة الوفيات على نحو ينذر بالخطر في كل من ولايتي بغداد والبصرة. فقد تم الابلاغ عن 296 اصابة و212 حالة وفاة في بغداد في التاسع من ايلول، فيما سُجلت 291 اصابة و204 حالة وفاة في البصرة في 23 ايلول[4]. وبلغت الكوليرا اوج شدتها في تشرين الاول 1911. وقد أحصيت في 28 من الشهر المذكور نحو 492 اصابة و345 وفاة في بغداد، بينما قُيدت في البصرة نحو 361 اصابة و257 حالة وفاة في 21 تشرين الاول[5]. وبنهاية شهر تشرين الاول، لم تعد هناك حالات يتم الابلاغ عنها في ولاية بغداد، كما تضاءل المرض ايضا في ولاية البصرة، حيث سُجلت فقط 14 اصابة وعشرة حالات للوفاة خلال المدة من 22 الى 28 تشرين الاول[6]. وعلى الارجح ان غياب اشارات لاحقة لوقوع حالات كوليرا في تقارير الصحة العامة الامريكية قد عنى بان المرض انتهى

---

1 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 35 & 36, September 1 & 8, 1911, PP. 1336, 1375.
2 بلدة الجزير في العمارة
3 (P. H. R), Vol. 26, No. 30, July 28, 1911, P. 1154.
4 (P. H. R), Vol. 26, Nos. 41 & 43, October 13 & 27, 1911, PP. 1594, 1694.
5 (P. H. R), Vol. 26, No. 51, December 22, 1911, P. 2049.
6 (P. H. R), Vol. 27, No. 4, January 26, 1912, P. 142.

sharif mahmoud

بالجملة في ولايتي بغداد والبصرة. وفي الواقع، انه ماعدا اندلاع خفيف حدث في الموصل منذ منتصف تشرين الثاني وحتى بداية كانون الاول 1912، الذي ادى بحياة شخصين في المدينة[1]، كان العراق لغاية عام 1915 نظيفا من الكوليرا.

كوليرا بغداد والموصل (من كانون الثاني 1915 – تشرين الثاني 1917)
الكوليرا في حقبة وداع السيادة العثمانية على العراق.

من سخريات القدر، انه بينما كان الطاعون حاضرا في البصرة قبل نهاية السيادة العثمانية فيها في تشرين الاول 1914، تزامن حضور الكوليرا ايضا مع انسحاب الادارة العثمانية من بغداد في آذار من عام 1917! ذلك الانسحاب الذي انهى 383 عاما من الحكم العثماني للعراق.

فعلما اوقع البريطانيون هزيمة بالجيش العثماني في ولاية البصرة (1914-1915)، هم تقدموا نحو وسط وشمال العراق. وقد جعلت الامراض المعدية، جنبا الى جنب مع المقاومة العثمانية، تقدم البريطانيين محفوفا بمخاطر شتى. لقد كان الزحف البريطاني نحو بغداد مهددا بتنوع غير مسبوق من الامراض والاوبئة. فحيثما تحرك البريطانيون، كان الطاعون، والكوليرا، والجدري، والملاريا، وحمى التيفوئيد، وحمة بغداد، وحمى ذبابة الرمل، والزحار، والاسكربوط، وضربة الحر في انتظارهم[2]. وفي الوقت الذي كان فيه البريطانيون

1 (P. H. R), Vol. 28, Nos. 1 & 8, January 3 & February 21, 1913, PP. 58, 365.

2 Kaushik Roy, The Army in India in Mesopotamia from 1916 to 1918: Tactics, Technology and Logistics Reconsidered, in "1917: Beyond the Western Front", Edited by Ian F. W. Beckett, (Brill: Koninklijke, 2009), P. 152.

sharif mahmoud

يخزون الاراضي العراقية، كانت الكوليرا تضرب بغداد، حيث سُجلت هناك 50 اصابة و15 حالة وفاة في كانون الثاني 1915[1].

وبالاضافة الى الكوليرا، كانت حمى التيفوئيد منتشرة في ربيع وصيف عام 1916 في مناطق عراقية عديدة، بضمنها بغداد وماجاورها[2]. ولم تُستثن ميادين القتال من العدوى الوبائية للتيفوئيد، التي لم تدخر جهداً حتى كبار قادة الجيش العثماني. وكان من بين هؤلاء المارشال الالماني ذائع الصيت فون ديم غولتز، قائد الجيش العثماني السادس في العراق، الذي فرض حصاراً محكماً على الحامية البريطانية في الكوت في عام 1916. وبالرغم مما أشيع آنذاك من ان غولتز قد اغتاله بعض الاتراك المستائين من الاملاءات الالمانية على الامبراطورية العثمانية، الا ان اعلاناً رسمياً اوضح للجلاء ان سبب وفاته في بغداد يوم 19 نيسان 1916 كان اصابته بحمى التيفوئيد[3].

وهاجمت الكوليرا على نحو متزامن بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام 1916. وطبقاً لدراسة بعنوان "ربقة الحملات الشرقية"، اعدها المقدم في الجيش البريطاني جي. آس. بوكانن، والصادرة في 7 كانون الاول 1917، فقد انتشرت

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 2838, May 22, 1915, P. 899.
2 (P. H. R), Vol. 11, Nos. 18 & 35, May 5 & August 18, 1916, PP. 1145, 2230.
3 For a brief biography of von der Goltz, and the circumstances of his death, see: Francis W. Halsey, The Literary Digest History of the World War, Vol. 8: August 1, 1914-October,1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919), PP. 152-153; "The New international Year Book", Edited by Frank Moore Colby, (New York: Dodd, Mead and Company, 1917), P. 284; "The Encyclopedia of World War 1: A Political, Social, and Military History", Edited by Spencer C. Tucker, Vol. 2, (California, 2005), P. 492; Wilfrid Nunn, Tigris Gunboats: The Forgotten War in Iraq 1914-1917, New Edition, (London: Chatham Publishing, 2007), P. 225.

sharif mahmoud

الكوليرا في بغداد وما جاورها بالاضافة الى البصرة في بداية نيسان 1916[1]. ومع ان ظروف الحرب جعلت مسالة الحصول على معلومات تفصيلية بشأن تفشيات الكوليرا في الولايات العثمانية امرا ليس هينا، الا ان بعض المصادر الامريكية قدمت تقارير تتضمن معلومات ملفتة للنظر عن هذه التفشيات[2]. استنادا لهذه التقارير، لم يكن العراق المكان الوحيد الذي غزته الكوليرا في الشرق الاوسط. فقد كان الوباء سائدا في تلك المدة في استانبول، وازمير، ودمشق، وحلب، وبغداد، وادنه، بالاضافة الى بغداد[3]. وقد سُجلت في بغداد وما جاورها 96 اصابة و29 وفاة في المدة من 1 مايس الى 5 تموز 1916[4]. كما اندلعت الكوليرا على نحو منقطع ومحدود في بغداد في المدة من 12 تموز ولغاية 30 تشرين الثاني 1916. وتم الابلاغ آنذاك عن 48 اصابة و14 وفاة[5]. وكان المعدل اليومي للاصابات والوفيات منخفضا بشكل عام مقارنة بموجات سابقة اكتسح فيها الوباء العراق قبل هذا التاريخ. فقد كان معدل الاصابات حالة اصابة واحدة يوميا، اما المعدل اليومي للوفيات فقد كان اقل من واحد (انظر: جدول-26).

1 G.S. Buchanan, Epidemics of the Eastern Campaigns, in "Proceedings of the Royal Society of Medicine", Vol. 11, (London: Longmans, Green & Co., Paternoster Row, 1918), PP. 13-14.

2 See also: Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever throughout the World, 1914-1917, P. 245.

3 (P. H. R), Vol. 11, No. 36, September 8, 1916, P. 2457.

4 (P. H. R), Vol. 31, Nos. 34 & 41, August 25 & October 13, 1916, PP. 2291, 2893.

5 (P. H. R), Vol. 31, Nos. 47, 48, 52, for the days November 24, December 1 & 29, 1916, respectively, PP. 3271, 3330, 3539; Vol. 32, No. 7, February 16, 1917, P. 509.

sharif mahmoud

جدول-26 (اصابات ووفيات الكوليرا في بغداد للمدة من 1 مايس الى 30 تشرين الثاني 1916)[1]

التاريخ	الاصابات	الوفيات	المعدل اليومي للاصابات	المعدل اليومي للوفيات
1 مايس – 5 ايار	96	29	واحد	اقل من واحد
12 ايار – 7 ايلول	13	2	اقل من واحد	اقل من واحد
8 – 12 ايلول	9	4	2	واحد
15 – 24 ايلول	9	2	واحد	اقل من واحد
6 – 30 تشرين الثاني	17	6	اقل من واحد	اقل من واحد
المجموع الكلي	144	43		

1 Table data are derived from: (F. H. R)., Vol. 31, Nos. 34, 36, 46, 47, 48, 52, for the days August 25, September 8, October 13, November 24, December 1, & 29, 1916 respectively, PP. 2291, 2457, 2893, 3271, 3310, 3539; Vol. 32, No. 7, February 10, 1917, P. 309.

sharif mahmoud

وبالاضافة الى ولاية بغداد، انتشرت الكوليرا في الموصل وضواحيها قبل الاحتلال البريطاني. فلقد ظهر الوباء في الموصل في عام 1917، حيث تم الاخطار عن 472 اصابة و97 حالة وفاة[1].

لقد عانت القوات البريطانية الغازية من الكوليرا كثيرا اثناء زحفها من الجنوب الى الشمال. فمثلا، لم يكن بمقدور الكتيبة البريطانية الاولى من فرج هابشير الرابع ان تحشد سوى 16 ضابطا و289 جنديا لانقض صحيا[2]. ولقد سُجلت في المدة بين نيسان وحزيران 1916، نحو 1700 اصابة بالكوليرا بين القطعات البريطانية. ويمكن ان يُعزى انتشار الكوليرا الى التأخير في التطعيم المنظم للقطعات[3]، ونقص النظافة بين بعض الجنود البريطانيين الذين كانوا يشربون الماء الملوث بجرثومة الكوليرا[4].

ولقد واصلت الكوليرا هجماتها الواهنة بعد احتلال البريطانيين بقيادة الجنرال ستانلي مود لبغداد في 11 آذار 1917. وكان للكوليرا دور دراماتيكي في نهاية العراق العثماني المتأخر. فالجنرال مود، الذي هزم العثمانيين في ساحات الوغى، قد هزمته الكوليرا وقضى نحبه في بغداد يوم 17 تشرين الثاني 1917[5].

---

1 Low, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever throughout the World, 1914-1917, P. 240.
2 Roy, P. 152.
3 Buchanan, PP. 13, 35.
4 (B. M. J), Vol. 2, No. 2950, July 14, 1917, P. 35.
5 (B. M. J), Vol.1, No. 2977, January 19, 1918, P. 95; Nunn, P. 279; Halsey, P. 202.

sharif mahmoud

(ثالثا)، تفشيات الجدري في السنوات 1854-1915:

يُصنف الجدري على انه مرض معدي على نحو عام ويتميز باخمى واندفاع البثور. وينجم المرض في العادة عن عدوى تنتقل من شخص مصاب بالجدري ولديه بثور في الجلد الى شخص آخر سليم. ويمكن للعدوى ان تنتقل ايضا من خلال افواه. لقد كان الداء سائدا على نطاق واسع في اوربا في العصور الوسطى ولغاية الازمنة الحديثة. وقد ادخلت السلطات الصحية الاوربية برنامج التطعيم ضد الجدري في اواخر القرن التاسع عشر. وهذا السبب، فان مكانة الجدري كمرض قاتل قد تضاءلت في الغرب[1]، بينما بقيت مكانته بارزة في قائمة الاوبئة التي كانت تفتك بالناس بشدة في الاقطار المتخلفة، مثل ممتلكات الامبراطورية العثمانية السابقة، ويضمنها العراق.

وبسبب تناقص الدور القاتل للجدري في اوربا، لم تعد القنصليات الاجنبية في بغداد تهتم كثيرا بالوباء، واصبحت معلوماتها التي تبلغ عن تفشياته ناقصة، مقارنة بما كانت تعمله القنصليات ذاتها مع امراض وبائية قاتلة اخرى. وفي ضوء النقص في البيانات والاحصاليات والتقارير الارشيفية الامريكية والبريطانية، فانه لايمكن تتبع تفشيات الجدري في العراق بدقة والتحقيق فيها بسهولة على غرار ما فعلنا سابقا مع الطاعون والكوليرا.

على اي حال، ان الدور المميز للجدري في تأريخ العراق الوبائي قد تواصل لغاية اواخر العهد العثماني، ولاسيما قبل مرحلة ادخال التطعيم[2]. لقد

1 Karl Liebermeister, Infectious Diseases, Part 2: Measles, Scarlet, Fever, Smallpox, Varicella, Rubella, Diphtheria, Translated from German by E. P. Hurd, (Detroit: George S. Davis, 1888), PP. 143-184.
2 Hirsch, Vol. 1, P. 131.

sharif mahmoud

شهد العراق اندلاعات للجدري متباينة في قوتها وأثرها التدميري خلال السنوات 1854، و1857، و1858، و1860. وقد وصف الجدري في عام 1870، بأنه زائر منتظم للعراق أزهق أرواح أعداد كبيرة من الناس. وقد ذكر بأن الجدري ضرب بغداد مرارا في عام 1875. ونتيجة لحدوثه المتكرر، عد احد علماء الأوبئة الجدري وباءا متوطنا في العراق[1].

وقد رصدت بعض التقارير الأمريكية تفشيا للجدري في اماكن متفرقة من العراق، وخصوصا مناطق اعالي دجلة، ذهب ضحيته العديد من الوفيات في الفترة من ربيع عام 1893 ولغاية نهاية شتاء عام 1894. وكان الوباء قد بلغ ذروة هجومه في المدة بين آذار وأيلول من عام 1893، قاتلا قرابة 39 شخصا. وقد تراجع المرض في الخريف على نحو ملحوظ. وحسن تقرير صحي امريكي صادر في آب 1894، بأن الوفيات من الجدري في العراق خلال السنة المالية المنتهية في 28 شباط 1894، كانت 47 شخصا (انظر: جدول-27).

جدول-27 (وفيات الجدري خلال السنة المالية المنتهية في 28 شباط 1894)[2]

الشهر	عدد الوفيات
آذار 1893	12
نيسان	8
مايس	6

1 Davidson, Geographical Pathology, P. 280; Evatt, P. 197.

2 Table data are derived from: (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 33, August 17, 1894, P. 661; (W. A. S. R), Vol. 9, No. 6, February 9, 1894, P. 80; (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 20, May 18, 1894, P. 315.

sharif mahmoud

الشهر	عدد الوفيات
حزيران	4
تموز	9
آب	1
ايلول	-
تشرين الاول	-
تشرين الثاني	-
كانون الاول	4
كانون الثاني	2
شباط 1894	1
العدد الكلي	47

علاوة على ذلك، ظهر المرض في بغداد في عام 1898. وطبقا لمذكرة ارسلها المفتش الصحي لبغداد بتاريخ 2 كانون الاول 1898، الى وكيل القنصل الامريكي، رودولف هرتر، فان الجدري كان سائدا في بغداد من 22 تشرين الاول ولغاية 27 تشرين الثاني، حيث أصيب 96 شخصا بالمرض، لقي 66 منهم للشفاء التام، وتوفي 20 آخرين، فيما بقي عشرة آخرين تحت العلاج. ومن الجدير بالذكر، انه كانت لدى وكيل القنصل الامريكي شكوك بشأن الارقام التي قدمها له المفتش الصحي لبغداد عن اصابات الجدري. على اي حال، فانه

sharif mahmoud

استنادا للارقام المأخوذة من الاهالي، فقد عرفت، لكن فيما يبدو على نحو مبالغ فيه كثيرا، حالات الاصابة بالجدري اثناء المدة المذكورة بما يربو على 10.000 حالة[1]. وفي السنة التالية، اعلن المفوض الصحي الامريكي في استانبول، في تقريره المؤرخ في 2 مايس 1899، ان الجدري قد ظهر في خمانين على الحدود العراقية-الايرانية[2].

على مستوى الصحة العامة في العراق العثماني، يمكن اعتبار سنة 1906 بمثابة سنة استثنائية، لان البلد كان آنذاك خاليا نسبيا من الاندلاعات الظليدية للاوبئة. لكن لسوء الحظ، لم تستمر هذه الفسحة الوبائية طويلا، اذ حفلت السنة التالية بهجمات وبائية متنوعة في العراق، والتي كان الجدري من ابرزها. من الناحية الزمنية، كانت موجة الجدري في ربيع عام 1907، التي تواصلت بشكل متقطع لغاية صيف عام 1910، الاطول في تاريخ العراق الحديث. وقبل الفجاره في العراق، كان الجدري منتشرا في مناطق عديدة من الشرق الاوسط. فمثلا، غزا الوباء خلال اشهر تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول من عام 1906 مئة عشر منطقة ايرانية، بضمنها طهران وماجاورها. كما كان الداء سائدا كذلك في استانبول، وبيروت، ودمشق خلال الاشهر الاولى من عام 1907[3]. وفي الواقع ان تحقيقا موضوعيا عن موجة الجدري في العراق في عام 1907، يتطلب تحريا للظهور الوباء وتطوره من الناحية الزمنية. فمن الواضح ان الظهور الاستهلالي للمرض قد كان في البصرة بتاريخ 10 آذار 1907[4]. اما في

1 (P. H. R), Vol. 14, No. 5, February 1, 1899, P. 175.
2 (P. H. R), Vol. 14, No. 20, May 19, 1899, P. 748.
3 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 4, 15, 17, January 25, April 12, April 26, 1907 respectively, PP. 88, 455, 536.
4 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 18 & 22, May 3 & 31, 1907, PP. 579, 743.

sharif mahmoud

بغداد، فقد انتشر الجدري في 19 مايس، ثم تصاعدت حدته في الأشهر التالية. وبدأ الوباء يخفت منذ 24 آب لغاية ان توقف في 24 ايلول[1]. ولم يستأنف الجدري هجومه ثانية ضد البصرة لغاية كانون الثاني 1909، حيث تم الابلاغ حينذاك عن حالات اصابة جديدة[2]. وقد توقف الجدري في البصرة في حزيران 1909، لكنه استأنف نشاطه في بغداد[3]، حيث لوحظت حالات جديدة للجدري في بداية عام 1910[4]. وقد سجلت تقارير الصحة الامريكية الاصابات الاخيرة للجدري في بغداد بتاريخ 26 شباط 1910[5]. ومنذ ذلك الحين لم تتضمن تلك التقارير اية حالات جديدة للجدري. ويبدو ان المرض كان قد انحسر تماما عن بغداد والمناطق المجاورة. وفي غضون ذلك الحين، جدد الجدري هجماته ضد البصرة في نيسان من عام 1910[6]، ولم يتوقف لغاية منتصف آب، حينما تم الاعلان عن الاصابات الاخيرة للوباء[7].

وبينما لاتتوفر ارقام بشأن اصابات ووفيات الجدري في البصرة، فأن جهدا بحثيا استثنائيا، مستندا على ملاحظة وتصنيف حزمة واسعة ومتنوعة من التقارير الصحية الامريكية التي تتضمن احصائيات واشارات تتعلق بتفشي الجدري في بغداد، قد اثمر في اعداد جدول يتضمن تقديرات نسبية لاصابات ووفيات

1 (P. H. R), Vol. 22, Nos. 44 & 52, November 1 & December 27, 1907, PP. 1588, 1935.
2 (P. H. R), Vol. 24, No. 10, March 5, 1909, P. 292.
3 (P. H. R), Vol. 24, No. 53, December 31, 1909, P. 2008.
4 (P. H. R), Vol. 25, No. 10, March 11, 1910, P. 306.
5 (P. H. R), Vol. 25, No. 24, June 17, 1910, P. 872.
6 (P. H. R), Vol. 25, No. 23, June 10, 1910, P. 833.
7 (P. H. R), Vol. 25, No. 38, September 23, 1910, P. 1342.

sharif mahmoud

الجدري في مدينة بغداد للمدة من تشرين الاول 1907 ولغاية مايس 1909 (انظر: جدول-28).

جدول- 28 (احصائية اسبوعية وشهرية عن اصابات ووفيات الجدري في بغداد من تشرين الاول 1907 ولغاية مايس 1909)[1]

المنطقة	التاريخ	الاصابات	الوفيات
بغداد	16-30 تشرين الثاني 1907	165	40
بغداد	لغاية 28 كانون الاول 1907	60	10
بغداد	لغاية 18 كانون الثاني 1908	126	24
بغداد	لغاية 29 شباط 1908	260	59
بغداد	لغاية 21 آذار 1908	119	19
بغداد	لغاية 25 نيسان 1908	153	13
بغداد	لغاية 6 حزيران 1908	58	7
بغداد	لغاية 21 حزيران 1908	138	25
بغداد	لغاية 18 تموز 1908	483	107

1 Table data are derived and concluded from: (P. H. R), Vol. 23, Nos. 3, 7, 11, 14, 15, 17, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 29, 32, 34, 35, 36, 38, 39, 42; for the days: January 3, 17, February 14, March 13, April 3, 10, 24, May 15, 22, 29, June 5, 12, 19, 26, July 17, August 7, 21, 28, September 4, 18, 25, October 16, 1908 respectively, PP. 76, 130, 333, 407, 472, 530, 671, 715, 768, 887, 852, 900, 945, 1046, 1155, 1221, 1253, 1283, 1360, 1405, 1524; Vol. 24, No.23, June 4, 1909, P. 800.

sharif mahmoud

المنطقة	التاريخ	الاصابات	الوفيات
بغداد	لغاية 15 آب 1908	287	103
بغداد	لغاية 5 ايلول	183	67
بغداد	6 تشرين الثاني 1908 – 12 مايس 1909	17	7
العدد الكلي		2049	481

طبقا للجدول اعلاه، كان التفشي الوبائي للجدري في بغداد في المدة من 16 الى 30 تشرين الثاني 1907 عنيفا بشكل ملفت للنظر. فقد سُجلت آنذاك، 165 اصابة و40 حالة وفاة في غضون اسبوعين. وقد تضائل الوباء بشكل ملحوظ في نهاية تلك السنة، لكنه استأنف هجومه العاصف في بداية عام 1908. وأحصيت خلال المدة من كانون الثاني ولغاية نيسان 1908 نحو 658 اصابة و115 حالة وفاة. وبلغت الحصيلة الوبائية للجدري ذروتها في بغداد في حزيران 1908، وبدأت ارقام الاصابات والخسائر بالارواح تتصاعد تدريجيا منذ ذلك التاريخ. وفي الواقع، ان المرحلة الاكثر فتكا للوباء قد حدثت في المدة الواقعة بين الاسبوع الاول من حزيران و5 ايلول 1908، اذ بلغت الاصابات لغاية ذلك التاريخ 1149 اصابة، والخسائر بالارواح نحو 309 حالة وفاة. ولم تبدأ هذه الموجة الوبائية الكبيرة للجدري بالانحسار تدريجيا عن بغداد الا في النصف الاول من عام 1909، ثم توقفت كليا في عام 1910. وطبقا لتقارير صحية امريكية، فان التفشي الاخير للجدري في العراق قد حدث في بغداد في

sharif mahmoud

المدة بين 30 نيسان و8 مايس 1915. وكان هذا التفشي، على ما يبدو، خفيفا، ولذلك لم يتم الابلاغ سوى عن حالات اصابة قليلة بالوباء[1].

على اي حال، الرت العواقب المدمرة للاوبئة، ولاسيما حصة القتلة الثلاثة، الطاعون والكوليرا والجدري، بعمق في حياة الناس بالعراق طوال الفترات العثمانية المتأخرة. ومما لاينكر ان تدابيرا عديدة كانت قد اتخذتها السلطات العثمانية المركزية في استانبول والعاملة في الولايات العثمانية الثلاث، بغداد والموصل والبصرة، من اجل تفادي كوارث الموجات الوبائية المتلاحقة. لكن من المؤكد ان الادارة العثمانية في العراق لم تعطي اهتماما كافيا للحد من تواتر الاوبئة وكبح جماحها. ففي ذلك الوقت، اظهر العديد من السياسيين والمسؤولين الحكوميين رغبة اقل في تبني اجراءات وقائية جذرية وبرامج متطورة بعيدة المدى لاستئصال الاوبئة على نحو شامل. علاوة على ذلك، فان الجهل والتخلف وانعدام المسؤولية كانت عناصر اساسية اعاقت تنفيذ بعض تلك الاجراءات وقللت كثيرا من فاعليتها الايجابية في السيطرة على الامراض المعدية في العراق العثماني.

1 (F. H. R), Vol. 10, Nos. 28 & 29, July 9 & 16, 1915, PP. 2083, 2106.

sharif mahmoud

الفصل الثالث

جهود السيطرة على الأوبئة في العراق في العهد العثماني المتأخر

sharif mahmoud

sharif mahmoud

الفصل الثالث
جهود السيطرة على الأوبئة في العراق
في العهد العثماني المتأخر

الرقابة الصحية في المناطق الحدودية والداخلية

لقد دخلت معظم الأوبئة التي اكتسحت العراق اثناء الفترات العثمانية المتأخرة من خلال مناطق حدوده الدولية. فقد جلبت عدوى الطاعون في السنوات 1900، و1901، و1902، و1903، و1907، و1910، و1911، و1913 و1914، من ايران وأقطار اخرى من خلال معابر الحدود في السليمانية والبصرة[1]. وقد شهد العراق العثماني في المدة بين 1851 و1899، ثلاثة عشر اندلاعا وبائيا للكوليرا. وقد تم توريد عدوى هذه الاندلاعات من ايران ومكة والهند. وبينما انطلقت ثمانية من هذه العدوى الوبائية الى العراق عن طريق البصرة، فأن الخمسة الباقية اجتازت الحدود العراقية-الايرانية عبر مناطق خانقين (انظر: جدول-29).

---

1 (P. H. R), Vol. 15, Nos. 16 & 18, for the days: April 20 and May 4, 1900, PP. 925, 1100; (P. H. R), Vol. 18, No. 23, June 5, 1903, P. 889; "A.N.A", Roll 2, Vol:2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 165, dated May 2, 1901, Subject: Plague, Serial number: 96/97; (P. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 101; (P. H. R), Vol. 25, No. 18, May 6, 1910, P. 610; (P. H. R), Vol. 26, No. 26, June 30, 1911, P. 1048; (P. H. R), Vol. 28, Nos. 26 & 34, for the days: June 27 and August 22, 1913, PP. 1374, 1376; (P. H. R), Vol. 29, No. 25, June 19, 1914, P. 1643.

sharif mahmoud

جدول-29 (معابر الكوليرا الى العراق 1851-1899)[1]

السنة	مصدر الوباء	مكان عبور الوباء
1851	الهند	البصرة
1855	مكة	البصرة
1856	ايران	خانقين
1857	ايران	خانقين
1858	مكة	البصرة
1861	ايران	خانقين
1866-1865	مكة	البصرة
1869	ايران	خانقين
1870	ايران	خانقين
1872-1871	ايران	البصرة
1889	الهند	البصرة
1893	ايران	البصرة
1899	الهند	البصرة

1 Table data is derived from: Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 59-60, 64; (B. M.); Vol.1, No. 1531, May 3, 1890, P. 1031; "Report o la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 19; Bryden, P. 37; "A Reference Handbook of the Medical Sciences", Vol. 8, P. 354; Proust, P. 139; Barry, PP. 267-268; Clemow, P. 226.

sharif mahmoud

ولكون البصرة لموفر، بحكم موقعها الجغرافي، مدخلا ملائما للاوبئة القادمة من الهند وايران والجزيرة العربية، فقد أعطيت مسألة تعزيز دفاعاتها ضد الامراض المعدية اولوية في السياسة الصحية العثمانية في العراق[1]. وغدت البصرة ايضا برأي المراقبين الصحيين الغربيين ممرا للاوبئة القادمة من الشرق الى القارة الاوربية. لهذا، فانه كلما اندلع وباء فيها، كانت استجابة القوضين الصحيين الدوليين في استانبول فورية. فمثلا، عندما حصلت اصابة طاعون في البصرة يوم 10 نيسان 1898، سارع العضو الامريكي في اللجنة الصحية الدولية باستانبول الى الاعلان بان هذا الحدث قد يقود الى وباء عالمي[2].

على اي حال، فانه فور اندلاع وباء في بلد لديه علاقات تجارية او دينية مع العراق، كانت السلطات الصحية العثمانية تبادر الى تطبيق اجراءات وقائية مشددة في المعابر الحدودية. فعندما ضرب الطاعون الهند في عام 1897، اصدرت دائرة صحة بغداد تعليمات في 10 شباط من العام المذكور، منع بموجبها الحجّاج والمسافرين القادمين من الهند وبلوشستان وايران من دخول العراق من خلال المنافذ الحدودية في البصرة وخانقين[3]. واتخذت تدابير مماثلة بعدما اندلع طاعون خفيف في بعض القرى الحدودية للسليمانية في ربيع عام 1900. فقد أغلقت آنذاك كل المعابر الواقعة على الحدود العراقية-الايرانية بين راوندوز وزرباطية، كما مُنع المسافرين القادمين من ايران، بضمنهم الزوار الشيعة، من دخول العراق[4].

---

1 (F. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 261.

2 (F. H. R), Vol. 13, No. 18, May 6, 1898. P. 463.

3 (F. H. R), Vol. 12, No. 15, April 9, 1897, P. 366.

4 "A.N.A", Roll 2, Vol. 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Dispatch No. 145, dated April 26, 1900, Subject: Disease, Serial number 29-31.

sharif mahmoud

لقد اشرفت دائرة صحة بغداد على المكاتب الصحية التي تسجل وتراقب حركة الزوار والجثث في المعابر الحدودية وفي المناطق الداخلية. وكان على كل القادمين من ايران وافغانستان واماكن اخرى ان يخضعوا لرقابة صحية صارمة. ووفقا لذلك، ضمنت -وبقدر ما- الدوائر الصحية في السماوة، والعمارة، وكربلاء، والنجف، والمسيب، والكاظمية، وكركوك والموصل ان يكون هناك التزاما مستمرا بالنظم الصحية، لاسيما في المسائل ذات الصلة بعبور الزوار ونقل الجثث من ايران ومناطق اخرى[1].

وبالرغم من ان الرقابة الصحية قد طُبقت بحزم في المعابر الحدودية، الا ان انتهاكات لقواعدها ونظمها قد حدثت بين الفينة والأخرى. فعلى سبيل المثال، حاول بعض الزوار الايرانيين تفادي اجراءات الحجر الصحي في البصرة في شباط عام 1898. لقد هبط هؤلاء في الخمرة بابوان، ومن هناك تسللوا بطريقة غير قانونية الى الاراضي العراقية. وفي الوقت نفسه، فان المرء يمكنه رصد العديد من أوجه القصور في عمليات الرقابة الصحية في المعابر الحدودية. فمثلا، كان ادخال الجثث الى العراق من خلال معبر البصرة الحدودي يتهك اللوائح الصحية من حين لآخر. ففي هذا الصدد، ذكر ان العديد من الأجانب تمكنوا من الحصول على تخويلات وادونات غير قانونية لجلب جثث اقربائهم الى الاراضي العراقية[2]. لقد اسهمت مثل هذه العيوب والتقصيرات في عدم احكام نظام الرقابة الصحي الحدودي، وفي ضعف قدرته في منع الاوبئة من دخول العراق من الخارج اثناء العهد العثماني المتأخر.

---

1 Chiha, P. 102.

2 (F. H. R), Vol. 13, No.7, February 18, 1898, P. 159; Vol. 14, No. 10, March 10, 1899, P. 313.

sharif mahmoud

إقامة الحواجر والنطاقات الصحية

لم يكن الحجر الصحي، كنظام وقائي اوربي معتمد ضد الهجمات الوبائية، معروفا في الامبراطورية العثمانية لغاية 23 محرم 1254 هجرية (الموافق 18 نيسان 1838). ففي هذا اليوم اصدر السلطان العثماني محمود الثاني (1785-1839) فرمانا (مرسوم) يأمر بتطبيق اجراءات الحجر الصحي[1]. وصدرت النظم العثمانية للحجر الصحي، المعروفة باسم "الاحكام الاساسية للسفن القادمة الى القسطنطينية (استانبول) والموانئ الاخرى للامبراطورية العثمانية"، في 27 مايس 1840. وطبقا لاحدى هذه الاحكام، فان السفن المحملة بمواد سريعة التأثر، يجب ان تدخل حجرا صحيا[2]. واوصى حكم آخر السلطات الصحية بان تخضع لاجراءات الحجر كل المسافرين الذين لديهم وضع صحي مريب[3].

اما في العراق، فقد طُبق نظام الحجر الصحي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد تم تنظيم مؤسساته اثناء عهد الوالي مدحت باشا (1869-1872). ففي ذلك الوقت، اشرفت ادارة الحجر الصحي لبغداد على كافة الحاجر الموزعة في المناطق الداخلية، مثل النجف وكربلاء. وكذلك حاجر المعابر الحدودية. لقد اشتملت ادارة الحجر الصحي لبغداد في المدة بين 1875 و1885، على الموظفين الآتيين: مدير، الذي كان طبيبا، مفتش، محاسب، وموظفين اثنين، واحيانا ثلاثة. واشرفت كافة محطات الحجر الصحي التي أقيمت

1 Z. I. Lostfi, La Politique Sanitaire Internationale, (Paris: Arthur Rousseau, 1906), P. 9.

2 See: Article 6, Para. (a), in " The Laws Relating to Quarantine of Her Majesty's at Home and Aboard and of the Principal Foreign States", Edited by Sherston Baker, (London: C. Kegan Paul & Co., 1879), P. 406.

3 See: Article 20, Para. (A), Ibid. P. 503.

sharif mahmoud

بشكل دائم في المعابر الحدودية على دخول الرعايا الاجانب الذين يزورون العراق، وتولت ايضا فحص الجثث الداخلة الى البلاد للتحقق من انها لم تكن مصابة سابقا بالطاعون او الكوليرا[1]. وكان لدى ولاية بغداد في عام 1913، تسعة محاجر صحية موزعة على المدن المقدسة ومنافذ الدخول ومناطق اخرى (انظر: جدول-30).

جدول-30 (ملاك ادارات الحجر الصحي والتطعيم في ولاية بغداد في عام 1913)[2]

موقع الادارة	طبيب	موظف حجر	حارس حجر	موظف تطعيم	كاتب	مساعدون آخرون
بغداد المركز	-	-	-	2	-	-
الكاظمية	-	1	4	-	-	-
سامراء	-	1	-	-	-	-
مندلي	-	1	3	-	-	-
خانقين	1	-	12	-	3	3
زرباطية	-	1	3	-	-	-
كربلاء	-	1	2	1	-	-

1 النجار، ص ص 444-445.

2 بيانات الجدول مستمدة من: سالنامة ولاية بغداد، دفعة 22، 1913، ص ص93، 107، 109، 111، 113، 114، 125، 135، 136، 137، 141، 332، 333.

sharif mahmoud

موقع الادارة	طبيب	موظف حجر	حارس حجر	موظف تطهير	كاتب	مساعدون آخرون
المسيب	-	1	3	-	-	-
النجف	-	1	6	-	-	-
العدد الكلي	1	7	33	3	3	3

وكان في البصرة في عام 1899 ادارة للمحجر الصحي (كرنتينه ادارة سي). لقد اشتملت هذه الادارة على الموظفين الآتيين: طبيب، مساعد طبيب، موظف صحي، رئيس كتاب (الذي كانت لديه مهارات تحدث باللغات الاجنبية)، مساعدين اثنين لرئيس الكتاب، خمسة حراس حجر صحي، واربعة رجال مراكب[1]. اما في ولاية الموصل، فقد تم تأسيس دائرتين للحجر الصحي في المناطق الحدودية في عام 1890: الاولى، في راوندوز، واشتملت على: طبيب، كاتب، وحراس اثنين[2]، اما الثانية، فقد تموقعت في السليمانية، وكانت تُدار من قبل مدير واحد[3]. لقد كان لهذه الحواجر الصحية، في الواقع، دور مؤثر في برامج السلطات العثمانية الوقائية لمجابهة الاوبئة في العراق.

وفيما عدا محطات الحجر الدائمة القائمة في المعابر الحدودية، او في بعض المدن والبلدات، فان النمط الآخر للحواجر اشتمل على تلك التي كانت تُؤسس مؤقتا، اما قبل او اثناء بعد الاندلاعات الوبائية. هنا نحن نعرض بعض النماذج لاجراءات حجر صحي أُتخذت لمواجهة هجمات وبائية محتملة. فقد أقيم حجر

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 61.
2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", p. 257.
3 Ibid, P. 261.

sharif mahmoud

صحي في البصرة في ايلول 1867 بعدما اندلعت الكوليرا في مدينة ايرانية تقع بالقرب من بحر قزوين[1]. وعندما انفجر الطاعون في بعض القرى الايرانية القريبة من الحدود العراقية في عام 1871، فُرض حجرصحي في السليمانية[2]. وحالما ضرب الطاعون بعض قرى الفرات الاوسط في عام 1876، امر والي البصرة، ناصر باشا، بحجر صحي لكل الناس القادمين من بغداد[3]. وعندما اجتاح الطاعون الهند في عام 1896، تم اخضاع المسافرين القصد الواصلين الى البصرة لاجراءات حجر صحي صارمة[4]. وفي غضون تلك المدة، فأن كل السفن التي كانت تصل البصرة من مسقط والبحرين والقصرة قد أخضعت لحجر صحي امده عشرة ايام[5]. وأعتمدت التدابير نفسها عندما ضرب الطاعون بومبي بعنف في عام 1897. لقد امرت ادارة الصحة العثمانية في العراق آنذاك بتأسيس محطة حجر صحي في الفاو على راس الخليج العربي[6]. علاوة على ذلك، تم اخضاع كل السفن القادمة الى البصرة لحجر صحي امده عشرة ايام[7]. وبعد ان تفشى الطاعون في بعض المناطق الحدودية الايرانية المحاذية لشمالي العراق، اصدرت دائرة صحة بغداد منشورا في نيسان 1900، الزم المسافرين الايرانيين بالخضوع لحجر صحي نظامي[8]. وتم ايضا فرض حجر صحي أمده عشرة ايام على كل المنتجات المصدرة من الاراضي الايرانية الى المناطق الحدودية العراقية المتاخمة

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 64.
2 Ibid, P. 54.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.
4 (P. H. R), Vol. 11, No. 48, November 27, 1896, P. 1110.
5 (P. H. R), Vol. 12, No. 6, February 5, 1897, P. 143.
6 (P. H. R), Vol. 12, No. 20, May 14, 1897, P. 480.
7 (P. H. R), Vol. 13, No. 4, January 28, 1898, P. 84.
8 "A.N.A", Roll 2, Vol. 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 145, dated April 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 29-31.

sharif mahmoud

الواقعة بين راوندوز وزرباطية. وقد بني هذا الحجر سابقا لتحو ثلاثة اشهر وأنهي في 22 تموز[1]. وعندما انتشرت الكوليرا في ايران في عام 1904، أتخذت اجراءات حجر مماثلة في العراق. لقد فرضت السلطات العثمانية في بغداد آنذاك حجرا صحيا أمده خمسة ايام على خانقين، وشمل كل القادمين من كرمنشاه في ايران[2].

وبسبب نقص المؤسسات الصحية العثمانية وطبيعة التفشيات الوبائية، كان يتم احيانا تنصيب او تحريك الحواجز الصحية على نحو عاجل. فمثلا، خلال الحمة الوبائية للطاعون في 1880-1881، أقيمت العديد من الحواجز الصحية بشكل نظامي، فيما جرى اقامة اخريات على جناح السرعة باستخدام الخيام او الحصير[3]. وبعدما سادت الكوليرا في العراق على نطاق واسع في عام 1889 وفقط معظم ارجاء البلاد، تعززت جهود الدوائر الصحية من خلال اقامة ما يمكن تسميته بـ"حواجز صحية متنقلة". لقد كان بالامكان تحريك مثل هذا النوع من الحواجز بسهولة من مكان لآخر في محاولة لتعقب الاوبئة ووقف انتشارها. ان واحدة من محطات الحجر هذه قد تم تأسيسها في الكوت. لقد ضمت هذه المحطة اثناء تفشي الكوليرا لعام 1889 نحو 800 نزيل[4]. وبسبب نقص الحواجز، أقيمت على نحو عاجل احيانا مستشفيات مؤقتة. وقد تم تأسيس اثنين من هذا النوع من المستشفيات في بغداد بعدما ضربها طاعون خفيف في عام 1901. وكان على

1 "A.N.A", Roll 2, Vol. 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 153, dated July 26, 1900. Subject: Disease. Serial number: 53-55.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 2208, June 25, 1904, P. 1508.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.
4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. P. 376.

sharif mahmoud

المسافرين ان يخضعوا في هذه المستشفيات لحجر أمده خمسة ايام، علاوة على تطهير امتعتهم كيمياويا وتعريضها لاشعة الشمس يوميا[1].

وتشملت اجراءات الحجر الصحي في بداية القرن العشرين على ابادة الفئران، الوكلاء الفاعلون في نقل الطاعون. ففي كانون الثاني 1902، وكذلك في اواخر ايلول 1914، تطلبت اجراءات الحجر الصحي في بغداد لمواجهة الطاعون ان تخضع كل الرواكب القادمة الى بغداد او البصرة الى تفتيش صحي عند الوصول، والى عملية ابتئات فئران كذلك. ومما يجدر ذكره بهذا الشأن، ان السلطات الصحية لاستانبول قد تبنت بعد تردد طويل النظرية التي اعتبرت الفئران احد العوامل الفاعلة في نشر عدوى الطاعون[2].

بالاضافة الى المحاجر، تم استخدام نظام النطاقات الصحية على نحو واسع من قبل سلطات الصحة العثمانية في العراق لوقف انتشار الاوبئة. وتختلف المحاجر التي كانت مؤسسات دائمة اومؤقتة، فأن النطاقات كانت خطوط دفاع صحي تمتد لمسافات بعيدة. تألفت النطاقات احيانا من خليط من الحراس الصحيين والقطعات العسكرية. وهي كانت تتشكل في الغالب حاجزا لمنع حركة الناس من بقعة ضربها وباء الى بقعة اخرى. وغالبا ما تم تعزيز هذه النطاقات بمحطات صحية ومحاجر. وكان النطاق الذي تم تأسيسه في عام 1876 لوقف تقدم الطاعون في بعض مناطق العراق النموذج بارزا لتلك النطاقات. عَد هذا النطاق متعدد الاغراض من الناحية العملية، وقد اشتمل على المناطق الآتية: الكفل، لمنع نقل الجثث من الحلة الى النجف؛ وكفري، لايقاف المسافرين

1 (P. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, PP. 1350-1351.
2 (P. H. R.), Vol. 17, Nos. 3 & 9, January 17 & February 28, 1902, PP. 148, 488; Vol. 29, No. 47, November 20, 1914, P. 3139.

sharif mahmoud

الذاهبين الى كردستان العراق واعضائهم لنظام حجر صحي؛ ولكويت، لايقاف المسافرين الذاهبين الى الموصل[1]. ويجسد نطاق عام 1881 تجلاء بناء وآلية عمل هذه الانواع من الخطوط الدفاعية الصحية. فعندما تفشى الطاعون في العراق في هذه السنة، هيأ مفتش صحة بغداد الخطط لتأسيس نطاق من القطعات العسكرية حول البقع المصابة. وامتثالا للامر الصادر من الباب العالي في استانبول، وضع عزت باشا، القائد العام للجيش العثماني في بغداد، القطعات في الولاية تحت تصرف السلطات الصحية. ووجهت كذلك دعوات الى اطباء خالقين والبصرة ومناطق عراقية اخرى للذهاب الى الاماكن التي ضربها الطاعون. كما قدم الاطباء العاملين في الجيش العثماني خدماتهم ايضا في هذا المجال. كان هذا النطاق، في الواقع، مقسم الى جزئين: الاول، قام بعزل المنطقة المصابة؛ الثاني رسم خطا حول الجزء الاول وتم ربطه بحجر صحي وضع في الخانقين. وبغية قطع العدوى عن خط بغداد ودجلة، فأن هذه الرقعة الجغرافية الواسعة وضعت تحت رقابة قوات الفرسان، التي اوقفت كل انواع الحركة ذهابا وايابا. وقد تم ممارسة التطهير على قدم وساق في داخل الجزء الاول، كما أحرقت الاسرة والفرش والملابس والخيم وكذلك المساكن في الاماكن المصابة. وفي غضون تلك المدة، تم نقل سكان القرى التي ضربها الوباء الى اماكن اخرى خالية منه، وقدمت لهم شتى اشكال المساعدات الحكومية[2].

وكان النطاق الذي أقيم في عام 1889 الاكبر في تاريخ العراق العثماني. ففي تلك السنة اجتاحت موجة كوليرا جميع انحاء البلاد، ولذلك اتخذت تدابير

1 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294.

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

sharif mahmoud

استثنائية لاعاقة تقدم الوباء. وبغية فرض عزلة مطلقة على المناطق غير المصابة، فقد تم تأسيس نطاق في 18 آب يقع على مسافة ابعد من النطقة المكونة بالكوليرا. وقد تم مد النطاق فيما بعد الى شمالي وغربي بغداد، ليبدأ من صلاحية (كفري) الى تكريت على دجلة، ومن هناك الى الصقلاوية على الفرات. كما أقيم نطاق آخر في ميناء الفاو، الى جنوب البصرة، لحماية رأس الخليج العربي. وقد استحث الانتشار السريع للوباء وفشل النطاقات في وقف زحفه السلطات الصحية لمد او تعديل النطاقات القائمة. والسجاما مع ذلك، تم تحريك الخطة الغربية لنطاق الصد في الصقلاوية الى هيت في اعالي الفرات. كما تم تغيير تصميم خط هذا النطاق ليصبح شبه دائري يبدأ من ديبال، قرب الحدود العراقية الايرانية، مارا بكفري، وطوز خورماتو، وتكريت، ومنتهيا في هيت. كذلك تم تأسيس نطاق مراقبة الى نقطة ابعد في شمالي العراق، مارا من خلال مناطق السليمانية، والتون كوبري، والزاب الاسفل، ومنتهيا عند دير الزور في الاراضي السورية. وفي ايلول 1889 تم تمديد النطاق على نحو اوسع من اجل ايقاف تقدم الكوليرا نحو الموصل وجنوب شرقي الاناضول. فمن دير الزور في سوريا، اجتاز النطاق خابور، وتل كوكب، وسنجار، وتلعفر، وكلك، وحرير، ومن ثم انتهى عند مجرى الزاب الاعلى[1]. وفي الواقع لم يكن بمقدور كل تلك النطاقات ان توقف تقدم الكوليرا بشكل مُطّرد نحو الشمال، اذ اجتازت كل الدفاعات الصحية، وارغمت الموصل على ان تدفع ثمنا باهظا. وبالرغم من حقيقة حجز النطاقات والحاجز عن منع كوليرا عام 1889 من غزو ثلاثة ارباع العراق، الا انها -على الاقل- كانت قادرة على ابطاء سرعة التفشي الوبائي[2].

1 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 374-377.
2 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889, P. 453.

sharif mahmoud

وتم تأسيس نطاق صحي مهم آخر في العراق في عام 1893 بعدما ضربت الكوليرا العمارة والبصرة. لقد عُدّم هذا النطاق لحماية بغداد من اولئك الناس الفارين من الاماكن المصابة بالداء. وتم تحديد النطاق فيما بعد إلى زرباطية على الحدود العراقية-الايرانية، مارا ببدره، وجصّان، والكوت، حيث سار من هناك، عن طريق محيرجة، على امتداد الغرّاف، والحي، والشطرة، وانتهى في الناصرية على الفرات. واشتمل النطاق ذاته على ثلاث محطات صحية: في الناصرية، كانت تدار من قبل الدكتور ورتزا في الكوت، بادارة الدكتور ايكوموتس؛ وفي بدرة، بادارة الدكتور بلاو. بالاضافة الى ذلك، تضمن النطاق فرض حجر صحي أمده خمسة ايام على كل القادمين براً[1]. وعندما فشل النطاق في منع الكوليرا من غزو بغداد، اتخذ الادارة الصحية الحالية النطاق الواقع عند الشراف وتضيّت واحدا جديدا لحماية الموصل. لقد كانت بداية النطاق في السليمانية، بينما كانت نهايته في الصفلاوية. كما تم احاطة الحلة وكربلاء ايضا بنطاق عسكري[2].

لم تكن التفتيشات الوبائية الداخلية في العراق العثماني الوحيدة التي كانت تحفز السلطات فيه لفرض نطاقات صحية. فقد كان من المعتاد ان تستحث اية تفتيشات وبائية، حتى لو كانت محدودة، تداعٍ في المناطق التركية او الايرانية المجاورة للعراق الادارة الصحية لاتخاذ اجراءات وقائية شتى. ومن بينها فرض النطاقات. فمثلا، عندما انتشرت الكوليرا في ديار بكر في تشرين الثاني من عام 1894، تم تأسيس نطاق لحماية الموصل والعراق الادنى[3]. كما أقيم نطاق آخر

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 28, July 14, 1893, P. 569.
2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893, P. 975.
3 (W. A. S. R.), Vol. 10, No. 4, January 25, 1895, P. 67.

sharif mahmoud

بعدما اندلع الطاعون في بعض المناطق الايرانية القريبة من الحدود مع العراق في ربيع عام 1900[1].

وبالرغم من كل الجهود والتقدم الذي حققه العثمانيون في هذا المجال، فان اداء الحواجز والنطاقات تعرض لانتقاد شديد. فمثلا، عندما كان الجراح البريطاني كوتليل في طريقه الى العراق في خريف عام 1870، امضى عشرة ايام في منفذ خانقين، الحدودي العراقي مع ايران. لقد انتقد كوتليل عمل المنفذ، مشيرا بأنه لم يكن يجري سجلا لحفظ فيه اسماء القادمين ولا رعاية تقدم للمسافرين. اما الحجر، فقد اوضح كوتليل بان الناس كان تميل لاعتباره اضحوكة، لكنه بين ان ذنب ذلك لا يقع على كاهل الموظفين الصحيين العاملين فيه، لانه لم تتوفر لديهم يومذاك الوسائل اللازمة لتحسين عمل الحجر[2]. من جانبه، انتقد الدكتور كابيادس، الذي ارسلته استانبول للتحقيق في اسباب تفشي الطاعون في العراق في عام 1877، اداء النطاقات التي كانت تقيمها دوائر الصحة المحلية. لقد اتهم كابيادس الحراس بالسماح لبعض المسافرين بالتهرب من النطاق، سواء من خلال اعمال الرشى، او من خلال السائر القبري للرشاوي. كما شجب كابيادس بقوة الحجر الصحي الذي أقيم آنذاك في بغداد. فتنفيذا لاحكام هذا الحجر، صدرت اوامر بابقاء الاشخاص المصابين بعدوى الطاعون في بيوتهم جنبا الى جنب مع افراد عوائلهم الآخرين، ووُضع الحراس حول البيوت لمنع اتصال اهلها ببقية الناس. وبين كابيادس كيف ان هذه التدابير غير المعقولة حفزت الآخرين على اخفاء وجود المرض. كما اعتقد كابيادس ان هذا النوع من

1 (W. A. S. R.), Vol. 15, No. 4, April 20, 1900, P. 912.
2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, PP. 40, 42.

sharif mahmoud

الحجر الصحي عند حياة العوائل عموما، ولاسيما عندما اضطر بعضها لدفن الجثث الصابة بالطاعون في باحات البيوت[1].

ولاسباب عدة، تم انقاذ محجر البصرة الصحي في عام 1897. فعندما تفشى وباء الطاعون في الهند في اواخر عام 1890، اعلن سيردين زافتزيانو، المفوض الصحي الامريكي في استانبول، في تقريره في كانون الثاني 1897، ان البصرة ليس لديها خط دفاع فاعل ضد الاوبئة، لان المدينة ليس لديها محجر صحي حديث الطراز[2]. وبين زافتزيانو ايضا في تقرير آخر له بتاريخ 28 تشرين الاول 1897، ان محجر البصرة لديه العديد من نقاط الضعف الناجمة عن الاختيار السيء للموظفين الصحيين والاطباء. اذ لم يتم تعيين هؤلاء الموظفين لمقدرتهم وكفائتهم وتعليمهم، بل لاعتبارات مستندة على الدين او الصفة القومية، على حد قول المفوض الصحي الامريكي[3]. واكد زافتزيانو في تقرير آخر مؤرخ في 17 تشرين الثاني 1897، بان هؤلاء الموظفين قد طُردوا من مناصبهم، وعلق على هذا القرار بالقول: لاشك ان جزءا كبيرا من المسؤولية يقع على عاتق اللجنة التي تتولى تعيين مسؤولين في الخدمة الصحية، ومن بينهم اطباء، كانوا على درجة كبيرة من الجهل. فأذا هؤلاء هم ببساطة مستخدمين، فأن عليهم ان يحرقوا معنى الاحساس بالواجب. مثلما اشار زافتزيانو[4]. بالاضافة الى ذلك، ارسل الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة، هاملتون، رسالة بتاريخ 20 كانون الاول 1898، الى اللجنة الصحية الدولية في استانبول

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 340; Graham, P. 131.
2 (P. H. R), Vol. 12, No. 6, February 5, 1897, P. 142.
3 (P. H. R), Vol. 12, No. 47, November 19, 1897, P. 1277.
4 (P. H. R), Vol. 12, No. 50, December 10, 1897, P. 1360.

sharif mahmoud

تضمنت شكاوى ضد الخدمات الصحية للمدينة عموما، والحجر الصحي على وجه التحديد. لقد بين هاملتون برسالته ان محجر البصرة هو اسم على غير مسمى، موضحا كيف ان عددا من المسافرين قد تعرضوا فيه الى مضايقات كثيرة ومخاطر للاصابة بشتى انواع الامراض. واستشهد هاملتون باقوال عدد من السيدات الامريكيات اللاتي اجتزن محجر البصرة الصحي في الشهر المذكور، ووصفنه بانه كان في وضع غير صحي تماما ومقزز للغاية[1].

من جانب آخر، اعتقد بعض علماء الاوبئة والمراقبين الصحيين أن اجراءات الحجر والنطاقات الصحية في العراق العثماني قد تضمنت تقصيرات عديدة في التخطيط والتطبيق. فقد لوحظ ان تأسيس تلك الحجاجر والنطاقات لم يكن يتماشى مع سرعة زحف الاوبئة. فقد اتضح عمليا انه كلما تم اقامة حجر او نطاق صحي، كان الوباء يتخطاه ويواصل تقدمه في الجانب الآخر. لقد حدث هكذا خطأ في الحسابات عندما قررت السلطات الصحية في العراق ان تقيم حجرا صحيا مؤقتا على دجلة بعدما تفشى وباء الكوليرا في عام 1871. فقبل تأسيسه، كانت الكوليرا قد مضت بسهولة نحو الفرات وليس دجلة[2]. وكذلك عندما اندلعت الكوليرا في العراق في عام 1889، فان النكسات في ديالى، التي أفيد لكبح مسيرة الوباء، قد فشلت تماما في وقف تقدمه صوب خانقين[3]. وبينما حدت السلطات الصحية الاوربية في اواخر القرن التاسع عشر الحجاجر والنطاقات مؤسسات لا جدوى لها، فان الحكومة المركزية العثمانية واصلت تشبثها بالنظم التقليدية للحجاجر والنطاقات لمواجهة الاوبئة. ان وجهة النظر

1 (P. H. R), Vol. 14, No. 10, March 10, 1899, P. 333.
2 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 63.
3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. P. 375.

sharif mahmoud

الاوربية الجديدة هذه بشأن مفهوم المحاجر قد تضمنتها توصية اللجنة الفنية للمؤتمر الصحي الدولي الذي انعقد في روما في مايس 1885[1]. ان تحديث مؤسسات الصحة واشاعة الثقافة الصحية هي الوسائل الانسب التي كان يتوجب على العثمانيين تبنيها لمجابهة الاوبئة. لقد كان هذا بالضبط مافعلته الحكومات الأوربية لبلدانها وشعوبها في هذا المجال.

تبني اجراءات وقائية متنوعة

في محاولة لتفادي الانتشار الواسع النطاق للاوبئة في المناطق التي سبق وان هاجمها الطاعون او الكوليرا، تبنت السلطات الصحية العثمانية في العراق تدابير وقائية متنوعة، بما في ذلك التطهير بالمواد الكيمياوية والحرق بالنار. وفي هذا الصدد، فان هناك بعض الامثلة التي يمكن ان يُشار اليها. فعندما ضرب الطاعون العراق في عام 1877، فان الوسائل الاكثر فاعلية التي أعتمدت لحماية الناس من العدوى الوبائية، كانت عزل المرضى، وحرق امتعتهم الشخصية بالنار، وتهوية المواضع المصابة، وتطهير الاماكن التي ضربها الطاعون بالمحاليل الكيمياوية. لقد اثبتت هذه الاجراءات، ولحد معين، فاعليتها. فمن مجموع 350 بيتا تم تطهيره كيمياويا، هاجم الطاعون واحدا فقط من تلك البيوت مرة ثانية. بينما تعرضت البيوت التي لم تُطهر الى اصابات متكررة بالوباء. ولم تُعطي وسائل التطهير الاخرى، مثل التبخير بالكبريت ورمي محلول كبريت الحديد في اماكن الصرف الصحي وغيرها، النتائج المأمولة[2]. لقد اشتملت عملية تطهير البقع المصابة بالوباء احيانا على الاشخاص والبيوت معا. وتم تطبيق مثل هذه

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 1531, March 1, 1890, P. 1032.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 8, 1879, P. 340.

sharif mahmoud

الاجراءات في الكوفة والنجف بعد تفشي الطاعون فيهما عام 1881[1]. وقد أتخذت اجراءات وقائية مماثلة في الناصرية والسفرة بعدما ضربتهما الكوليرا بعنف في عام 1889. ففي كلا المقاطعتين، تم تطهير البيوت وتدميرها، فيما أحرقت بالكامل الاكواخ التي شكلت جزئين رئيسيين من المدينتين[2]. وعلى الغرار ذاته، فعندما ساد الطاعون في الحجاز في عام 1898، فإن الاجراءات الوقائية التي أعتمدت منع تسلل العدوى إلى العراق، اشتملت على التفتيش الصحي وتطهير امتعة الحجاج الشخصية[3]. وأتخذت الخطوات الوقائية ذاتها بعدما داهمت الكوليرا البصرة في عام 1899، اذ تم احراق اكواخ وملابس الاشخاص الذين قضوا نحبهم من الوباء[4].

وكان تقطع طرق المواصلات النهرية والبحرية اجراءا تحوطيا آخر تم تبنيه لكبح تقدم الاوبئة في العراق العثماني. فمثلا، اثناء انتشار الكوليرا في العراق سنة 1889، قطعت المواصلات في دجلة عند الكوت وفي الفرات عند السماوة لوقف تقدم الوباء نحو مناطق اخرى[5]. وعلى نحو مماثل، عندما تفشت الكوليرا في جنوبي العراق في عام 1893، مُنعت كل المراكب القادمة من البصرة من الرسو في العمارة، ولم يُسمح لها بأن تقضي ليالي في نهر دجلة لمسافة ابعد من الكوت[6]. وبالطريقة ذاتها، فانه عندما اندلع الطاعون في جدة في عام 1898،

1 (R. M. J), Vol. 1, No. 1057, April 2, 1881, P. 525.
2 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, PP. 372-373.
3 (P. H. R), Vol. 13, No. 33, August 19, 1898, P. 889.
4 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.
5 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 373.
6 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 27, July 7, 1893, P. 557.

sharif mahmoud

امرت الادارة الصحية في البصرة بحجز كل السفن التي على متنها اشخاص مصابين بالطاعون بمغادرة الميناء[1].

وبقية السيطرة على الاوبئة القادمة من الخارج الى العراق، منعت او قيدت السلطات الصحية العثمانية دخول الحجاج والجثث اليه من حين لآخر. فعلى سبيل المثال، مُنع الزوار الايرانيين من دخول العتبات المقدسة في النجف وكربلاء بعد تفشي الكوليرا في عام 1893[2]. وفُرض منع آخر في عام 1897 على الرعايا الاجانب القادمين من الهند لزيارة الاضرحة المقدسة[3]. وكانت الفيروه المفروضة على توريد الجثث الى العراق تصبح اكثر صرامة اثناء التفشيات الوبائية. وطبقا لذلك، فانه عندما ضرب الطاعون الهند في شباط من عام 1897، مُنع نقل الجثث من ايران الى العراق[4]. ومن اجل تفادي انتشار الطاعون، قررت السلطات الصحية في العراق في عام 1898، ان يتم دفن كل الجثث القادمة من ايران عند خط الحدود الايرانية مع العراق. ويمكن بعد مضي ثلاث سنوات، عندما تتحول هذه الجثث الى عظام، نقلها لتدفن في الاراضي العراقية. وقد أستثني من هذا القرار الاسرة الايرانية الحاكمة فقط، اذ سُمح لها بدفن موتاها الى جوار الاضرحة الشيعية المقدسة في العراق[5].

وقد ابنت الادارة الصحية العثمانية في العراق ايضا اجراءات لتعزيز دفاعات ومناعة المدن والبلدات العراقية ضد الهجمات الوبائية. ففي هذا الشأن، اعلن المفتش العام لادارة الصحة العثمانية، العميد بنكاوسكي باشا، في شباط

1 (P. H. R), Vol. 13, No. 22, June 3, 1898, P. 868.
2 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 27, July 7, 1893. P. 550.
3 (P. H. R), Vol. 12, No. 9, February 26, 1897, P. 216.
4 (P. H. R), Vol. 12, No. 12, March 19, 1897, P. 283.
5 (P. H. R), Vol. 13, No. 49, December 9, 1898, P. 1859.

sharif mahmoud

1897، انه ينبغي تزويد ولاية البصرة بوسائل دفاع كافية ومناسبة لصد هجمة محتملة للطاعون من الهند. ولتحقيق هذا المسعى، تم إرسال العديد من الاطباء التابعين لفرق بغداد العسكرية الى البصرة، فيما اشرف القنش الصحي للبصرة، الدكتور لويز، على كل انواع الرعاية الطبية في الولاية[1]. وقد أتخذت خطوات تحوطية شاملة ايضا في بغداد فور اندلاع الطاعون في البصرة في حزيران 1907. فلتعزيز المناعة الصحية للمدينة ضد هجوم وبائي محتمل، فانها قُسمت الى ثلاثة اجزاء، ووُضع كل جزء تحت مسؤولية اثنين من الموظفين الصحيين الخاصين، اللذين أوكلت لديهم اوامر بفحص المرضى ورفع تقرير عن الاعراض المشتبه بها. وفي الوقت ذاته، تم تجنيد مجموعة كبيرة من عاملي النظافة في الشوارع (الكناسين)، كما فُرضت ايضا خطوات صحية أخرى[2].

وبالرغم من كل التدابير الوقائية المذكورة سابقا، كانت هناك العديد من التقصيرات في هذا المضمار. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في بعض المناطق الحدودية العراقية في عام 1884، وصفت الطرق التي اتبعتها الادارة الصحية المحلية يومذاك على انها عشوائية وعديمة الجدوى[3]. فعلاوة عمل ذلك، لم تكن بعض الجهود الوقائية ضد الاوبئة خلية على الاطلاق، وعُدت احيانا مثيرة للسخرية. فعندما ضربت الكوليرا بغداد في صيف عام 1893، فان الاجراء الوقائي الرئيسي الذي أتبع في يوم 30 آب، ركز على حظر بيع الرقي بزعم ان له صلة بالكوليرا! وخلال يوم واحد من هذا الموسم، القى جنود صحدرا على متن عشرين كُلفة (قارب دارج) بحمولاتها من الرقي في نهر دجلة. وفي الوقت

1 (F. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 261.
2 (F. H. R), Vol. 22, No. 29, July 19, 1907, P. 1013.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 1224, June 14, 1884, P. 1162.

sharif mahmoud

عبه، كان هناك مئات من الرجال والاطفال الذين تجمعوا على الضفة، حيث خلع البعض ملابسهم وقفزوا الى الماء لالتقاط ثمرات الرقي[1].

من ناحية اخرى، اسهم اخفاء وتشويش المعلومات بشأن الاندلاعات الوبائية في ارباك خطط السياسة الوقائية ضد الاوبئة. كمثال على ذلك، عندما تفشى الطاعون في بغداد وبعض المناطق العراقية في عام 1884، اخفى المسؤولون الصحيون هذا التفشي لمدة طويلة[2]. في السياق ذاته، شكا القنصل الامريكي في بغداد، جون ساندبرغ، بلوة في كانون الاول 1893، من تصرف المفتش الصحي لبغداد، متهما اياه بتزويد القنصليات الاجنبية ببيانات مشوشة وغير موثوقة عن اوضاع العراق الصحية[3].

لقد بينت الاقطار الاوربية المتقدمة في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسائل فعالة للتصدي للاوبئة وبالاخص الطاعون. فمن اجل استئصال هذا الوباء، وجدت السلطات الصحية الاوربية انه من الضروري ابادة القوارض، ولاسيما الفئران. الوكلاء الانشط في نقل عدوى الطاعون. وخلال العقد الاول من القرن العشرين شنت الولايات المتحدة حملة بلا هوادة للتخلص من القوارض. ففي تلك الفترة، تم اصطياد الآلاف منها وابادتها وفحص عينات منها في المختبرات. وطُبقت مثل هذه الاجراءات الوقائية في بريطانيا العظمى ايضا في سنتي 1914 و1915[4]. وبالرغم من حقيقة ان السلطات الصحية في استانبول قد نبلت بهذه الطريقة الوقائية، الا أن العثمانيين عموما اخوزلهم

1 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 40, October 6, 1893, P. 975.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1225, June 21, 1884, P. 1215.
3 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 5, February 2, 1894, P. 64.
4 (P. H. R), Vol. 30, No. 11, March 12, 1915, PP. 776-777, 792.

sharif mahmoud

الخبرات في مجالات الصحة العامة والدراسات الوبائية. لقد اسهمت مثل هذه العيوب في نظام الصحة العثماني، وإلى حد ما، في تأخير شطب اسم الطاعون من قائمة الأوبئة الأشد فتكا في العراق ولغاية نهاية الحكم العثماني.

التطعيم ضد الامراض المعدية

لم يكن هناك لغاية مطلع القرن التاسع عشر تطعيما رسميا في العراق يمكنه المساعدة في احتواء الامراض المعدية. وتبدو هذه المسألة طبيعية اذا ما اخذنا بعين الاعتبار امرين: الاول، ان التطعيمات ضد الاوبئة الفتاكة، وخصوصا الطاعون والكوليرا، لم تكن قد أكتشفت بعد. فالنسبة لوباء الطاعون، فأن شكلا اوليا للتطعيم قد عُرف في عام 1897، لكن النتائج للاستخدام البشري لم يحدث في الولايات المتحدة لغاية عام 1946. وقد جرت محاولات منذ اواخر القرن التاسع عشر لانتاج لقاح ضد الكوليرا. الا ان النتائج الطبية بشأنه لم تتحقق الا لغاية العقدين الاول والثاني من القرن العشرين[1]. وكان لقاح الجدري الوحيد الذي أُنتج على نطاق واسع في اوربا والولايات المتحدة في اوائل القرن التاسع عشر. وإجمالا عام 1812، بدأت الادارة الامريكية بتعميم التطعيم ضد الجدري، فيما اصبح هذا التطعيم اجباريا في بريطانيا في عام 1853[2]. اما الامر الثاني، فأن الامبراطورية العثمانية لم ترع برامج نظامية عالية الكفاءة للتطعيم حتى وقت متأخر جدا. فلم تكن التطعيمات ضد الطاعون والكوليرا مدرجة اصلا في برامج الصحة العثمانية، بينما كان لقاح الجدري معروفا على نطاق

1 Stanley A. Plotkin (ed), Vaccines, Fifth Illustrated Edition, (The U.S: Elsevier Health Sciences, 2008), PP. 131; 523.

2 Andrew W. Artenstein, Smallpox, in "Vaccines: A Biography", Edited by Andrew W. Artenstein, (New York: Springer Science & Business Media, 2010), PP. 18-19.

sharif mahmoud

محدود جدا بين الاطباء في استانبول. فقد لقي ثلاثة اطباء من اصول غير تركية بشكل شخصي وحماسي قضية التطعيم ضد الجدري في عام 1800. كما تُرجمت في غضون تلك المدة بعض الملاحظات والتعليمات عن التطعيم الى اللغة التركية[1]

وعلى غرار ولايات عربية عثمانية اخرى، لم تكن التطعيمات ضد الامراض المعدية قد أدخلت بعد الى بغداد والموصل والبصرة. وحتى لقاح الجدري لم يتم جلبه الى العراق من خلال جهود الحكومة العثمانية المركزية في استانبول، او من خلال السلطات المحلية للعراق، بل من خلال مبادرات ومساعدة بعض العلماء والدبلوماسيين ورجال الاعمال الاوربيين. وكقضية للحقيقة، فان اثنين من العلماء الاوربيين الكبار الذين اهدوا الانسانية اللقاح ضد الجدري، هم من وقفوا وراء ادخاله الى العراق العثماني. انهما الطبيبان البريطاني ادوارد جينر (1749–1823)[2]، والنمساوي جون دي كارو (1770-1857)[3]. لقد كان هذان الطبيبان مفعمين بالامل لارسال جرعات صغيرة من اللقاح التجريبي لمناطق مختلفة من الشرق، من بينها استانبول وبغداد وبومباي. فبالاضافة الى انهما كانا يسعيان من منطلق انساني لتزويد المناطق

1 John Baron, The Life of Edward Jenner, (London: Henry Colburn, 1827), PP. 414-416.

2 For details about the early life of Edward Jenner, see: Baron, PP. 1-18, 236-289. On his opinions concerning the origin of smallpox and its vaccine, see: Edward Jenner, On the Origin of the Vaccine Inoculation, Reprinted, (London: B. Black, 1863).

3 For details about the life of John de Carro, see: (B. M. J.), Vol. 1, No. 24, June 13, 1857, PP. 504-505. Regarding his efforts for introducing the smallpox vaccination into the Ottoman Empire, see: Jean de Carro, Histoire de la Vaccination en Turquie, en Grece, en aux Indes Orientales, (Vienne: 1804).

sharif mahmoud

المصابة بالجدري بافاقة طبية عاجلة، لكنهما ارتأيا ايضا اختبار تأثير لقاحهما ميدانيا.

لقد ارتبط تاريخ لقاح الجدري في العراق العثماني في اوائل القرن التاسع عشر بشكل غير مباشر بتطور الوباء في الهند. لقد كان الجدري يفتك آنذاك بارواح الناس بقسوة في هذا البلد الآسيوي[1]. ولذلك، قدم الحاكم البريطاني لبومبي التماسا بتاريخ 21 آذار 1801، الى السفير البريطاني في استانبول، اللورد الجين، يطلب فيه تعاونه في ارسال لقاح من الدكتور ادوارد جينر الى بومبي عن طريق بغداد والبصرة[2]. وفي تلك الاثناء، لم تدخر اللجنة الطبية لبومبي اي جهد للحصول على لقاح للهند، لكن جهودها تلك ذهبت ادراج الرياح[3]. وقد حوّل اللورد الجين اللقاح ومستلزماته الى بومبي في 8 ايلول 1801. وبالمثل، هو ارسل امدادات من اللقاح الى وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة، مستر مينسي، مع ارشادات عن كيفية انتاج اللقاح في البصرة ومن ثم تحويله الى بومبي[4]. وفي اوائل عام 1802، كتب المقيم البريطاني في العراق، هارفورد جونز، الى الدكتور دي كارو يسأله بأن يبعث له بلقاح الجدري. وفي الواقع، ان جهود دي كارو لقيت في العراق نجاحا اكبر من تلك التي لزميله البريطاني ادوارد جينر. لاغرو، اذن، ان يرز اسم دي كارو بشكل كبير في قصة لقاح الجدري في العراق. على اي حال، فانه في نهاية آذار من عام 1802، استلم المقيم البريطاني اللقاح سوية مع التعليمات بخصوص طرق استخدامه المناسبة[5]. حيال وصول اللقاح، حاول

1 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 67.
2 Baron, P. 418.
3 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
4 Baron, P. 419.
5 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68; Baron, P. 421.

sharif mahmoud

الدكتور شات، الطبيب الملحق بالقنصلية البريطانية في بغداد، بأن يحثر على طفل لتطعيمه بشكل تجريبي، ومن ثم كان عليه ان يُعلم الدكتور دي كارو بنتائج التطعيم[1]. في هذه الأثناء، رحب البغداديون بحرارة بالانباء التي تحدثت عن وصول شحنة اللقاح الى مدينتهم[2]. وفي يوم 18 نيسان، تحدث هارفورد جونز بنفاؤل عن ان التطعيم قد تم اجراءه في بغداد[3]. وارسلت القنصلية البريطانية في بغداد في 30 نيسان لقاحا جديدا الى ميلن، الجراح الملحق بالقنصلية البريطانية في البصرة. وقد لقح ميلن اربعين شخصا لغاية منتصف حزيران، كان من بينهم طواقم مراكب مغادرة الى بومبي[4]. لقد شجعت النتائج الايجابية الواعدة لهذا اللقاح في بغداد والبصرة ومدن الشرق الاخرى الدكتور دي كارو واطمئنه كثيرا لمواصلة اهتمامه العلمية من لقاح الجدري[5].

وبالرغم من حقيقة ان بغداد كانت حقلا لاختبار وتقييم فعالية لقاح الجدري، الا ان الاطباء البريطانيين والملاك الطبي العثماني لم يستفيدوا من هذه الفرصة لتأسيس نظام تطعيم في المدينة. وبسبب غياب البرامج الحكومية للتطعيم ضد الجدري، فأن المبادرات الشخصية في هذا الشأن هي التي كانت سائدة في العراق. فقد ظهرت في عام 1810 شخصية دراماتيكية في المشهد الوبائي العراقي، وسلطت الضوء على قضية لقاح الجدري مرة اخرى. ففي تلك السنة جلب جي. دي مراد او جون مراد، وهو تاجر فرنسي كان متزوجا من ابنة

1 de Cuno, P. 23.
2 Ibid, PP. 26-27.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
4 Barrot, P. 421.
5 "London Journal of Medicine", Vol. III, No. XXXIII (33), (London: September, 1853), P. 837.

sharif mahmoud

لرجال القنصلية الفرنسية في بغداد، لقاح الجدري معه. وبسبب المعتقدات الدينية، جوبه اللقاح بمعارضة على اساس انه ضد الايمان بالقضاء والقدر! وقد تطلّبت هذه المعارضة تدخل مفتي بغداد الأكبر يومذاك، احمد الندي. وفقط بعد موافقة المفتي، كان مراد قادرا على تلقيح عدد من اطفال بغداد[1]. لقد قُدّر ان نحو ستة وتسعون طفلا تم تلقيحهم من قبله، الغلبهم كانوا اطفال افراد النخبة الحاكمة، مثل الدفتردار (المسؤول عن الادارة المالية)، وصهر باشا بغداد، والمفتي. ومن جانبه، اعرب والي بغداد عن رضاه فلقاء الجهود من خلال ارساله هدية ثمينة الى مراد[2]. وبسبب عدم اكتفاء بالنجاح الذي حققه في بغداد، توجه مراد الى ولاية الموصل وما جاورها. وقد اعلن مراد بأنه لقح هناك اكثر من 4.500 طفل رضيع لغاية عام 1819، وقد تم تلقيح تلثيهم تقريبا مجانا. وعندما غادر مراد العراق الى ايران، تولت زوجته مسؤولية التعميم ضد الجدري. وقد جابهت السيدة مراد لاحقا بعض العقبات والمشاكل التي أجبرتها على مغادرة بغداد وانهاء عملها هناك[3].

اظهرت الهجمات الفتاكة المستمرة للجدري في بغداد ومناطق عراقية اخرى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الحاجة الماسة الى لقاح ضد هذا المرض. وفي ذلك الوقت، فقدت اسرار اللقاح شائعة بين الممارسين الصحيين له، الذين كان اغلبهم من النساء. وبينما لم تُعر الحكومة العثمانية انتباها رسميا للقاح الجدري، فأن ممارسته في بغداد بقيت محصورة ضمن

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 68.
2 "The Medical and Physical Journal", Vol. XXXI (31), No. 184, (London: June 1814), P. 520.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 69.

sharif mahmoud

المبادرات الفردية النسوية لغاية الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت هيلاني واحدة من البغداديات المسيحيات التي نالت شهرة كبيرة في مجال التطعيم ضد الجدري منذ عام 1822 فصاعدا. وقد تقاعدت هيلاني في عام 1832 وسلمت مهنتها الى مساعدتها المسيحية لوسي. لقد احتكرت لوسي التطعيم ضد الجدري في بغداد لغاية ان تقاعدت عن العمل في عام 1871، بعدما جمعت ثروة كبيرة من الاجور التي استحصلتها من عملها. لقد تراوحت الاجور يومذاك من ربع روبية عثمانية الى عشرين روبية. وكانت عملية التحصين ضد الجدري تجري من خلال وخز الجلد بقطعة حادة فضية ومن ثم وضع اللقاح فيه بواسطة ريشة. وعلما اعترت لوسي اطراح البريطاني كولفيل، فان نسبة فشل التطعيم كان من 1٪ الى 3٪. بمعنى آخر، تراوح النجاح بين 97٪ و99٪. وفي غضون المدة ذاتها بدأ عدد الملقحين الخاصين بالازدياد بشكل ملحوظ. ووفقا لكولفيل، فقد وصل عددهم في عام 1871 الى عشرين ملقحا، كلهم من النساء. وخلسية من الادلاءات المتكررة للجدري، كان البغداديون تواقين جدا للتلقيح، لكن الاجور العالية للقاح كانت مسألة تعني الكثير لغالبيتهم، ولاسيما الفقراء. لقد اعتقد كولفيل بان تلقيحات مجانية ضد الجدري قد تلقى مباركة كبيرة من هؤلاء الناس الفقراء[1].

وقد زار جراح بريطاني العراق في عام 1874، واوضح بأن التطعيم ضد الجدري كان يقوم به موظفون صحيون عسكريون[2]. وتظهر هذه المعلومة ان التطعيم كان يستخدم رسميا، لكن خلط بين القطعات العسكرية العثمانية المرابطة

1 Ibid, PP. 69-70.
2 Evans, P. 197.

sharif mahmoud

في بغداد، وانه قد أستعمل على نطاق محدود جدا بين المدنيين. ومثلما لذكر السالنامات العثمانية، فأن ملقحا واحدا كان يعمل ضمن ملاك مستشفى الغرباء في بغداد في عام 1876[1]. وكان لدى المستشفى ذاتها ملقح واحد فقط في السنوات 1897، و1898، و1899، و1901، و1902، و1903، و1905، و1907، و1908[2]. واستنادا لهذه السالنامات، لم يتخط عدد الملقحين في كل ارجاء ولاية بغداد في عام 1913، ثلاثة ملقحين، كان اثنان منهم في مركز مدينة بغداد والآخر في كربلاء[3]. ولم يكن في مدينة الموصل في عام 1907، التي هي العاصمة الاقليمية لولاية واسعة جدا يضمن ذلك شمالي العراق، سوى موظف تلقيح واحد[4]. وفي البصرة، كان قسم التطعيم ملحقا بمستشفى الغرباء. وقد ضم هذا القسم في عام 1900 ثلاثة الآتي: مدير، كاتب، موظف لحضر ادوية، واثنين من عمال الخدمة[5].

وبالرغم من كل الجهود المذكورة اعلاه، تواصلت القصيرات العثمانية في مجال تزويد لقاح الجدري وتقديم برنامج نظامي للتحصين ضد المرض. ففي مذكرته المرسلة الى الحكومة المركزية العثمانية في شهر مايس 1899، اشار القرض الصحي الامريكي في استانبول الى عواقب نقص لقاح الجدري في العراق. فقد نصح القرض السلطات الصحية العثمانية بانشاء مؤسسة صحية في بغداد تتولى انتاج هذا اللقاح[6]. وفي الواقع، ان التلقيح ضد الجدري مورس على

1 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", PP. 237-240.
2 Ibid, PP. 237-238.
3 سالنامة ولاية بغداد، طبعة 22، 1913، ص ص 93، 136
4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", P. 319.
5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 75.
6 (P. H. R), Vol. 14, No. 20, May 19, 1899, P. 748.

sharif mahmoud

نطاق محدود في المدن العراقية الكبرى لغاية نهاية العهد العثماني. وتم تنفيذه باسلوب نظامي آنذاك بين القطعات العسكرية العثمانية فقط[1]. لقد ترك المستوى المتدني للصحة العامة والخدمات الوقائية في العراق العثماني المتأخر شعبه فريسة سهلة للاوبئة لمدة طويلة من الزمن. ومع ان اجراءات وقائية اخرى قد اتخذت للسيطرة على الاوبئة في هذا البلد، الا انها اثبتت ايضا عدم جدواها في قطع دابرها تماما.

تشكيل لجان طبية محلية

كانت اللجان الطبية تؤسس احيانا من قبل سلطات الصحة في العراق العثماني كمسعى اولي لاحتواء الهجمات الوبائية. وقد انصب عمل هذه اللجان على التحقيق في اسباب التفشيات الوبائية، واعداد توصيات وتقارير تقدم الى الحكومة المحلية او المركزية او كلاهما، وتقديم مساعدة طبية ممكنة للمناطق التي تتضرر بالأوبئة. فمثلا، عندما ضرب الطاعون بعض قرى الفدنية في عام 1867، امر والي بغداد نائق باشا بتشكيل لجنة طبية يوم 9 مايس. وقد ضمت اللجنة مدير دائرة صحة بغداد، وموظف صحي، وجراحين اثنين من كتائب الجيش العثماني، وجراح بريطاني. وقد زارت اللجنة القرى، واجرت تحقيقا في ظروف التفشي الوبائي، وشخصت طبيعة واعراض المرض. وبعد زيارات ميدانية للبقع المصابة بالطاعون في يومي 20 و21 مايس، اكدت اللجنة في تقريرها أن المرض كان طاعونا محققا[2]. وقد شكلت لجنة مماثلة مكونة من سبعة اطباء وجراحين

1 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", P. 72.

2 E. D. Dickson, On the Reported Outbreak of Plague in Kerbela, "Transactions of the Epidemiological Society of London", Vol. III (3): Sessions 1866 to 1876 (London: Hardwicke and Bogue, 1876), P. 143; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49-50; "The Lancet", Vol.2, For July 27, 1867 (London: 1867), P. 111.

sharif mahmoud

بعدما تفشى الطاعون في بغداد في آذار 1870. كانت مهام اللجنة تحديد وتنظيم التدابير الوقائية الضرورية لكبح جماح تقدم الوباء[1]. وتشكلت لجنة طبية اخرى في عام 1884 بعدما اندلع الطاعون في بندره ومناطق اخرى على الحدود العراقية-الايرانية. وقد ضمت اللجنة اربعة اطباء، هم: المفتش الصحي لبغداد، والمفتش الصحي لخانقين، والمفتش الصحي للبصرة، وطبيب رابع. وقد زارت لجنة الأطباء هذه، التي رافقها مجموعة من الموظفين الصحيين المدنيين والعسكريين، المنطقة المتضررة بالداء، وحققت في اسباب التفشي، وقدمت خدمات صحية للناس المصابين[2]. ان النموذج بارزا لهذه اللجان يعرضه لنا جهد مشترك قام به الدكتور لويز، مفتش صحة بغداد، والدكتور غزالة، مفتش صحة الحلة، اثناء تفشي وباء الكوليرا في الناصرية في عام 1889. لقد غادر هذان الطبيان مقار عملهما في بغداد والحلة وشكلا لجنة طبية عملت بروح الفريق الواحد. لقد شخصت هذه اللجنة طبيعة المرض في المناطق المصابة وقدمت الرعاية الطبية الميسرة لمواطنيها[3]. وفي السنة تالها ايضا، بُذلت جهودا مشتركة مماثلة من قبل لجنة اطباء شُكلت في الموصل. لقد كانت المهمة الرئيسة لهؤلاء الاطباء، محاولة ايقاف زحف الكوليرا نحو المدينة[4].

وكانت اللجان الطبية تُشكل احيانا من اجل مواجهة تفشي وبائي مختصل في منطقة معينة. فمثلا، كان هناك في اواخر عام 1896 مخاطر محتملة من وصول طاعون قادم من الهند الى البصرة. ولتعزيز الدفاعات الصحية للمدينة، عُيّنت

1 "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294. (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.

2 (B. M. J), Vol. 1, No. 1220, May 17, 1884, P. 964.

3 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889. PP. 372, 374.

4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 51, December 20, 1889. P. 453.

sharif mahmoud

لجنة باشراف والي البصرة، وبمساعدة طبيب صحي. وقد ركزت جهود اللجنة على تنظيم مهام الاطباء المدنيين والعسكريين الذين وضعوا تحت تصرفها، واعداد التدابير الوقائية، وابلاغ المجلس الاعلى للصحة في استانبول بأخر تطورات التفشي المحتمل[1]. وأعطيت مهام مماثلة الى لجان طبية اخرى تشكلت بعد وقوع حالات اصابات طفيفة بالكوليرا والطاعون في مناطق عراقية مختلفة، كالدجيل، في اطراف بغداد، في مايس 1890[2]، والعمارة في 1893[3]، والبصرة في تشرين الاول 1899[4]، والحدود العراقية-الايرانية عند السليمانية في ربيع عام 1900[5]، وبغداد في مايس 1901[6].

وبسبب النقص الحاد في الملاك الطبي، كانت السلطات الصحية العثمانية في العراق تلجأ احيانا الى المشاورة في عمل اللجان الطبية في حال حدوث تفشي وبائي هائل. فمثلا، عندما انتشرت الكوليرا على نطاق واسع في العراق اثناء صيف وخريف عام 1904، ظهرت هناك حاجة ماسة لملاك طبي كبير. ولتفادي هذا الوضع الحرج، امرت الحكومة العثمانية في بغداد لجنتها الطبية بأن تنتقل بالسرعة الممكنة بين بقعة مصابة واخرى. طبقا لذلك، كان بمقدور اللجنة آنذاك ان تنفذ مهاما في كل المناطق التي حول بغداد[7].

وبالرغم من اهمية اللجان الطبية، فقد اقترن اداؤها ببعض العيوب، خصوصا وصولها المتأخر احيانا للمناطق التي كان يضربها الوباء. لقد كان هذا

1 (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 263.
2 (W. A. S. R.), Vol. 5, No. 25, June 20, 1890, P. 267.
3 (W. A. S. R.), Vol. 8, No. 26, June 30, 1893, P. 527.
4 (P. H. R), Vol. 14, No. 46, November 17, 1899, P. 2053.
5 (P. H. R), Vol. 15, No. 4, April 20, 1900, P. 952.
6 (P. H. R), Vol. 16, No. 24, June 14, 1901, P. 1351.
7 (P. H. R), Vol. 19, No. 43, October 21, 1904, P. 2174.

sharif mahmoud

التأخير يستغرق احيانا الشهر، تماما كما حدث في واحدة من قرى افندية في عام 1867. لقد ضُربت هذه القرية بالطاعون في كانون الثاني، بينما زارت اللجنة الطبية القرية في مايس[1] بالاضافة الى وصولها المتأخر، فقد وُجه اللوم الى اللجنة المذكورة لجمعها حقائق محدودة عن المرض، ولتقصيرات في تشخيصها[2]. وفي حالات معينة، ولاسيما بعد اندلاع اي وباء، كان هناك غياب غير مبرر للجان الطبية التي كان بامكانها انقاذ حياتهم. كنموذج لذلك، حينما اندلعت حمى قاتلة بين الفلاحين في بعض القرى الواقعة الى الجنوب من بغداد في عام 1894، لم تتخذ السلطات الصحية الطبية التدابير الطارئة، وترك الناس المرضى هناك يموتون من دون ان يحظوا باية مساعدة طبية اوعلاج يُذكر[3]. على اي حال، لم يكن لتلك اللجان اية قواعد أنظمة عملها، كما لم تكن واجباتها مبرمجة او مدعمة بمعدات طبية عالية المستوى، وهذا ما ادى الى الاخلال بمهام عملها والتقليل من فاعلية جهودها.

جهود خبراء الحكومة المركزية العثمانية

في كل مرة اندلع فيها الوباء في العراق العثماني كانت الحكومة المركزية في استانبول تبادر غالبا بارسال خبراء لتحري اسباب التفشي، وتقديم توصيات الى سلطاتها الصحية. لقد لوحظ ان معظم هؤلاء الخبراء الحذروا من اصول قومية مختلفة، وكان جلّهم من الاوربيين. ويمكن ان يُعزى هذا الحضور الكبير للخبراء الاوربيين في القطاع الصحي العثماني الى جهود السلطان العثماني محمود الثاني،

1 Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P. 144.
2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 552.
3 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 680.

sharif mahmoud

الذي حاول ان يجعل امبراطوريته نظيفة من الاوبئة والامراض. ففي عام 1838، قرر السلطان تشكيل مؤسسة تضم اختصاصيين في الطب. وعندما هو لم يجد اشخاصا كفوئين من بين مواطنيه لهذه الغاية، استخدام خبراء طبيين اجانب. بعد ذلك التاريخ، تم تأسيس المجلس الصحي الاعلى في استانبول ليخدم الرعايا العثمانيين وليتحول فيما بعد الى مؤسسة صحية دولية[1].

ومع ان اسماء بعض هؤلاء الخبراء الذين بعثت بهم استانبول خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر للتحقيق في بعض التفشيات الوبائية في العراق العثماني قد وردت في فصول وصفحات سابقة، الا ان بالامكان ادراجهم هنا ايضا في سياق هذا البحث. طبقا للمعلومات المستمدة من مصادر ارشيفية متنوعة، فان الدكتور نارانزي يأتي من الناحية الزمنية في طليعة هؤلاء الخبراء. لقد انحدر الدكتور نارانزي من اسرة يونانية. وقد ولد في جزيرة زانتي (زاكينثوس) في اليونان، واقام لمدة طويلة في استانبول[2]. لقد خدم نارانزي في ادارة الصحة العثمانية كأختصاصي في الامراض المعدية، ولاسيما الطاعون والكوليرا. وعندما انعقد مؤتمر في استانبول عن الكوليرا في 8 آذار 1866، أنتخب نارانزي سكرتيرا له[3]. وقد كرمه الامبراطور الفرنسي مع اعضاء آخرين في المؤتمر[4]. لقد ارسلت الحكومة العثمانية نارانزي الى العراق واماكن اخرى للتحقيق في التفشيات الوبائية هناك. وكانت تقاريره على درجة عالية من الاهمية، واسهمت كثيرا في مجال علم الاوبئة. وبسبب خدماته المميزة، تمت

1 Loutfi, PP. 88, 102.
2 (B. M. J), Vol. 1, No. 849, April 7, 1877, P. 455.
3 (B. M. J), Vol. 1, No. 274, March 31, 1866, P. 349.
4 (B. M. J), Vol. 2, No. 310, December 8, 1866, P. 648.

sharif mahmoud

ترقيته في المنصب واصبح سكرتيرا للمجلس الصحي الاعلى في استانبول. وللاسف، لم يحل تألقه وسيرته المهنية الناجحة جدا من ان يلقى نهاية مفجعة في ربيع عام 1877، عندما هو اطلق النار على نفسه. هذا ولم يعرف الدافع الحقيقي وراء انتحاره[1]. على اي حال، فلقد سبق للحكومة العثمانية وان ارسلت نارانزي الى العراق ليتحقق من اسباب وطبيعة المرض الذي ضرب بعض مناطق المستقعات في الهندية في عام 1867. لقد زار نارانزي مسرح التفشي بعد اشهر عدة من توقف الطاعون، وقام آنذاك بجمع المعلومات من شيوخ العشائر في المناطق المنكوبة، وكذلك من اللجنة الطبية المحلية التي زارت المنطقة قبل وصوله[2]. لقد استنتج نارانزي بأن المرض لم يكن طاعونا، بل حمى التيفوئيد التي تتضمن بعض اعراض الطاعون الدملي[3]. ولقد دعم دكتور داتيكل، الذي كان آنذاك طبيبا صحيا في بغداد، افتراضات نارانزي، وبين ان ثمة من النوع الفعال كانت قد ضربت المنطقة عينها منذ عام 1856، وانها افترست بتورمات غدية في الرقبة واماكن اخرى من الجسم. لقد لقي تقرير الدكتور نارانزي الكثير للجدل انتقادا لاذعا من قبل الجراح البريطاني كونليل، الذي حقق بنفسه في المرض موقعيا، وكذلك من قبل عالم الاوبئة الفرنسي ثولوزن. بخلاف نارانزي، اكد كلاهما بان المرض في الهندية كان طاعونا محققا[4]. لقد كان تقرير

1 (B. M. J), Vol. 1, No. 849, April 7, 1877, P. 435.

2 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 547.

3 "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Command of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), PP. 10-11.

4 "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II, P. 547.

sharif mahmoud

نارانزي محاولة عثمانية، على ما يبدو، لتجنب الضغوط الاوربية من اجل تبني تدابير صحية وقائية بعد اندلاع الطاعون في الهند. لذا ليس من المستغرب ان علق كوفيل على تقرير نارانزي بالقول: "لا لدي سبب للاعتقاد بأن هذا لم يكن رأيا علميا، بقدر ما هو نفعية سياسية"[1].

وكان كستالدي خبيرا آخرا سبق وان انتدبته السلطات الصحية العثمانية في استانبول لاجراء تحقيق عن اندلاع الطاعون في العراق. فعندما ضرب هذا الداء الدفّارة ومناطق اخرى في الفرات الاوسط من كانون الاول 1873 الى حزيران 1874، زار كستالدي اغلب المناطق المصابة. لقد شخص كستالدي اعراض المرض، وجمع معلومات شاملة عن المدن والمناطق المتضررة بالوباء وكذلك الاشخاص المصابين، ودورة المرض، والوفيات. وبعد نهاية مهمته، غادر العراق وقدم تقريرا الى السلطات الصحية العثمانية في استانبول[2]. وعمل كستالدي لاحقا في طهران موظفا صحيا ومنتدبا عن الصحة العثمانية لدى ادارة الصحة الايرانية، وكان له دور بارز في النقاشات عن تأسيس نظام حجر صحي وخدمة صحية دائمة في ايران[3].

وكان الدكتور ارناؤوط خبيرا عثمانيا آخرا تم ارساله الى العراق في مهمة صحية. لقد حقق ارناؤوط بسمعة طيبة في مجال التحقيق عن تفشيات الطاعون التي حدثت في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، ولاسيما تفشي بنغازي في عام

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 54.
2 "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875", P. 14.
3 Cyril Elgood, A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate: From the Earliest Times until the Year A.D. 1932, Digitally Printed Version, (New York: Cambridge University Press, 2010), P. 519.

sharif mahmoud

1874[1]. وعندما ضرب الطاعون العراق في عام 1870، كان الدكتور ارناؤوط وكيلا صحيا عثمانيا في جدة[2]. وقد انتدبته سلطات استانبول الصحية مع توجيهات خاصة بأن يحقق في هذا التفشي الوبائي، وان يقدم تقريرا صحيا بشأنه[3].

وعين ايضا الدكتور سي. ميلنغن، الذي كان منسبا الى الادارة العامة للصحة العثمانية، في لجنة صحية أرسلت للعراق. وقد سبق للدكتور ميلنغن ان خدم في منتصف عقد الستينيات من القرن التاسع عشر كطبيب حجر صحي في بغداد[4]. وقد أنتدب ميلنغن للتحري عن الطاعون الذي اندلع في شوشتر بايران في وقت مبكر من عام 1876[5]. وعندما ساد الطاعون في العراق في ربيع عام 1876، أرسل ميلنغن وبعية اثنين من الاطباء للتحقيق في اسباب وطبيعة هذا التفشي الوبائي[6].

ان ارسال خبراء صحيين من الحكومة المركزية العثمانية الى مناطق التفشيات الوبائية لم يكن في الواقع حكرا على اولئك الاطباء الذين رابطوا في استانبول. لقد شمل ذلك ايضا اطباء آخرين عملوا في ولايات مختلفة. فمثلا،

1 "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875", P. 14.

2 "Memorandum by MR. Netter Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 294.

3 (B. M. J), Vol. 2, No. 809, July 1, 1876, P. 19.

4 J.D. Dickson, On Cholera in Persia, 1866-68, in "Transactions of the epidemiological Society of London", Vol. III. Sessions 1866 to 1876, (London: Hardwicke and Bogue, 1876), P. 260.

5 "From the Report of the Medical Officer for 1876" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Command of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 27.

6 (B. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.

sharif mahmoud

عندما تفشى الطاعون في العراق في عام 1881، تم استدعاء اطباء صحيين من مناطق عثمانية مختلفة للذهاب الى المناطق المصابة بالداء، وكان من بين اولئك اطباء قدموا من الحُدَيدة في اليمن[1].

إسهامات الاطباء والدبلوماسيين الغربيين

لقد كان هناك العديد من الاطباء والخبراء الصحيين الاجانب الذين خدموا مع اقرانهم العثمانيين في العراق في فترات مختلفة. وقد تم الحاق بعض هؤلاء بالدوائر الصحية في المدن الرئيسة والبلدات، بينما عمل آخرون في محطات الحجر الصحي الحدودية. ونسب الجراح البريطاني كولفيل ازدياد عدد الخبراء الغربيين العاملين في القطاع الصحي العثماني في العراق الى تسريح الحكومات المحلية بعض المسؤولين الصحيين الذين تلخصهم المعرفة العلمية من الخدمة واستبدالهم بملاك اجنبي كفوء[2]. لقد تكثف وجود هؤلاء الخبراء في قطاع الصحة في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فمثلاً، سبق للدكتور ميلغن ان خدم خلال تلك المدة كطبيب حجر صحي في بغداد[3]، كما حقق في طاعون بغداد في آذار 1876[4]. وكان الايطالي المولد الدكتور بادوان ايضا احد الخبراء الغربيين الذي تولى ادارة صحة بغداد وخدم في العراق لمدة طويلة[5]. وعندما اجتاح الطاعون الهندية في عام 1867، ترأس بادوان اللجنة الصحية

1 (B. M. J.), Vol. 1, No: 1058, April 9, 1881, P. 566.
2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, P.39.
3 Dickson, On Cholera in Persia, 1868-68, P. 260.
4 "From the Report of the Medical Officer for 1876", P. 26.
5 Joseph J. Malone, Surgeon Colvill's Fight Against Plague and Cholera in Iraq, 1866-1878, "American University of Beirut Festival Book", Edited by Fuat Sarrof and Suha Tamim, Beirut, 1967, P. 104.

sharif mahmoud

الى زارت هذه المنطقة لتتولى التحقيق بشأن اسباب وطبيعة المرض[1]. في السياق ذاته، كان هناك في عام 1870 مفتشين صحيين اوربيين موزعين على محطات الحجر الصحي التالية في البصرة والسليمانية وخانقين ومندلي[2]. اضافة الى هؤلاء، كان هناك الطبيب النمساوي ادلر الذي شارك في اللجنة التي حققت في طاعون عام 1876[3]. لقد خدم ادلر في المجال الطبي في العراق لسنين عدة، وكان معروفا لدى العراقيين بولعه بجمع العملات القديمة[4]. وصل الايطالي المولد جيوفاني كاياداس في العراق اثناء التفشيات الوبائية. فعندما انتشر الطاعون في الحلة وبغداد في 1876–1877، زار كاياداس مع اطباء ومساعدين طبيين آخرين المناطق التي ضربها الوباء. لقد عالج كاياداس وقتذاك قرابة المئتين مريض بدون ان يُصاب بالطاعون[5]. وحظيت ملاحظاته الميدانية عن هذا التفشي الوبائي بتقييم كبير[6]. وقد خدم كاياداس لاحقا في اليمن حيث انتشر هناك التهاب الكبد وهي الملاريا. أن هذا الموظف الصحي المتقد الذهن، المتحمس، والذي عمل بلا كلل في خدمة ادارة الصحة العثمانية، كما وُصف في نعيه، توفي في بوشهر بايران في 20 ايلول 1881[7]. وخلال عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر، كان الطبيب اليهودي الالماني، برنهارد بك، يقيم في بغداد. وعندما اندلع الطاعون في المدينة في ربيع عام 1876، اعتقد هذا الطبيب بان المرض لم يكن طاعونا، وانما

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49, 51.
2 Colvill, Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, P.39.
3 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Past of 1877", P. 294.
4 العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 126
5 Hirsch, Vol.1, PP. 536-537.
6 (B. M. J), Vol. 1, No. 949, March 6, 1878, P. 339.
7 "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 2, (London: October 22, 1881), P. 503.

sharif mahmoud

نوع من حمى الملاريا التي سماها الحمى الدماغية. لقد توصل برنهارد بك الى هذا الاستنتاج بعدما عاين 200 اصابة في بغداد[1]. على اي حال، فلي تقييم دكتور برنهارد بك عن هذا الاندلاع انتقادا قويا من لدن كوتفيل وآخرين[2].

وعمل عدد آخر من الاطباء الاوربيين ايضا خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر في مناطق مختلفة من العراق. فقد عُين طبيب الماني في محطة الحجر الصحي في خانقين في عام 1881. وخدم في السنة ذاتها الدكتور زيتلر في بغداد مفتشا صحيا[3]. وعُدّ الدكتور لويز مفتشا صحيا مرموقا لبغداد في عام 1884، وبقي في منصبه لغاية اواخر القرن التاسع عشر. لقد اسهم لويز في اللجان الصحية التي حققت في العديد من التفشيات الوبائية، مثل طاعون بدرة في عام 1884، وكوليرا الناصرية في عام 1889[4]. وساهم لويز ايضا في مهام ذات صلة باجراءات الحجر الصحي والتدابير الوقائية في عامي 1892 و1897[5]. وفي غضون تلك المدة، خدم اطباء اجانب آخرين في مناطق عراقية متفرقة بضعتهم،

1 "Views of Dr. Bick on Nature of Baghdad Disease", in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Commons of Her Majesty., 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879), P. 36.

2 Malone, P. 171.

3 "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", P. 77; (B. M. J), Vol. 1, No. 1058, April 9, 1881, P. 566.

4 (B. M. J), Vol. 1, No. 1220, May 17, 1884, P. 964; (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 45, November 8, 1889, P. 574.

5 "Annual Report of the Supervising Surgeon-General of the Marine-Hospital Service of the United States for the Fiscal Year 1893", Vol. II, (Washington: Government Printing Press, 1895), P. 295; (B. M. J), Vol. 1, No. 1887, February 27, 1897, P. 551.

sharif mahmoud

ملاكيس وفورس، اللذان كانا طبيبين صحيين للبصرة وهامبورغ، المفتش الصحي للسليمانية، ويكوليدس، المفتش الصحي لخانقين[1].

ويُعد وليم هنري كولفيل الطبيب الاكثر تألقا بين اقرانه الغربيين الذين عملوا في العراق خلال الفترات العثمانية المتأخرة. لقد منح كولفيل، البريطاني المولد، شهادة الدبلوم في الجراحة من كلية الجراحين الملكية في لندن في نيسان 1855[2]. وقبل ذهابه الى العراق، عمل جراحا في الادارة الطبية لحكومة الهند. وقد واتت كولفيل الفرصة لاحقاً لتحديث معلوماته عن الاوبئة عندما عُين بالقنصلية البريطانية في برشهر بايران. ووفقا لدراسة عن جهوده الطبية اعدها جوزيف جي. عالون في عام 1960، فأن الجراح البريطاني كولفيل بدأ خدمته في العراق في عام 1808[3]. لكن بعض المصادر الارشيفية، وبضمنها تقاريره الخاصة، تؤكد اعلاه بأن كولفيل كان جراحا ملحقا بالقنصلية البريطانية في بغداد في منتصف حزيران 1867. علاوة على ذلك، اوضحت مجلة بريطانية صادرة في تموز 1867، بأن كولفيل ترأس اللجنة الطبية التي زارت المناطق التي ضربها الطاعون في الهندية في السنة المذكورة[4]. على اي حال، فبسبب اسهامه الفاعل في التحقيق عن الطاعون في الهندية، فأن حكومة بغداد الهلية استعانت بخدمات كولفيل ايضا عندما انتشر الطاعون في بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, PP. 127, 141-142, 144; (P. H. R), Vol. 12, No. 11, March 12, 1897, P. 263.

2 "Association Medical Journal", Vol. 3, No. 119, (London: April 13, 1855), PP. 257-258.

3 See: Malone, PP. 163-177.

4 "The Lancet", Vol. 2, (London: For July 27, 1867), P. 111; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 49, 54.

sharif mahmoud

1870[1]. ومع ان الطب كان المجال الرئيسي لاختصاصه، الا ان كولفيل وجد نفسه احيانا في مسؤولية بعض المهام الدبلوماسية والقنصلية. لاغرو والحال كذلك، ان وصفته دراسة بانه كان "رجلا لكل المواسم"[2].

وفيما يتعلق بدراساته عن الاوبئة في العراق ومناطق اخرى، فقد قدم كولفيل اربعة تقارير مهنية ثمينة على نحو بارز. وبسبب القيمة العلمية العالية لهذه التقارير، فأن العديد من علماء الاوبئة والاطباء الغربيين استقوا معلومات مهمة منها. لقد تعاملت اغلب هذه التقارير، التي صدرت في الفترة بين 1867 و1877، مع موضوعات ذات صلة بتفشيات الطاعون والكوليرا التي حدثت في ولايات العراق ومناطق عثمانية اخرى. لكن بعض من تقاريره ودراساته الاخرى اتخذت مسارات مختلفة وناقشت موضوعات ليست على صلة بالصحة او الطب. فمثلا، تضمن احد تقاريره الذي كتب في عام 1874 ملاحظات عن الانتاج النباتي والاقتصاد الريفي لولاية بغداد. وحتى في تقريره هذا اظهر كولفيل جدارة لافتة[3].

لقد ركزت وجهات نظر كولفيل على الخطوات التي كان يجب ان تتبعها السلطات العثمانية في العراق لمكافحة الاوبئة، وعلى الاصلاح في مجال الصحة العامة. لقد دعم كولفيل وبقوة مسألة تطوير الاجراءات الصحية وحماية السكان في المناطق الموبوءة. كما حث كولفيل ايضا حكومة بغداد العثمانية على تبني

1 (R. M. J), Vol. 1, No. 797, April 8, 1876, P. 452.

2 Quoted in: Malone, P. 161.

3 For details on this report, see: William Henry Colvill, Some Observations on the Vegetable Productions and the Rural Economy of the Province of Baghdad, "The Journal of the Linnean Society. Botany", Vol. XIV (14), (London: 1875), PP. 399- 409.

sharif mahmoud

مشاريع تجفيف المستنقعات ودعم الاشغال العامة. اضافة لذلك، هو دعا لزيادة الوعي العام بالصحة والنظافة الشخصية[1].

وخلال مدة خدمته في العراق، زود الدكتور كولفيل، كمراسل طبي قدير، المجلة الندنية الشهيرة والمعروفة "المجلة الطبية البريطانية" بأخر الاخبار عن الاندلاعات الوبائية في العراق العثماني[2]. وحالما انهى كولفيل عمله في العراق في عام 1878، عاد الى بلده، حيث تم انتداب لمهام تتعلق بالتحقيق في اندلاعات وبائية حدثت في بعض مناطق العالم. فعندما تفشى الطاعون في استراخان في روسيا في عام 1879، ارسلت معظم الحكومات الاوربية مندوبين عنها لهذا البلد لاجراء تحقيق عن الوباء. من جانبها، اختارت الحكومة البريطانية كولفيل والدكتور جوزيف فرانك بين لهذه المهمة[3]. ولتسهيل عملهما، اوصت لجنة الطاعون في كلية الاطباء بلندن بان يمنح كلاهما مبلغ عشرة جنيهات استرلينية يوميا ونفقات سفر، وان تضمن الحكومة البريطانية حياتهما[4]. ونظير خدماته الجليلة والمرموقة في مجال مكافحة الاوبئة، أنتخب كولفيل في 14 حزيران 1876، عضوا بارزا في الجمعية الوبائية البريطانية[5]، كما رقي في عام 1881 الى رتبة اعلى في مجاله تخصصه الجراحي[6].

ومن واشنطن، المدينة الثانية في العالم الغربي المتقدم، قدم جون سي. سانديرغ الى بغداد ليخدم كقنصل للولايات المتحدة. وقبلاف قناصل غربيين

1 Malone, PP. 166-167.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 811, July 15, 1876, P. 83.
3 (B. M. J), Vol. 2, No. 2664, November 26, 1910, P. 1749.
4 (B. M. J), Vol. 1, No. 948, March 1, 1879, P. 320.
5 (B. M. J), Vol. 1, No. 808, June 24, 1876, P. 799.
6 (B. M. J), Vol. 2, No. 1079, September 3, 1881, P. 420.

sharif mahmoud

آخرين، لم يمثل ساندبرغ بلده دبلوماسيا فحسب، بل عمل كدبلوماسي ومقاتل اوبئة في آن واحد. ولد الدكتور ساندبرغ في النرويج في عام 1843. لقد كان ساندبرغ نرويجيا مثاليا، واستهل سيرته المهنية كبحار. لقد جاء ساندبرغ الى الولايات المتحدة وهو شاب يافع، ودرس الطب في كلية شيكاغو الطبية، حيث تخرج فيها بمرتبة الشرف. وقد مارس الطب في ولايات امريكية عدة لغاية ان قاده بحث عن العمل الى اوربا، التي شد رحاله اليها ودرس فيها ايضا. عاد ساندبرغ فيما بعد الى الولايات المتحدة واستقر في مدينة سياتل، عاصمة ولاية واشنطن. وفي ذلك المكان، مارس ساندبرغ مهنته في الفترة من 1881 ولغاية 1886، ثم أنضب آنذاك سكرتيرا للجمعية الطبية الاقليمية. ومن سياتل، غادر ساندبرغ الى كاليفورنيا ليعمل ويعيش هناك[1]. وقبل تعيينه قنصلا في العراق، خدم ساندبرغ لسنوات عدة في افغانستان. ان مدة خدمته في بلاد الشرق قد منحته الفرصة لان يلم ويتحدث بالعديد من اللغات الشرقية. فبالاضافة الى مهارات ساندبرغ السابقة في التحدث بطلاقة باللغات النرويجية، والسويدية، والدانماركية، والالمانية، والفرنسية، كانت لديه القدرة في التحدث بالفارسية، والعربية، والهندية، والبنغالية[2]. وطبقا للسجل الرسمي لوزارة الخارجية الامريكية الصادر في 1893، تم تعيين جون ساندبرغ قنصلا في بغداد بتاريخ 29 ايلول 1892[3]. وكطبيب، فان اختياره لهذا المنصب الدبلوماسي لم يكن من قبيل الصدفة او من

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, "(Portland, Oregon: December 1912), P. 690.

2 "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, (San Francisco: October 1892), PP. 621-622; "Medical Record: A Weekly Journal of Medicine and Surgery", Vol. 42, No. 19, (New York: November 5, 1892), P. 544.

3 "Register of the Department of State", Corrected to July 1, 1893, (Washington: Government Printing Office, 1893), P. 45.

sharif mahmoud

دون سابقة. لقد كان من المعتاد في ذلك الوقت ان تُمنح التعيينات لبعض العلماء الذين رغبوا بدراسة احوال بلاد الشرق[1]. على اي حال، وصل ساندبرغ بغداد في 21 آذار 1893، كتالي قنصل للولايات المتحدة، ليخلف بذلك مواطنه جون هنري هيتز، الذي خدم من 1888 ولغاية 1892[2]. لقد اثنت بعض المجلات الطبية الامريكية على تعيين ساندبرغ، وبالاخص المجلة الطبية للمحيط الهادي، التي عدت ساندبرغ سابقا كرئيس مشارك لمجلة تحريرها. لقد علقت المجلة على هذا التعيين بالقول: ان اقحامات المتكررة للاوبئة في الشرق تعطينا سببا كافيا لان تحث حكوماتنا المتحضرة لارسال هكذا رجال مثل دكتور ساندبرغ لان يشغلوا منصبا قنصليا في كل مدينة مهمة من بلاد الشرق، لان تلوذهم ومعرفتهم بالعلوم الصحية قد تجعل مثل تلك الاوبئة غير معروفة في المستقبل. ويبدو الصحيفة، ان المنصب ليست له اهمية تجارية فقط، بل علمية كذلك، لان ساندبرغ سوف يعمل تحليلات عن الاوبئة والامراض المعدية تحت اشراف معهد سميثسونيان في واشنطن[3].

حالما تولى ساندبرغ منصبه في بغداد، شرع في ممارسة مهنته الانسانية كطبيب. وطبقا لاحدى مراسلاته المبكرة المؤرخة في 27 نيسان 1893، عالج ساندبرغ مجانا من ستين الى ثمانين مريضا فقيرا كل يوم، والذين كان اغلبهم مصابا بامراض العيون. ولم يُستثن حتى اغنياء واعيان بغداد من خدماته

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, P. 696.
2 "The American Educational Review", Vol. XXXI (31), No. 11, (Chicago: American Educational Co., August 1910), P. 705.
3 "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, PP. 621-622.

sharif mahmoud

الانسانية، ويضمنهم نقيب الاشراف ببغداد[1]، الرجل الاكثر نفوذا وتأثيرا يومذاك في المدينة[2]. كان سجل ساندبرغ المهني، في الواقع، حافلا بالمبادرات الانسانية والاخلاقية التي جسدها اما من خلال مناقشته للحلول المناسبة لمشاكل الصحة العامة، او من خلال تقديمه للآخرين مساعدات طبية مجانية. فطوال مدة اقامته في بغداد، عبر ساندبرغ عن قلقه العميق بشأن شرب اهالي المدينة ماءا ملوثا. وكانت مخاوفه هذه تتجلى بوضوح في بعض من مراسلاته. ومن اجل تلك الغاية، هو النقي النوالي في عام 1894 محاولا اقناعه بادخال الاصلاحات المطلوبة، لكن دون جدوى[3]. وكان ساندبرغ بخاطر احيانا بحياته في مساعيه الانسانية لمساعدة الناس في بعض المناطق التي ضربها الوباء. فمثلا، عندما قسر نهر دجلة ببغداد في عام 1894، تفشت حمى خبيثة وقاتلة بين الفلاحين الذين عاشوا على طول ضفة النهر بمسافة نحو 30 الى 40 ميلا (تقريبا بين 48 و64 كم) الى الجنوب من مدينة بغداد. لقد كان اغلب هؤلاء الرضى من الفقراء الذين حُرموا انذاك من اية معونة طبية. وعندما أبلغ ساندبرغ يوم 19 حزيران بالاوضاع الصحية المزرية في هذه المناطق، صعد بنفسه، وقبل شروق شمس يوم العشرين من حزيران، الى ظهر متأبطا اوقيتين من صادة الكينين، ومحقن الكالوميل[4]، ومسحوق الدوفرز[5]، وملح الابسوم[6]. ولمسافة نحو اربعة اميال (ستة

---

1 هو رئيس الأشراف من اسرة الكيلاني في بغداد الذين انحدر اغلبهم من الشيخ الصوفي عبد القادر الكيلاني

2 Proceedings of the American Oriental Society at Its Meeting in New York, March 29-31, 1894, "Journal of the American Oriental Society", Vol. 16, (New Haven: Tuttle, Morehouse & Taylor, 1896), Appendix, P. c.

3 Sandberg, A Letter from Bagdad, P. 648.

4 يستخدم كمسهل

5 يستخدم كمسكن للآلام

6 يستخدم كمسهل ولة استعمالات طبية اخرى

sharif mahmoud

كيلومترات تقريبا الى اسفل النهر من بغداد، هبط ساندبرغ بين الاكواخ المحاصرة بالماء، حيث اخبر الفلاحون ان جيبهم تقريبا مرضى. وعندما اوضح القنصل الامريكي للفلاحين بأنه هو طبيب، وانه جاء ليعطيهم الدواء، اخبره هؤلاء الفقراء بانهم لايملكون نقودا يدفعونها اليه. لكن عندما اكد لهم القنصل بانه جاء ليعالجهم ليس من اجل المال، بل من اجل الله، اخذت اصوات الابتهاج تتعالى بينهم[1].

وقد كتب ساندبرغ اثناء فترة خدمته في العراق رسائل وبرقيات تتضمن تعليمات ونظم وتقارير ....الخ. لكن ملاحظاته عن التفتيشات الوبائية في العراق، والتي أستخدمت في فصول هذا الكتاب، لها مكانة اكاديمية واخلاقية كبيرة. وبالاضافة الى اهتماماته الدبلوماسية والطبية، نشر ساندبرغ مراسلات وكتابات عديدة عن العراق في المجلات الامريكية. فمثلا، ان دراسته الابداعية المميزة المسماة رسالة من بغداد، تقدم للقارئ ملاحظات متنوعة عن الصحة العامة، والمناخ، والاخلاق، والممارسات الشائعة، والجرائم في بغداد ومناطق عراقية اخرى[2].

لقد خدم ساندبرغ في العراق لمدة عام واحد في عهد ادارة الرئيس الامريكي بنيامين هاريسون (1889-1893)، وثلاث سنوات في عهد الرئيس كروفر كليفلاند (1893-1897). وقد استقال ساندبرغ من منصبه في عام 1895، وانكب مرة اخرى على دراسة المشاكل الاجتماعية. لقد امضى ساندبرغ السنتين الاخيرتين من القرن التاسع عشر في روما في الدراسة، والقاء

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 31, August 3, 1894, P. 600.
2 See his sketch: Sundberg, "A Letter from Baghdad", PP. 647- 652.

sharif mahmoud

المحاضرات، وجمع بيانات من اجل النشر. وفي عام 1907، عاد ساندبرغ الى سيائل واستأنف مهنته واتجاهه. وقد عانى لبعض الوقت من تصلب في الشرايين. وخلال اجتماع لاحدى الجمعيات الطبية انعقد في سيائل ليلة 18 تشرين الثاني 1912، نُقل ساندبرغ الى المستشفى بعد ان أُصيب بالدوار، حيث توفي هناك في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي[1].

بالاضافة لهؤلاء الخبراء المذكورين سابقا، كان هناك آخرين من جنسيات بريطانية وفرنسية، الذين بالرغم من انهم لم يُعينوا لاي منصب طبي او دبلوماسي في العراق، لكنهم كتبوا دراسات وتقارير رصينة عن التفشيات الوبائية التي حدثت في هذا البلد اثناء الفترات العثمانية المتأخرة. ويُعد جون رادكليف الاكثر تألقا بينهم. ولد رادكليف في يوركشاير ببريطانيا في عام 1830. وتلقى فيما بعد تدريبه الطبي في كلية الطب في ليدز. وعندما اندلعت حرب القرم (1853-1856)، أُعير رادكليف بمقر قيادة الجيش العثماني ليخدم مساعدا جراحيا للقطعات العثمانية المرابطة في ميادين القتال. وخلال خمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر، انصبت اهتمامات رادكليف البحثية على التفشيات الوبائية في الشرق الاوسط، وبالاخص تفشيات الطاعون والكوليرا. اذ مقدرته الفائقة في جمع وتمحيص معلومات متناثرة عن الامراض المعدية من مصادر مختلفة، قد جعلت منه مؤرخا بارزا في ميدان الاوبئة. وفي عام 1879، بدأ رادكليف يعاني من بعض المشاكل الصحية، وتوفي في ايلول 1884[2]. لقد تضمنت تقارير رادكليف الصحية عن العراق معلومات ذات قيمة عليا بشأن تفشيات الطاعون

1 "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, P. 686.
2 (B. M. J), Vol. 2, No. 1238, September 20, 1884, P. 588.

sharif mahmoud

والكوليرا التي حدثت في هذا البلد في السنوات 1853، و1875، و1870، و1877[1].

وكان الطبيب البريطاني، اي. دي. ديكسون، هو الآخر خبيرا متميزا قدم اسهامات بناءة لحقل الاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. وكان ديكسون قد ألحق اصلا بالسفارة البريطانية في استانبول. وبذلك أتيحت له الفرصة من خلال هذا المنصب لان يكون على مقربة من مناطق الاوبئة في الشرق الاوسط، بضمن ذلك العراق. لقد ركزت تقارير وكتابات ديكسون عن اوبئة العراق على طاعون عام 1876-1877، وكوليرا عامي 1889 و1890[2].

وقدم عالم الاوبئة الفرنسي تولوزن ايضا دراسات مهمة في مجال الاوبئة في العراق. لقد عمل تولوزن جراحا في الجيش الفرنسي، وبعد ذلك بروفيسورا في مستشفى فال دي كريس بباريس. وقد وصل تولوزن الى طهران في عام 1864، ورقي في المناصب لغاية ان اصبح كبير اطباء الشاه ومستشارا مرموقا للصحة العامة في ايران[3]. وعندما اندلع الطاعون في الهند في عام 1867، كتب تولوزن دراسة بعنوان "وباء الطاعون في بغداد الرافدين في عام 1867، التي ضمنها وجهات نظره الخاصة بشأن الاسباب والاعراض وطبيعة المرض[4].

---

1 لقد أستخدمت اربع من دراسات راذكليف في الكتاب

2 لقد أستخدمت دراستين لديكسون في الكتاب

3 J. Netten Radcliffe, A Short History of Plague from its Reappearance in 1853, "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1, for 1879, (London: J & A. Churchill, 1879), PP. 251-252; Elgood, P. 511.

4 See his distinguished monograph: "Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867", (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869).

sharif mahmoud

اجمالا يمكن القول ان التدابير الصحية العثمانية، وكذلك جهود الخبراء الصحيين الاجانب وعلماء الاوبئة قد فشلت جزئيا في القضاء على الاوبئة. ولم يمكنها التقليل من حدة الاندلاعات الوبائية المتكررة. لاغرابة، الان، ان نرى تداعياتها الخطيرة بوضوح في المجالات المختلفة للدولة والمجتمع في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر.

sharif mahmoud

sharif mahmoud

الفصل الرابع

تداعيات الأوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر

sharif mahmoud

sharif mahmoud

الفصل الرابع
تداعيات الأوبئة في العراق أثناء العهد العثماني المتأخر

التداعيات السكانية

غلافا لغيرها من الكوارث، كانت الأوبئة الأكثر فتكا تلقي على الناس ولكن ليس على الملكية. وهكذا فقد التدمير السكاني للهجمات الوبائية امرا محتوما يواجه عام. لقد مثلت الأوبئة تهديداً وجودياً لسكان العراق العثماني ولربما عليها عواقب وخيمة للغاية. لقد حصدت آلة الطاعون الرهيبة، مثلا، ارواح العديد من الناس في المدن والبلدات والقرى. وقد لخص عالم الاوبئة الفرنسي تولوزان محنة اهالي بغداد الطويلة مع هذا الوباء بدقة، حين وصف البغداديين بانهم "سكان السكراليرلا[1] على نحو بارز"[2].

ونتيجة للنقص الحاد في البيانات الرسمية عن الوفيات بسبب الاوبئة في العراق لفترة من النصف الثاني للقرن السابع عشر ولغاية النصف الاول من القرن التاسع عشر، فأن تتبعا دقيقا لآثار الاوبئة السكانية يبدو المهمة الاصعب لهذه الدراسة. ولتعويض هذه العيوب، فأن الأرقام والنسب –التي هي كلها قابلة للتعديل لدى معين– سوف نستخدمها هنا لتوضيح التكلفة السكانية الباهظة الثمن للأوبئة. لقد قدرت كلفة موجات الطاعون الخمس التي اكتسحت بغداد في السنوات 1689، 1690، 1772، 1773، و1831، بنحو 520.000

1. تورمات الغدد الليمفاوية

2. Theberian, P.31.

sharif mahmoud

نسمة[1]. وقد اباد طاعون عام 1831 وحده مالايقل عن ثلثي او 66.6٪ من سكان بغداد[2]. وسلب الطاعون في الموصل في عامي 1772 و1831، ارواح نحو 80٪ و71.5٪ من السكان على التوالي[3]. وقدر العدد الكلي للوفيات التي سببها الطاعون والكوليرا في البصرة، في السنوات 1691، 1773، 1780، و1821، بما يربو على 553.000 نسمة[4]. وعندما زار وباء الطاعون والكوليرا البصرة في عام 1821، قضيا على ما يقرب من 40٪ من سكانها[5].

وسلطت دراسات وتقارير الاطباء الاجانب، والفاضل، والمحللين الفضليين العاملين من حين لآخر في العراق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الضوء على البعد الكارثي للاوبئة الفتاكة. فللمرة الاولى يمكن ان نعثر على جداول واحصائيات هي، الى حد ما، دقيقة في تسجيلها لاعداد الوفيات والاصابات الناجة عن الاوبئة.

في اثناء دراستنا للتداعيات السكانية للاوبئة، نحن يجب ان نضع في الاعتبار مسألتين اساسيتين: اولا، كثافة السكان في البقع التي يضربها الوباء؛ ثانيا، النسب العالية جدا للوفيات الناجة عن هجمات الاوبئة الاكثر فتكا. فالطاعون والكوليرا، ان نسب الوفيات هذه ضرورية لاعطاء فهم افضل للتدمير السكاني

---

1 انظر: جدول- 1، الفصل الاول

2 Fraser, P. 245; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 46-47.

3 الصابغ، ص 293؛ Southgate, P. 241.

4 انظر: جدول- 1، الفصل الاول.

Bricker, P. 210.

5 انظر: جدول-1، الفصل الاول

Keith, P. 275.

sharif mahmoud

الذي تحدثه الاوبئة. ولدينا في هذا المجال بعض النماذج الجديرة بالذكر بشأن نسب الوفيات التي تعتقد انها دقيقة الى حد معقول. فعندما ضرب الطاعون الديوانية والمناطق المحيطة بها في 1873–1874، كانت نسبة الوفيات 5٪ من العدد الاجمالي للسكان[1]. وحالما عاود الطاعون ظهوره مرة اخرى في الديوانية في 1874–1875، بلغت نسبة الوفيات 16٪ من عدد السكان الاجمالي[2]. وعندما هاجم الطاعون بغداد والمناطق المجاورة في عام 1876، ازهق ارواح نحو 2.016 من مواطنيها، او ما يعادل نسبة 4٪ من العدد الكلي للسكان القدر آنذاك بنحو 60.000 نسمة[3]. وتبدو الخسائر بالمئة التي يسببها الطاعون احيانا كارثية بكل المقاييس، خصوصا عندما تكتسح الهجمات الوبائية المدينة البلدات والقرى العراقية الصغيرة. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في بعض قرى الفدغمية في عام 1867، قتل قرابة 9.5٪ من سكانها[4]. واكتسح الوباء ذاته الجعفارة (الخيرة) في 1880–1881، التي كانت آنذاك تاحية بعدد سكان يبلغ 1.200 نسمة. لقد كانت الفاجعة السكانية مريعة في هذا المكان، لان الطاعون افنى مايقرب من 29٪ من السكان[5]. ولوحظ تأثير آخر مدمر للاوبئة يوضوح في عفج، البلدة الصغيرة التي تقع الى الجنوب من بغداد. لقد انتشر الطاعون هناك في 1880–1881، وبلغت نسبة الوفيات الناجمة عنه بين السكان 15.5٪[6].

1 "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme, P. 169; Stieler, P. 333.

2 Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, PP. 20-21.

3 "Memorandum by MR. Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", PP. 289, 292.

4 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.

5 "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", P. 240.

6 "Revue Scientifique", Tome V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896), P. 608.

sharif mahmoud

وبالامكان تطبيق طريقة النسب المئوية المعتمدة مع وفيات الطاعون على ضحايا الكوليرا ايضا. فمثلا، عندما هاجمت الكوليرا السليمانية في عام 1865، التي كانت آنذاك مدينة يعدد نفوس يقدر بنحو 10.000 نسمة، بلغت نسبة الوفيات 3٪ من السكان، بينما بلغت النسبة المئوية للوفيات والاصابات مجتمعة 6٪[1]. وحينما ضرب الوباء مدينة كركوك في عام 1871، التي كان عدد نفوسها آنذاك يبلغ نحو 25.000 نسمة، بلغت نسبة الوفيات جراء هذا الهجوم الوبائي 4.8٪ من السكان[2]. وعندما زارت الكوليرا البصرة وضواحيها في عام 1893، التي قدرت السلطات العثمانية عدد نفوسها يومذاك بنحو 43.458 نسمة[3]، فشل الوباء ما يربو على 1770 شخصا، وهو رقم يمثل تقريبا 4٪ من السكان[4]. ويمكن رؤية الضرر السكاني الذي الحقه تفشي الكوليرا في البصرة في عام 1893 بجلاء ايضا في ابي الخصيب، هي هذه المنطقة الصغيرة التي قدر عدد قاطنيها بنحو 8.505 نسمة[5]، كانت نسبة الوفيات فيها 3.6٪[6]. وضربت الكوليرا ايضا عانه في اعالي الفرات في عام 1903. لقد جلب الوباء هذه المدينة الصغيرة، التي كان تعداد نفوسها يومذاك نحو 3.000 نسمة، كارثة سكانية موجعة. فبينما كان العدد الكلي للاصابات 526 حالة اصابة، وقفت قائمة

1 "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", P. 20.
2 Radcliffe, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, P. 123.
3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 108.
4 Barry, PP. 280-281; (W. A. S. R.), Vol. 3, No.6, February 9, 1894, P. 76.
5 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", P. 108.
6 Barry, PP. 280-281.

sharif mahmoud

الخسائر بالأرواح عند 281 حالة وفاة[1]. لقد بلغت نسبة الوفيات في عانه وما جاورها 9.3٪ من السكان، فيما كانت النسبة الكلية للاصابات والوفيات مجتمعة 20.9٪. وفي السنة ذاتها، حدثت فاجعة سكانية مماثلة في كربلاء، التي قدرت سالنامة ولاية بغداد عدد نفوسها يومذاك بنحو 11.215 نسمة[2]. وقد بلغت الخسائر بالأرواح من الكوليرا في المدينة 634 حالة وفاة، او تقريبا 5.6٪ من العدد الاجمالي للسكان[3].

ومع ان الهجمات الوبائية استهدفت كل الفئات العمرية بالتساوي، فأن الوفيات كانت تتصاعد من حين لآخر بين الاطفال والشباب الذين كانوا عناصر حيوية في ابقاء التوازن السكاني لمصلحة الاجيال العراقية التالية. فمثلا، عندما اندلع الطاعون في الحلة في الفرات الاوسط في عام 1870، كان هناك 1.826 حالة اصابة مسجلة بالطاعون. وقد تماثل للشفاء 865 شخصا، بينما لقي 961 شخصا مصرعهم. وفي جدول يقدم بيانا تحليليا لهذه الحالات، فأن المجموعات الرئيسية الثلاث للمصابين البشريين لعدوى الطاعون، كانوا: اطفال، وشبان، وشابات باعمار تتراوح بين شهرين و29 سنة. ان عدد المجموعة الاولى، التي ضمت الاطفال حديثي الولادة والاطفال من شهرين الى تسع سنوات، كان 277، وعدد المجموعة الثانية، التي تضم اشخاصا يعمر من 10 سنوات الى 19 سنة، كان 617، وعدد المجموعة الثالثة، التي تضم اشخاصا من عمر 20 سنة الى

1 Bruce Low, Report on the Manifestations of Cholera throughout the World during 1903, P. 314.

2 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 162.

3 "A. N. A"; Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 206, dated: December 24, 1903, Subject: Epidemic, Serial number: 275-276; Clemow, P. 251.

sharif mahmoud

29 سنة، كان 432[1]. وطبقا لهذه الارقام، كونت المجموعة الاولى 15.1٪ من العدد الكلي للحالات، بينما الفت المجموعة الثانية 33.7٪، والمجموعة الثالثة 23.6٪. وكونت كل هذه المجموعات مجتمعة 72.4٪ من العدد الاجمالي للحالات. وبالامكان ايضا ان نستمد انموذجا آخر من مسرح مختلف لهذه الدراما الوبائية لعام 1876. ففي تلك السنة، زار الطاعون بغداد، حيث تم الابلاغ عن 534 حالة اصابة. وتعود 368 حالة من هذا العدد لمجموعتين رئيسيتين: الاولى، تضم اشخاصا باعمار تتراوح بين سنة واحدة و12 سنة؛ اما المجموعة الثانية فتضم اشخاصا تتراوح اعمارهم بين 12 سنة و30 سنة. وكونت المجموعة الاولى مانسبته 32.9٪، بينما كونت الثانية مانسبته 35.9٪ من الحالات. وبلغت النسبة المئوية لكلا المجموعتين 68.8٪ من العدد الكلي للحالات المسجلة[2].

وقد تبدو قائمة الوفيات في النماذج المذكورة اعلاه اتفاقية اكثر مما هي عشوائية، لانها اشتملت على حالات تعود في الغالب لفئات عمرية اصغر سنا. لكن لم تثبت فحصات الوبائية للطاعون طوال تاريخ العراق العثماني انها كانت لديها افضليات في اختيار الضحايا وفق معايير عمرية. فلم يدخر الطاعون احيانا حيا احد من ضحاياه، الا لاسباب ذات صلة بمفاهيم الثقافة والوعي الصحي، وبالتحديد النظافة العامة. وفيما عدا ذلك، جغرافيا، هو كان يضرب في كل الاتجاهات وفي كل الاماكن؛ اجتماعيا، فان ضيوفه البشريين كانوا من كل الاصناف والشرائح الاجتماعية، وبالاخص الفلاحين والفقراء في الطبقة الدنيا،

1. انظر: جدول- 12، الفصل الثاني
2. انظر: جدول- 13، الفصل الثاني

sharif mahmoud

وبدرجة اقل بكثير افراد النخبة الحاكمة والطبقة العليا في المجتمع. وربما يكمن تفسير كون الطاعون يركز هجماته ضد الفئات العمرية الاصغر سنا في طبيعة الهدف المهاجم. فكما يُلاحظ في النماذج المذكورة آنفا، فأن البقع المضروبة بالطاعون، التي تواجدت في مركزين حضريين هما الحلة وبغداد، ضمت كثافة سكانية عالية. ففي هاتين المدينتين، احتشدت العوائل جنبا الى جنب في احياء وازقة فقيرة وبيوت اعوزتها التهوية والنظافة بوجه عام. لقد اعطى هكذا نمط من المعيشة غير الصحة الطاعون الفرصة لان يفتك باعداد كبيرة من افراد هذه العوائل، وبالاخص اولئك الذين كانوا من الفئات العمرية الاصغر سنا.

وفي ضوء نقص قاعدة بيانات علمية واحصائيات كاملة ذات صلة بوفيات الاوبئة، وبالاخص الطاعون والكوليرا، فأن من العسير، بل وحتى من المستحيل، حساب الرقما التقديري على الناحية السكانية بدقة. ففي حين أن بعض الموجات الوبائية قطت ولايات العراق العثماني الثلاث بالكامل، فان الجداول والأرقام المتاحة، المستندة على المنشورات والبيانات العثمانية المتنوعة بشأن الخسائر في الأرواح، لا يمكن أن تُعد موثوقة تماما. على اي حال، نحن نعلم بأن الهجمات المتكررة للطاعون والكوليرا وامراض معدية اخرى كان لها عواقب سكانية بعيدة المدى على العراق العثماني، لانها خفضت باستمرار عدد سكانه وعددت مستقبل اجياله القادمة. لكن في الوقت ذاته استعادت تلك الاوبئة الى حد كبير امكانيات وقدرات البلاد الاقتصادية وخلقت اضرارا فادحة بالانشطة والفعاليات التجارية المتنوعة.

sharif mahmoud

التداعيات الاقتصادية

يمكن ملاحظة وتقييم التداعيات الاقتصادية للاوبئة في العراق العثماني في قطاعات انتاجية مختلفة. وتبدو الزراعة اكثر تلك القطاعات تضررا بالاوبئة. ففي كل مرة ظهر فيها الطاعون او الكوليرا، كانت هناك في الغالب اعداد غفيرة من الفلاحين يُقتلون في الريف العراقي. ويمكن ان نُعزى هذه الحصيلة الفجعة لثلاثة عوامل رئيسية: الاول، ان الفلاحين شكلوا غالبية الناس في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. ويمكن استنتاج هذه الحقيقة من حجم المساحة الكلية للأراضي الزراعية. ففيما عدا الاراضي التي تعتمد بشكل رئيسي على الامطار، كان في العراق في منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر ما يربو على 60 مليون دونم[1] من الاراضي المروية[2]. ثانيا، انعدام شروط ومستلزمات النظافة والصحة العامة في قرى الفلاحين، وبيوتهم، وحقول عملهم. فمثلا، عاش معظم الناس في قرى الفدنية، وهي المنطقة الاولى التي ضربها الطاعون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي كل الفصول في أكواخ بائسة مصنوعة من القصب والحصير[3]. ثالثا، معاناة الريف العراقي في العهد العثماني من النقص الحاد في الخدمات الصحية الحكومية. وكمثال على ذلك، كان غالبية سكان الديليم، الذي كان في عام 1877 قضاءا يعدد نفوس يربو على 45.000 نسمة[4]، يعملون في زراعة

---

1 الدونم، الذي هو ايضا معروف باسم المشارة، يعادل 0.25 من الهكتار. See: Inalcik, P. 400.

2 Gökhan Çetinsaya, Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908, 1st Published, (New York: Routledge, 2006), P. 27.

3 Tholoran, P. 32.

4 سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2: 1877، ص 127

sharif mahmoud

مناطق واسعة تقع على امتداد نهر الفرات[1]. لقد حُرم كل اهالي هذا القضاء تقريباً، ولغاية عام 1913، من اية مستشفى، او عيادة صغيرة، وحتى من اي طبيب بلدية، مثلما توضح ذلك السالنامة العثمانية لولاية بغداد للعام المذكور[2]. ويمكن للمرء ان يلحظ مثل هكذا ظروف في نواحي كويسنجق وراتية في كردستان العراق اثناء العهد العثماني المتأخر[3]. ولتوضيح آثار الأوبئة على مختلف الجوانب الاقتصادية في الريف العراقي في ظل الحكم العثماني، من المهم جداً اعطاء أمثلة تتعلق بالخسائر في الأرواح الناجمة عن التفشيات الوبائية في مناطق زراعية معينة. هنا تبرز القندية مرة اخرى مثالاً مناسباً. كانت اراضي هذه المنطقة، التي وصفتها السالنامات العثمانية، بأنها منبسطة، خصبة جداً، وتصلح لنمو كل انواع الحبوب[4]، تُزرع من قبل عشائر عربية، كآل فتلة، وبني حسن، وبني طرف، وبني اسد وغيرهم[5]. لقد فتك الطاعون بثلاث قرى في تلك المنطقة في عام 1867، ومن بين 1150 شخصاً، تلقى 110 اشخاص مصرعهم من الوباء، او مايعادل نسبة 9.5٪ من السكان الذين كان معظمهم من الفلاحين[6]. النموذج آخر يأتينا من ناحية الدغارة والقرى المحيطة بها. حيث عملت معظم عشائر هذه الناحية في الزراعة طوال العهد العثماني[7]. لقد ضرب الطاعون

---

1 للتفصيل عن النشاطات الاقتصادية لعشائر الدليم في الزراعة، انظر: سالنامة ولاية بغداد دفعة 22: 1913، ص ص 248-253.

2 سالنامة ولاية بغداد دفعة 22: 1913، ص ص 126-131.

3 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", PP. 195, 201.

4 "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", P. 114.

5 سالنامة ولاية بغداد دفعة 22: 1913، ص ص 266-267.

6 Colvil, Sanitary Reports on Turkish Arabia, PP. 51-52, 54.

7 سالنامة ولاية بغداد دفعة 22: 1913، ص 278.

sharif mahmoud

الدفارة، التي قدر عدد سكانها في العقد الثاني من القرن التاسع عشر بنحو 35.000 نسمة، من كانون الاول 1873 ولغاية حزيران 1874. وبلغ العدد الاجمالي للوفيات نحو 2.000 شخص او 5.7٪ من السكان[1]. وجسدت منطقة زراعية واسعة على شكل مثلث منحصر بين الكوت الى الجنوب الشرقي من بغداد، والشنافية في الفرات الاوسط، وسوق الشيوخ في جنوبي العراق، النموذجا مثاليا للتدمير الاقتصادي للاوبئة. لقد ضرب الطاعون نصف القرى الواقعة ضمن هذا المثلث في عام 1875، حيث لقي نحو 7.13 من السكان حتفهم بسبب الوباء[2]. على اي حال، عندما نأخذ بعين الاعتبار أن إيرادات القطاع الزراعي في العراق في ظل الحكم العثماني كانت تسهم بشكل رئيسي في الدخل القومي، ندرك فورا المدى الحقيقي للعواقب الاقتصادية المدمرة للهجمات الوبائية في الريف العراقي، التي تنطوي على خفض كبير لعدد العاملين في الزراعة، واختلال مستويات الإنتاج العامة للبلاد.

وكان للاوبئة ايضا تأثير كبير على اقتصاد العراق العثماني من خلال النسب المرتفعة للوفيات والاصابات بين الناس الذين هم في سن العمل في قطاعات الانتاج المختلفة. مثلا، عندما اجتاح الطاعون مدينة الحلة في عام 1876، بلغ العدد الاجمالي للاصابات والوفيات 1.826 شخصا. وكان من بين هؤلاء 847 شخصا في سن العمل، اذ تراوحت اعمارهم من 20 الى 50 سنة[3]. ويمكن التقاء اثار وفيات مماثلة بين الاشخاص بسن العمل من خلال موجة

1 انظر: جدول-11، الفصل الثاني

2 Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, PP. 20-21.

3 انظر: جدول-12، الفصل الثاني

sharif mahmoud

الطاعون التي اجتاحت بغداد في 1870-1877. لقد جباء اكثر من 50٪ من ضحايا هذا الهجوم من فئات عمرية تراوحت بين 12 و40 سنة[1].

لقد تضررت بشدة ايضا القوة العاملة الماهرة في المراكز الحضرية العراقية، وخاصة في مجالات الحرف اليدوية والأنشطة التجارية في الأسواق المحلية. فقد قتل طاعون بغداد لعام 1831، على سبيل المثال، اغلب النجار والحرفيين في المدينة. لذا لاغرابة ان اختفت بشكل مؤقت بعض الحرف المشهورة في بغداد بعد الكارثة الوبائية، بسبب موت غالبية الحرفيين المهرة[2]. علاوة على ذلك، فقد حرم الطاعون ذاته كل العمال والعاملين بالأجور اليومية، مثل البنائين، النجارين، الحاكة، الخ، من عملهم[3].

ولطالما تضائلت الاسواق واضمحل دورها الاقتصادي بشكل كبير نتيجة للتفشيات الوبائية. فحسب القنصل الامريكي في بغداد، جون هنري هيتز، فانه عندما انتشرت الكوليرا في بغداد في عام 1889، أغلقت تسعة اعشار المحلات، والأسواق، والمكاتب ابوابها، وانه كان من الصعوبة بمكان الحصول على ابسط ضروريات الحياة[4]. ولوحظ جانب آخر من الاضطراب الاقتصادي الناجم عن الأوبئة في صيف عام 1904. فقد تفشت آنذاك الكوليرا في بغداد، وكانت النتيجة المباشرة لذلك، فرار عام للناس، وتعطيل النشاط التجاري، وركوده اقتصادي[5]. وقد يؤدي تفسير غير علمي وبسيط للأمراض احيانا الى حظر تجارة

1 انظر: جدول-13، الفصل الثاني

2 الوردي، ج2: 1831-1872، ص 85

3 Gerrus, P. 234.
4 (W. A. S. R.), Vol. 4, No. 43, October 25, 1889, P. 336.
5 (F. H. R), Vol. 20, No. 8, February 24, 1905, P. 322.

sharif mahmoud

بعض السلع في السوق العراقية. على سبيل المثال، عندما ضرب وباء الكوليرا بغداد في صيف عام 1893، وجدت آنذاك علاقة غير منطقية بين الرقي والوباء!. ونتيجة لذلك، أمرت السلطات المحلية كل القوارب بالتخلص من حمولاتها من الرقي في نهر دجلة[1].

وبسبب نقص السلع والمواد الاساسية في الاسواق اثر الموجات الوبائية، كانت اسعارها ترتفع بشكل ملحوظ لتضيف عبئا جديدا على الناس المحبوسة في المدن والبلدات. فعندما اجتاح الطاعون والهيضان بغداد في عام 1831، ازدادت اسعار ضروريات الحياة الاساسية في السوق وتضاعفت عدة مرات. فلم يكن بالامكان الحصول على القمح، مثلا، في الاسواق باي ثمن في منتصف نيسان من العام المذكور. وحتى بعد خمسة اشهر من هذا التاريخ، لم يبعه بسعر مرتفع للغاية. فقد بيع في بغداد في 14 ايلول بسعر 250 قرشا[2].

وبينما اسهمت الاوبئة مؤقتا في تراجع نشاطات اقتصادية مختلفة، انعشت اجراء الموت نشاطات اخرى. فلي خضم اية محنة وبائية، تزداد المطلبات لمواد معينة ذات صلة بطقوس الموت وتتضاعف اسعارها. ان هذا الاقتصاد الجنائزي، اذا جاز التعبير، المستند على التفشيات الوبائية، جلب عائدات كبيرة للتجار. فمثلا، باع احد التجار اثناء طاعون عام 1773 كميات كبيرة من القماش المستخدم في الاكفان، قدرت قيمتها بنحو 20.000 قرش. وحصل الشيء ذاته اثناء طاعون عام 1831. فقد شوهد آنذاك العديد من الناس في الشوارع وهم يحملون القطن ولوازم دفن الموتى الاخرى. وقد تم استهلاك كل

1 Sandberg, A Letter From Bagdad, PP. 647-648.
2 Groves, PP. 234, 239

sharif mahmoud

القطن تقريبا في بغداد، وكان الناس يطوفون ارجاء المدينة املا في الحصول على بعض منه. ولقد ارتفع سعر القطن في 24 نيسان 1831، من 54 الى 95 قرشا. وحتى الماء الذي كان ضروريا لغسل الموتى، جرى الطلب عليه باي سعر كان، ولذلك كان من النادر يومذاك رؤية السقا (حامل الماء) في شوارع بغداد[1].

لم يكن التجار المتضعون الوحيدون من تكرار حصول الاوبئة. فقد جنت الادارات الصحية المحلية عوائد مالية مهمة من الاجور والضرائب المفروضة على الخدمات الصحية في الحدود العراقية، او على الجثث التي يزداد ارسالها الى المراقد الشيعية المقدسة اثناء التفشيات الوبائية. فقد جُمعت، على سبيل المثال، عوائد مالية كبيرة في البصرة على شكل رسوم نظير الخدمات الصحية في الحدود العراقية-الايرانية من عام 1868 فصاعدا[2]. وبلغت العوائد المالية في الادارة الصحية لولاية بغداد، والمتراكمة عن الضرائب المفروضة على الجثث للاعوام 1889 و1890، مايربو على 3.610 و5.797 ليرة عثمانية على التوالي[3].

وكان للاوبئة ايضا تاثير كبير على التجارة الخارجية. هنا تجدر الاشارة الى ان التحسينات الثورية في النقل والمناقلة التجارية المتحدثة كانت مظاهر دولية هامة خلال سبعينيات القرن التاسع عشر. طبقا لذلك، تشجبت بقوة اية نظم او اجراءات صحية كان من شانها ان تعرقل التبادل السريع والمربح للبضائع. وعلى خلاف ذلك، كانت القيود ذات الصلة بالصحة تمارس على نطاق واسع في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فقور الاعلان عن اي تفشي وبائي في اية

1 "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, P. 262; Groves, PP. 113, 115, 119, 120.

2 George Young, Corps de Droit Ottoman, Vol. III, (The Clarendon Press: Oxford, 1905), PP. 134-135.

3 Vital Cuinet, Tome Troisieme, P. 16.

sharif mahmoud

منطقة، كانت السلطات المحلية العراقية، والبعثات الدبلوماسية واحيانا حكوماتها، بالاضافة الى الشركات التجارية، تسارع بتبني الماط مختلفة من التدابير الوقائية العاجلة. ان اجراءات مكافحة الاوبئة، كالحجر الصحي، والتبخير، والتطهير، قيدت كثيرا حركة السفن، والمسافرين، والشحن التجاري. واسهمت هذه الإجراءات، قليلا او كثيرا، في تعطيل حركة التجارة الخارجية في مساريها للتصدير والاستيراد. والامثلة التي لدينا هنا تُخبر بذلك. فبعدما ظهر الطاعون في ولاية بغداد اثناء خريف عام 1880، قررت الحكومة الايطالية في أذار من العام المذكور بان لاتسمح لكل السفن التي تحمل ايطاليا من الموانئ العثمانية بالمرور مالم تخضع لتفتيش صحي. فيما كان يتوجب على السفن القادمة من الخليج العربي ان تخضع لحجر صحي امده سبعة ايام[1]. وبصدد اثر الاوبئة على النشاط التجاري ايضا، افاد تقرير بريطاني صادر في عام 1890 بخصوص تجارة البصرة للسنوات 1888 و1889، ان وصول الكوليرا الى ولاية البصرة اثناء موسم التمور قد اثر كثيرا على تجارتها. واكد التقرير ايضا، بأن قيود الحجر الصحي المفروضة من قبل السلطات الصحية كانت عديمة الجدوى عمليا، وانها كانت بمثابة "رادع جوهري للتجارة، على حد وصف التقرير"[2].

في السياق ذاته، جرى التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والعراق العثماني، الذي كان على نطاق محدود، بمشاكل من حين لآخر ناجمة عن اجراءات مكافحة الاوبئة. ففي اثناء عام 1894، حذرت القنصلية الامريكية

1 (B.M.H), Vol.1, No. 1058, April 9, 1881, P. 559; Malone, P.165.

2 "Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance, Turkey, Report for the Years 1888-89 on the Trade of Bussorah, Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, June, 1890", Printed for Her Majesty,s Stationary Office, (London: 1890), P. 3.

sharif mahmoud

ببغداد من خطر صوف ملوث بالعدوى تم شحنه من هذه المدينة. والبضاعة كانت قد جاءت اصلا من اعالي دجلة، حيث انتشرت هناك العديد من الامراض الوبائية، كالجدري، والدفتريا، والتدرن الرئوي[1]. وعندما اندلع الطاعون قرب السليمانية وبعض المناطق الحدودية الايرانية في عام 1900، اوقفت الولايات المتحدة توريد الصوف الكردي. لقد عرقل هذا الحدث ايضا تجارة السجاد الايراني بين الولايات المتحدة وكردستان العراق، لانه بعدما ظهر الوباء، تم اخضاع كل السجاد المعد للشحن للتبخير. ومن الجدير بالتنويه، ان عملية التبخير هذه قد أستعملت في عام 1893 مع شحنات مماثلة عندما ضربت الكوليرا المناطق ذاتها[2]. على اي حال، فغالبا ما امرت القنصلية الامريكية ببغداد شاحني البضائع بأن يطهروا او يبخروا بضائعهم او شحناتهم قبلما تأخذ طريقها الى الولايات المتحدة. وفي مقابل اشرافها على عملية التبخير، فرضت القنصلية اجرا مقداره 2.5 قرش (ما يعادل آنذاك 10 سنتات)، كان يُجمع من الشاحنين عن كل بالة. وقد شخص مالك هذا الاجر لتغطية نفقات الشخص الذي كان يتولى مسؤولية عملية التبخير[3]. وعندما ضربت الكوليرا ولايات العراق العثماني كافة في عام 1904، رفضت القنصلية الامريكية ان تعطي الاذن لتصدير اسمدة

1 (W. A. S. R.), Vol. V, No. 20, May 18, 1894, P. 315.

2 "A. N. A", Roll 2, Vol. 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Department of State, Washington D.C., Dispatch No. 141, dated April 5, 1900, Subject: Disease, Serial number: 21-23; "A. N. A", Roll 2, Vol. 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No. 155, dated July 26, 1900, Subject: Disease, Serial number: 53-55.

3 "A. N. A", Roll 2, Vol. 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Dispatch No. 147, dated May 24, 1900, Subject: Plague, Serial number: 36-38; "A. N. A", Roll 2, Vol. 2, From: Consulate of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Memorandum attached to the dispatch No. 151, dated August 7, 1900, Subject: Disease, Serial number: 48-50.

sharif mahmoud

حيوانية الى الموانئ الامريكية[1]. وحفز ذات الانتشار الوبائي بلجيكا ايضا لان تتبنى لخوطات وقائية ضد الواردات القادمة من العراق. ففي صيف عام 1904، اعلنت المفوضية البلجيكية في طهران بأن التمور والفواكه المجففة المستوردة من البصرة يجب ان تكون مصحوبة بشهادة تُعلن ان مكان المنشأ كان خاليا من الكوليرا[2].

ولان تلك التدابير الوقائية ضد الاوبئة قيدت حركة التجارة الخارجية، فقد كانت هنالك شكاوى متكررة ضد التجار، والوكلاء التجاريين، والشركات بشأن تطبيقاتها، واحيانا كانت هناك جهود مبذولة للتملص منها. ففي عام 1876، بعث تجار من بغداد، اوربيون ومن ابناء البلد، بمذكرة بتاريخ 10 تموز الى العقيد نيكسون، المقيم السياسي البريطاني في المدينة، يناشدوه فيها عارسة نفوذه لرفع الحجر الصحي، وكذلك الحجر في الموانئ الاجنبية. اضافة لذلك، قدم اولئك التجار مناشدة ثالثة الى والي بغداد والقنصل الفرنسي[3]. وعندما ضرب الطاعون بغداد في اواخر آذار 1876، اعتقد الطبيب الالماني المقيم فيها يومذاك برنهارد بك، بان المرض لم يكن سوى حُمّى قاتلة. لكن الجراح البريطاني كولفيل، اتهم برنهارد بك بانه يقلل من شأن الطاعون تبابة عن شركة محلية كان لديها تجارة كبيرة مع لندن في الصوف ومنتجات اخرى[4]. وذكرت في البصرة ايضا محاولة اخرى للتهرب من قيود الاجراءات الوقائية. فطبقا لتقرير المفوض الصحي الامريكي في استانبول، المؤرخ في 23 آب 1899، فان الطبيب الصحي للبصرة،

1 "A. N. A.", Roll 2, Vol. 2, From: Consul of the United States, Baghdad. To: The Department of State, Washington D.C., Dispatch No.239, dated December 8, 1904, Subject: Dogs' excrement, Serial number: 374-377.
2 (P. H. R), Vol. 19, No. 40, September 30, 1904, PP. 2020-2021.
3 (B.M.J), Vol.2, No. 816, August 19, 1876, P. 249.
4 Malent, P. 171.

sharif mahmoud

الدكتور موستشايدر، الذي وُصف بانه رجل علم، بارع في عمله، ولو استقامة، لم يتمكن من البقاء في منصب لان وكلاء السفن البخارية، الذين كانوا منزعجين من اجراءات الحجر الصحي التي عطلت التجارة والملاحة، قد حاكوا مؤامرة ضده[1]. واشار تقرير امريكي آخر، مؤرخ في 23 كانون الثاني 1902، الى محاولة جديدة قام بها تجار بغداديون لنفادي التطهير، معتقدين بأن هذه العملية تعرقل تصدير بضائعهم[2].

وفي كل الاحوال، فان الاثر التدميري للاوبئة على القطاعات الاقتصادية المختلفة في العراق العثماني المتأخر كان حادا بشكل عام، مسببا ضررا فادحا للزراعة والصناعة والتجارة، بالاضافة الى الخسائر الكبيرة في القوى العاملة. زيادة على ما ذكر، كان للاوبئة اثر تدميري آخر في المجال السياسي، اذ انها اسهمت في سقوط اسر حاكمة، واوجدت من حين لآخر اوضاع سياسية مضطربة، ومهدت الطريق لتدخلات اجنبية عديدة.

التداعيات السياسية

ان ارثا سياسيا هاما للاوبئة في العراق العثماني المتأخر قد تمثل في ضعف والخلال وحتى سقوط النخب والسلالات الحاكمة. في هذا المضمار، كان لطاعون عام 1831 تأثير مدمر بشكل استثنائي على السلطة السياسية في العراق. فقد مزق هذا الوباء السيئ بالاقتران مع الفيضان في غضون مدة شهرين، من 28 آذار الى 21 مايس 1831، سلطة الوالي داود باشا وتركها

1 (P. R. R), Vol. 14, No. 38, September 22, 1899, P. 1610.

2 "A. N. A.", Roll 2, Vol. 2, From: Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington D.C., Dispatch No.174, dated January 23, 1902, Subject: Plague in Baghdad, Serial number: 123-125.

sharif mahmoud

الشلاءا مبعثرة. اذ سرعان ما توارى جنوده وخدمه وقوات حمايته. ولم تبق هذه الكارثة لباشا بغداد سوى اعدائه الذين كانوا محتارين بشأن ما ينبغي عمله تجاهه[1]. لقد وضع هذا المصير التراجيدي لسلطة الباشا نهاية لحكم المماليك في العراق الذي استغرق اكثر من قرن.

من ناحية اخرى، اشار تكرار اندلاع الاوبئة الى فشل السياسة الصحية العثمانية في العراق. لقد سبب ذلك، في الواقع، احباطا عميقا بين الناس، الذين فقدوا آنذاك الامل في تحسن الاوضاع العامة في البلاد، وبضمنها الصحة. وادت الشكاوى والتذمر المتواصل الناجم عن الاوبئة وتزايد قائمة الوفيات في المدن والبلدات والريف الى انحطاط تدريجي هيبة الحكومة العثمانية في العراق، وحفزت شعبه على التمرد عليها من حين لآخر[2].

وليس هناك من شك البتة في ان الاوبئة قد اسهمت في خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر. فأحيانا عند اندلاعها، كانت تشتعل اعمال الشغب، ويسود خرق القانون. وتتمثل التحديات للسلطات المحلية، ففي حالتين منفصلتين لتفشيات وبائية، الاولى، عندما ضربت الكوليرا البصرة في عام 1858، والثانية، عندما هاجم الطاعون الفتاك في عام 1867، تمت اعاقة الجهود الصحية للحكومة المركزية، وجوبهت

---

1 Groves, PP. 46-47, 182.

2 طبقا للمؤرخ الاجتماعي العراقي علي الوردي، فان نهاية تمردات ضد السلطات العثمانية المحلية حدثت في العراق اثناء المدة من 1858 ولغاية 1914. انظر: الوردي: ج2: 1831-1872، ص ص 213-214، 227-229، 240-241، 242-243، 255-256، ج3: 1876-1914، ص ص 39-40، 186، 196.

sharif mahmoud

القرات التي عينت لفرض نظافات صحية بمقاومة عنيفة، فيما تم التصدي للخطط التي رُضعت لحماية الصحة العامة[1].

وكانت سلطات العراق العثمانية تصوغ استجابتها السياسية للتحديات الاوبئة بطرق متنوعة. وقد التفاوض العالي المستوى مع الاقطار الاخرى احداها. فمثلا، اثار نقل الجثث المتحللة من ايران لدفنها في الاماكن المقدسة في العراق جدلا بين الدولتين. لانطواء هذه المنقولات على مخاطر تفشيات وبائية. وعندما زار شاه ايران، ناصر الدين، الاضرحة المقدسة في كربلاء والنجف في عام 1870، اغتنم الوالي مدحت باشا فرصة هذه الزيارة للتفاوض لحل هذه المشكلة. فبالاضافة الى العديد من القضايا المعلقة التي توقشت في تلك المفاوضات، اتفق الطرفان على دفن جثث الموتى الايرانيين في الاراضي الايرانية لمدة عام واحد، ثم تُنقل بعد ذلك الى مقابر كربلاء والنجف لدفنها هناك[2].

وكان تدخل القناصل والاطباء الاجانب في الشؤون الداخلية للعراق احد المعالم الخاصة للاوبئة، ولاسيما اثناء فترات الذلاعها. وقد اجبت هذه التدخلات، احيانا، عن تشابك المهن الصحية لبعض القناصل او الملحقين القنصليين مع المهام السياسية او مهام اخرى. هنا نموذجنا النموذج لطبيب طالما وجد نفسه في مسؤولية مهام دبلوماسية وقنصلية معا. انه كولفيل، الجراح الذي عمل في المليمة البريطانية في بغداد في عام 1867. فمثلا، لقد تفاوض كولفيل، وبطلب من باشا بغداد، مع عشائر متنازعة لاحلال السلام بينها. كما وضع هذا

1. Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P.146; Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 63.

2. الحزاوي، ج7: 1831-1872، ص ص 273-274.

sharif mahmoud

الجراح ايضا عارضة لمنطقة اهوار جنوبي العراق، وتولى مهام غير طبية اخرى. لم يكن كولفيل محظوظا دائما في علاقات مع ولاة بغداد. اذ تعارضت مقترحاته الصحية احيانا مع السياسات الداخلية لهؤلاء الحكام. فعندما تفشى الطاعون في بغداد في نهاية آذار من عام 1876، اقترح كولفيل اغلاق المدارس ذات التهوية السيئة والمزدحمة بالطلبة لمدة شهر. لكن الوالي عبد الرحمن باشا رفض اتخاذ اجراء بهذا الخصوص، مفضلا نصيحة عدد من المسؤولين العثمانيين وطبيب المأتي. فكان رد فعل كولفيل ان اطلق تعليقا غير مدروس على اقل تقدير، حين وصف والي بغداد بانه الباشا الذي قتل الناس الذين يمكنهم[1]. لقد انطوى الوصف، بلا شك، على تحدي سياسي غير مألوف تماما لسلطة شرقية. وكان كولفيل، بدافع حرصه على حماية الصحة العامة، دائب الاقتراح لبرامج عمل شاملة في مجال الصحة والمشاريع الصحية ذات النفع العام[2]. وهي بالتأكيد برامج متقدمة تتضاءل مع النهج الحكومي لسلطات العراق العثمانية التي هي، باستثناءات قليلة، لم يكن لديها اية خطط للنهوض بالسياسات الصحية للبلاد والرقي بها.

واقترن حدث وبائي آخر في العراق العثماني في عام 1889 بتدخل القناصل الاجانب. فقد تفشت في تلك السنة كوليرا قاتلة في بغداد، حيث تفشى العديد من شخصياتها البارزة حتفهم، ومن بينهم الحاخام اليهودي عبدالله سوميخ. فقد ظهر بعد وفاته سوء تفاهم بين الطائفة اليهودية وحكومة بغداد المحلية بشأن مكان دفنه. فبينما امرت السلطات الصحية أثناء التفشي ان يتم دفن

1 Malone, PP. 164, 170-171.
2 Ibid, PP. 166-167.

sharif mahmoud

الجثث في المقابر الواقعة خارج بغداد، قدم اليهود طلبا الى الوالي للسماح لهم بدفن الخاخام في مقبرتهم الخاصة في داخل المدينة. لكن طلبهم هذا رُفض، لان بغداد وضعت يومذاك تحت حجر صحي صارم. وعلى نحو غير متوقع، قاد سوء التفاهم هذا الى اندلاع شجار بين اليهود والمسلمين، وتم خلاله القاء القبض على بعض وجهاء واعيان اليهود. وبغية توضيح واسماع شكاواهم ضد والي بغداد، ارسل بعض افراد الطائفة اليهودية برقيات الى العواصم اليهودية المتنفذة في لندن، ومجلس النواب البريطاني، والجمعية اليهودية-الانكليزية، والاتحاد الاسرائيلي في باريس، والى الباب العالي في استانبول. وفي غضون ذلك، كان القنصل البريطاني العام في بغداد، العقيد تويدي، يبعث بشكل متواصل تقاريرا ومذكرات الى وزير الخارجية البريطانية، اللورد سالزبوري، والى السفير البريطاني في استانبول، السير وليم وايت، ليطلعهم بمعلومات تفصيلية عن المشكلة[1]. ويعتقد المؤرخ العراقي عباس العزاوي، ان بعض الاشراف الاجنبية كانت وراء التحريض على هذا الحدث وتأجيجه[2]. على اي حال، لم توضع نهاية لهذه المشكلة الا بعد صدور مرسوم سلطاني في اواخر كانون الاول 1889، تم بمقتضاه اعفاء والي بغداد من منصبه، والذي عُين لاحقا واليا على دمشق، حيث توفي هناك بعد اصابته بالكوليرا. وقد اعطى الوالي الجديد اليهود الرخصة بدفن الخاخام سوميخ في مقبرتهم الخاصة[3].

---

1 For details on this event and its implications, See: Hakham Abdallah Somekh, "The Scribe: Journal of Babylonian Jewry", No. 36, (London: September 1989), PP. 4-7.

2. العزاوي، ج8: 1872-1917، ص 114

3 Hakham Abdallah Somekh, PP. 4-5.

sharif mahmoud

وكان القنصل الامريكي في بغداد، جون ساندبرغ، الذي لديه تجربة عظيمة في الطب، انموذجا آخر لاولئك القناصل الذين املوا بأن لحفز تدخلاتهم حكام العراق في العهد العثماني المتأخر لادخال تحسينات في مجال الصحة العامة. لقد شكا ساندبرغ مرارا من التقصير الموجود في قطاع الصحة، متهما السلطات بالمسؤولية عن ذلك[1]. وقد سعى ساندبرغ جاهدا لاقناع بعض ولاة بغداد بادخال اصلاحات صحية معينة، لكنه فشل في مسعاه، وهذا ماجعله ساخطا على سوء ادارة الحكم في بغداد[2].

وفي الواقع، انه فيما عدا قضية الحاخام اليهودي سوميخ، التي أنهمت اطراف دولية بالتاريخها، فان تدخلات القناصل المشار اليها سابقا يمكن ان تُعد بمثابة مبادرات فردية في المجال الصحي، بالرغم من حقيقة انها قد تعطي انطباعا عن تدخل سياسي. ويقدر ما يتوجب على المرء أن يكون لديه فهم شامل لمختلف الأوبئة وموجاتها، فأن هناك حاجة ماسة ايضا لتسليط الضوء على عواقبها الاجتماعية

التداعيات الاجتماعية

لقد جلبت الاوبئة اضرارا بليغة للعراق وشعبه في ظل الحكم العثماني، فالموت لم يكن سوى واحدة فقط من عواقبها. لقد عانى العراقيون طوال العهد العثماني رعبا ومخاوف هائلة من الامراض الوبائية التي لم يكن لها علاج معروف آنذاك، وعلى الاخص الطاعون والكوليرا. فبالاضافة لتأثيراتها الجسدية والنفسية، ولدت الاوبئة اعطابا اجتماعية عميقة وتركت تداعيات خطيرة على

1 (W. A. S. R.), Vol. 9, No. 5, February 2, 1894, P. 64.
2 Sandberg, A Letter From Bagdad, P. 648.

sharif mahmoud

العلاقات العائلية، والسلوك الفردي، والعادات والتقاليد، والمعتقدات الاجتماعية، وكذلك الثقافة

لقد لوحظ ان العراقيين اثناء العهد العثماني اعطوا الاوبئة الاكثر فتكا القابا معينة. وهذه الالقاب هي، في الواقع، ناشئة من قسوة الاوبئة، والاعراض المصاحبة للمرض، ومن الظروف المناخية التي كانت تساعد على الانتشار العنيف للاوبئة في مواسم معينة من السنة. فمثلا، لقب العراقيون، منذ عام 1689 فصاعدا، الطاعون باسم أبو خير[2]. أما الكوليرا فقد لُقبت باسم أبو زوعة، لان القيء كان احد اعراضها الرئيسة[3]. ولُقبت الكوليرا ايضا باسم أهوا الاصفر. وقد استخدم المصريون والعراقيون هذا اللقب على نطاق واسع، لان موجات الوباء العنيفة في كل من مصر والعراق اثناء العهد العثماني تزامنت مع اشد ايام الصيف حرارة، وخصوصا في شهري تموز وآب، عندما تلاحظ هناك صفرة في الهواء، تشبه الى حد ما الضباب[1].

وترك مرض رهيب وعنيف مثل الطاعون بصمته كقاتل لايرحم في الذاكرة الشعبية لأهل العراق. فقد لوحظ ان الاحداث الوبائية، لاسيما تلك المريعة لعام 1831، بقيت راسخة في اذهان الاجيال البغدادية حتى النصف الاول من القرن

---

1 Issawi, P. 99.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 147; العلاف، ص 196

3 العزاوي، ج6: 1749-1831، ص 313; "An Epitome of the Reports of the Medical Officers to the Chinese Imperial Maritime Customs Service From 1871 to 1882", Compiled and Arranged by C. A. Gordon, (London: Bailliere, Trundall, and Cox, 1884), P. 370; "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Vol. VIII (8), P. 312.

sharif mahmoud

العشرين. فقد كان البغداديون يذكرون الطواعين في جلساتهم الخاصة، كلما تحدثوا عن اعمار الطاعنين منهم في السن. لقد كان مألوفا بين البغداديين الذين ارادوا تقدير عمر رجل مسن آنذاك، ان يقولوا: انه شهد حتى زمن الطواعين[1].

وعُدت التأثيرات على الطفولة، الحصيلة الاكثر مأساوية للاوبئة في المجتمع العراقي العثماني. فقد مات آلاف الآباء والامهات تحت هجماتها الساحقة، تاركين اطفالهم لليتم والتشرد. فعندما اجتاح الطاعون بغداد في عام 1831، التقط المديد من الاطفال الرضع من شوارع المدينة بعد وفاة والديهم. في ذلك الوقت، كان بامكان كل واحد ان يرى في الازقة والحارات أطفالا صغار باعمار شهر، او ستة اسابيع، او سنتين لاربع سنوات، يبكون من اجل منزل، جائعين... عراة... تعساء، لايعرفون مالذي عليهم ان يفعلوه، ولا الى اي مكان ان يذهبوا[2].

وفي كل مرة ضربت فيها الاوبئة العراق العثماني، هرب الناس من المدن والبلدات والقرى، ووجدوا انفسهم خارج بيوتهم وحاراتهم، هاجرين بذلك الاقارب، الجيران، الاصدقاء والعلاقات الاجتماعية المعتادة. فمثلا، غادر عدد كبير من اليهود بيوتهم في بغداد في عام 1831، ولاذوا بالقرارل البعيدة في محاولة منهم لتجنب التأثير المميت للطاعون. وفعل المسيحيون الشيء ذاته وتفرقوا في كل الاتجاهات[3]. وعندما هاجمت الكوليرا بغداد في عام 1889، هرب

---

1 الورداني، ج2: 1831-1872، ص 87

2 Groves, PP. 118, 127-128.

3 Ibid, PP. 101-102.

sharif mahmoud

اهلوها من الاحياء التي اصابها الوباء الى احياء اخرى سليمة لتفادي التأثير القاتل للمرض[1].

ويمكن ان يُضاف الضرر القاتل الذي تلحقه الأوبئة بالعوائل العراقية على أنه استئصال جماعي. ففي مناسبات عدة حين كانت تحل موجات الوباء المميتة، كانت هناك حالات جرف فيها الوباء عوائل عراقية بأسرها، وقد يُستثنى واحد او اثنين من افرادها. ويزودنا طاعون عام 1831 بعشائل عن عوائل كتسها الوباء بالجملة. ففي عائلة مكونة من ستة اشخاص، لقي اربعة منهم حتفهم. ولم ينج من عائلة بغدادية اخرى تسكن قرب محلة البيدان مؤلفة من ثلاثة عشر فردا سوى واحد فقط. ولم يبق الطاعون ايضا من عائلة مكونة من اربعة عشر فردا، سوى فرد واحد[2]. وعلى نحو مماثل، لم يتبق من عائلة مكونة من سبعة افراد أصيبت بالطاعون في منطقة الهندية في عام 1867، سوى اثنين فقط[3].

وفي ظل الهجمات الوبائية المدمرة، كانت العلاقات العائلية في المجتمع العراقي اما تتراخى او تتعزز. فعندما كان الطاعون يجتاح بغداد في عام 1831، قرر بعض افراد العوائل ان يلوذوا بالفرار للنجاة بانفسهم، فيما فضل آخرون البقاء في بيوتهم وحيدين في مواجهة الموت. اما هؤلاء الذين قرروا البقاء، فقد الزموا انفسهم بالانضمام الى بعضهم البعض ليبددوا مخاوفهم من مصير مجهول. انه يبدو كما لو ان روح الوله قد استحوذت عليهم، فبدلاً من ان يكون عددهم

1 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 139.
2 Groves, PP. 115, 127, 137.
3 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 51.

sharif mahmoud

صغيرا بقدر الامكان، هم يبدون [رغبة] لان يجتمعوا سوية ما استطاعوا، مثلما وصف شاهد عيان سلوك اولئك الناس يومذاك[1].

من الناحية النفسية، تركت الاوبئة تاثيراتها، وبدرجات متفاوتة، على قيم وتقاليد المجتمع العراقي. فبدلاً من السلوك الجماعي الذي ميز هذا المجتمع دائما، فقد عزز التشاؤم وشيع الموت الروح الفردية التي عبرت عن نفسها بمظاهر اجتماعية مختلفة. لقد وصف شخص عاش في بغداد اثناء كارثة الطاعون لعام 1831 بدقة تلك الروح التي كانت تهيمن على المجتمع العراقي اثناء الفشيات الوبائية. لقد قال هذا الشخص انه توسل المساعدة من الآخرين في كل الجهات، لكنه فشل في ان يناشد لان هذا الفرد كانت لديه زوجة متوفية او تحتضر، وآخر لديه ام [بذات الحال]، و[ثالث] آخر كان منشغلا في حمل الماء للموتى...[2].

ونسبت الاوبئة بتحويلات مؤثرة في القيم الاجتماعي عندما قتلت ضحاياها بلا تمييز. فتبعا هذا شروط توفر النظافة والثقافة الصحية في الافراد، فان الاوبئة لم تستثن احدا من هجماتها لاي اعتبار له صلة بالمنزلة الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية. فقد اصطبغ كل من الحكام ورعاياهم، الاغنياء والفقراء، الرجال والنساء، الاطفال والمسنين، العلماء والاميين الى ذات المصير المأساوي المفجع. في هذا الصدد، يمكن الاستشهاد بمجموعة متنوعة من الحالات. فعلى مستوى الحكام، هاجم الطاعون والي بغداد داود باشا في عام 1831[3]. على مستوى القادة القبليين، لم تذخر الكوليرا حياة شيخ قبيلة آل ظفير

1 "Travels of Dieter and Madame Bellir in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, P. 269; Grovas, P. 112.
2 Grovas, P. 117.
3 Ibid, P. 181.

sharif mahmoud

وابنه في البصرة في 1865–1866[1]. ومن بين افراد النخب الادارية العثمانية الحاكمة، اودت الكوليرا بحياة قائمقام السُّطرة في الناصرية عندما اجتاحتها في عام 1889[2]. وفي العادة، جاء ضحايا الاوبئة من كل الفئات الاجتماعية والعمرية. فعندما اكتسح الطاعون الدفّارة في الديوانية في 1874–1875، كان من بين الضحايا، صبي بعمر اربع سنوات، وامرأة بعمر خمس واربعين عاما، ورجل بعمر خمسين عاما، وابن حاكم، وامرأة من الوقيل[3]. وقضى حتى بعض الاجانب العاملين في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر نحبهم من الاوبئة. فقد توفي، على سبيل المثال، مواطن امريكي كان يعمل في البصرة بمدما أصيب بالجدري في آب 1901[4]. وتوفي في البصرة ايضا وكيل قنصلي امريكي بعدما داهمته الكوليرا في حزيران 1904[5]. على اي حال، لقد مثل ضحايا الاوبئة في العراق العثماني كل الوان الطيف الاجتماعي. وكان هناك طوال الحكم العثماني علاقة وثيقة متبادلة بين تغير مواقع القوى في الهرم الاجتماعي والاوبئة. لقد نجمت عن القوة التدميرية الهائلة للامراض المعية تحولات بعيدة المدى فيما يتعلق بالمنزلة الاجتماعية. فلأن الاوبئة استهدفت ضحاياها بلا تمييز،

1 Colvill, Sanitary Reports on Turkish Arabia, P. 60.

2 Dickson, The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, P. 130.

3 W. H. Colvill, Report on Plague in Turkish Arabia, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XII (12): for the Year 1876, (Bombay: Education Society's Press, 1876), PP. 141, 149-151.

4 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: David J. Hill, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 171, dated November 28, 1901, Subject: The death of an American subject at Bassora, Serial number: 112-113.

5 "A. N. A", Roll 2, Vol: 2, From Vice-Consul of the United States, Baghdad. To: Francis B. Loomis, Assistant Secretary of State, Washington, D.C., Dispatch No. 219, dated June 30, 1904, Subject: The death of an American citizen, Serial number: 315-316.

sharif mahmoud

فان افرادا من النخب الاجتماعية فقدوا مواقعهم. ويمكن ملاحظة ذلك بجلاء في فئة الاغنياء، الذين اصبح بعضهم معدما تماما. اذ لم يفقد هؤلاء ثروتهم فقط في طاعون عام 1831، بل فقدوا كذلك منزلتهم وهيبتهم الاجتماعية المتميزة. فلم تتعد المراسم الجنائزية للعديد من هؤلاء الاغنياء الذين ماتوا من الطاعون اكثر من وضع اجسادهم على ظهر حمار، ونقلها بعيدا ليقوم بدفنها حداد واحد لاغير[1]. وجردت الاوبئة ايضا افراد الاسر الحاكمة من امتيازاتها السابقة. فبعدما توفي طاعون عام 1831، شاهد الناس زوجات الوالي داود باشا وهن يعشن اوضاعا مزرية للغاية، وكن يمشين ايدي القارة، متوسلات بهم عسى ان يقدموا لهن مأوى[2].

وكان انتشار السرقة والسراق احد العواقب الاجتماعية البارزة لموجات الاوبئة في العراق العثماني. فحالما كان الوباء يضرب مكانا ما، ينشط اللصوص على نطاق واسع، مستفيدين من انعدام الامن وضعف قبضة الحكومة. فلقد انتشر اللصوص اثناء طاعون عام 1831 في كل مكان، وخصوصا على جوانب الطرق التي حول بغداد، سارقين اي شخص كان يحاول الفرار من الوباء. وحفزت المجاعة، التي تزامن حدوثها مع الطاعون، هؤلاء اللصوص على كسر ابواب العديد من الدور في بغداد، علهم يجدوا القليل من الطعام. وحتى قوة النخبة من الارناؤوط التي كان يستند اليها داود باشا انقلبت الى لصوص، واخذت تحفر في جدران قصر سيدها بحثا عن كنوز خفية[3]. وحدث الشيء ذاته عندما تفشت الكوليرا في بغداد ومناطق عراقية اخرى في عام 1893، فقد

1 Gerrets, PP. 120-121.
2 Ibid, P. 253.
3 Ibid, PP. 101, 234, 244.

sharif mahmoud

اصبحت عمليات السطو مألوفة في جميع انحاء البلاد، مثلما اشار الى ذلك القنصل الامريكي في بغداد جون سانديرز[1].

وعلى النقيض من التدهور الاخلاقي المذكور اعلاه، تعزز سلوك اجتماعي آخر اثناء اندلاع الموجات الوبائية، الا وهو الالتزام الراسخ بالدين. وهذا السلوك ناجم، في الحقيقة، عن الاحباط النفسي للناس، وقناعتهم في الاثنات من قبضة الموت، وهو النهاية الاكثر احتمالا للاصابة بالامراض الفاتكة. فبالنسبة للمسلم عندما يتلاشى الامل لديه، ليس هناك من ملاذ له الا الله واماكن عبادته. والمسلمون في العراق، وعلى غرار شعوب العالم الاسلامي الاخرى، لم يكونوا يتسببون، ولو جزئيا، الاوبئة الى تقصيراتهم في مجال الصحة العامة. لقد عزوها، بدلا من ذلك، كليا الى الله. وفي ولاء صادق لايمانهم بالقضاء والقدر، اعتقد معظم الشعب العراقي تحت الحكم العثماني أن الطاعون كان غضب من الله، وأنه كان مشيئته. وفقا لذلك، فان هؤلاء الذين ماتوا من الطاعون عدوا شهداء لاينبغي ان يندب عليهم الناس[2]. وهكذا، عندما دمر الطاعون بغداد بشدة في ربيع عام 1831، لم يكن بوسع الآف البغداديين مقاومة الداء سوى بالتضرع إلى الله لرفع سوط العذاب عن مدينتهم[3].

وتماشيا مع إيمانهم، فأينما اصابت الأوبئة المدن والبلدات العراقية، ازدحمت المساجد بأعداد غفيرة من الناس. لقد بدا الأمر كما لو انهم سعوا لمحاربة الوباء بالصلاة. لقد استقبلت مساجد الموصل، على سبيل المثال، اثناء طاعون عام 1772، المصلين وضحايا الوباء على حد سواء. لقد كانت مئات

1 Sandberg, A Letter From Bagdad, P. 651.
2 Groves, PP. 76, 110.
3 Ibid, P. 106.

sharif mahmoud

من جثث الموتى تمر يوميا من خلال البوابات الرئيسة للمساجد وتسجى في اروقتها تقام عليها صلاة الميت. ومن سخريات القدر، انه وبينما كان اهل الموصل يؤدون فروض الجنازة في احد مساجدها، توفي بعض المصلين الذين سبق وان أصيبوا بالطاعون، فتم دفنهم على الفور في ذات المكان[1]. لاشك في ان اماكن العبادة، والصلوات، والتضرعات، قد امدت هؤلاء الناس بالطاقة والطمأنينة الروحية، وهيأتهم نفسيا لتقبل مصيرهم المحتوم. وهذا بحد ذاته يكشف، الى حد ما، صلة الناس الحميمة بالدين اثناء المحن واوقات الشدة، بالرغم من ان كل الطقوس والشعائر الدينية اثبتت انها لم يكن لها على الاطلاق اي تأثير في الحد من الهجمات الوبائية وحواقبها المدمرة.

ولي تناقض صارخ مع هذا الفشل في الدين اثناء الأزمات الوبائية، أرتكبت احيانا انتهاكات اخلاقية لأحكام الشريعة، لكن تحت غطاء فقهي، ينص على ان الضرورات تبيح المحظورات. فمثلا، عندما انتشرت الكوليرا في بغداد في عام 1893، ساد اعتقاد بين الاهالي بان الخمر، بسبب احتواه على مادة معقمة، قد يكون ناجعا في مقاومة الوباء. ويبدو ان السلطات المحلية سايرت الناس في اعتقادهم هذا، فاذنت لهم بترخيص باحتساه[2]. والشريعة -كما هو معروف- تمنع منعا باتا المسكرات في شتى الظروف العادية.

وبقدر ما اسهمت موجات وباء الطاعون والكوليرا في انعاش القيم الدينية في العراق العثماني، فان بعض التدابير الوقائية عرضت النسيج الاجتماعي العراقي الى تحديات خطيرة. لقد تسبب تطبيق هذه التدابير احيانا في اثارة الهياج

1 الصائغ، ص292.

2 Sandberg, A Letter From Bagdad, PP. 647-648.

sharif mahmoud

والمشاكل بين الطوائف والمجموعات الدينية في العراق او بينها وبين الحكومة. لقد ادت احدى هذه المشاكل ذات الصلة بقضايا الصحة العامة الى اندلاع اشتباك بين الزوار الشيعة والسلطات الصحية المحلية وقتما كان الطاعون سائدا في بعض قرى الهندية في عام 1867. ففي مايس من العام المذكور، صدرت الاوامر من بغداد باقامة نطاق صحي حول الهندية، مع تنصيب محطات في المسيب، والحلة، وطويريج، والكفل، والكوفة وكربلاء. وفي غضون تلك المدة، جرى توجيه النذار الى زوار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء بعدم الدخول في مدى النطاق. لكن وبينما كان النطاق مايزال قائما، وصل حشد من الناس مؤلف من قرابة الف زائر الى المسيب في 7 تموز 1867. لقد حاول هؤلاء الزوار كسر النطاق بالقوة، حيث اطلقوا النار فوق رؤوس الحراس المرابطين لحماية النطاق ورموهم بالحجارة، متسببين في جرح العديد منهم. ولم يُقمع الاضطراب سراعا، الا بعدما تم الرد على هؤلاء باطلاق النار في الهواء ومعاقبة اثنين منهم بقسوة شديدة[1].

والنار الحمراء وقاتي آخر في عام 1876 مشكلة اجتماعية، وهدد المجتمع العراقي بالتشظي الطائفي. ففي تلك السنة ضرب الطاعون بغداد، حيث فرضت السلطات المحلية نطاقا صحيا حول المدينة. وبينما مُنع الشيعة من دفن موتاهم في الكاظمية او في بقاع شيعية اخرى في النجف وكربلاء، أعطي السنة الاذن بان يدفنوا موتاهم في مقبرة الشيخ معروف في الكرخ، بدعوى انها تقع داخل النطاق. لقد اثار هذا الاجراء الحكومي غير الحكيم الشيعة الذين احتجوا وهاجموا السنة. وقد اندلعت مناوشات بين الطائفتين المسلمتين وتطلّبت تدخل

1 Dickson, On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, P.146.

sharif mahmoud

فوج مشاة عثماني لقمعها. وتشير التقديرات الى ان نحو خمسة عشرة شخصا اصيبوا بجروح بليغة في تلك المناوشات[1].

وقد سبقت لنا الاشارة الى المشكلة المتعلقة بدفن الحاخام اليهودي عبدالله سوميخ بعدما اندلعت الكوليرا في بغداد في عام 1889. فبالاضافة الى بعدها السياسي، كان للمشكلة تعقيدات اجتماعية مثلت تحد لاواصر الانسجام والتسامح والالفة التي ربطت العواطف الدينية للمجتمع البغدادي بعضها لبعض لقرون عدة. لم تكن هذه المتاجزة العنيفة، في الواقع، التي وقعت بين اليهود والمسلمين نتيجة لرفض طلب اليهود بدفن حاخامهم في المقبرة اليهودية الخاصة، مجرد حادثة تافهة. انها هددت انذاك التعايش السلمي المجتمعي بين المجموعتين الدينيين البغداديتين. ولقد حال فقط التدخل الشخصي الحكيم للباب العالي في استانبول دون ان يتدهور الوضع الى ابعد من ذلك[2].

وكان للاوبئة ايضا تاثير كبير على الثقافة في العراق. لان عددا من العلماء في مجالات مختلفة سقطوا ضحايا لمجماتها. كان اغلب هؤلاء العلماء اعلاما بارزين في حقول الادب، الدراسات الدينية، الفقه الاسلامي، الدراسات اللغوية وغيرها. وقد لقي العديد منهم حتفهم من الطاعون او الكوليرا طوال تاريخ العراق العثماني. ان اعطاء بعض التماذج هنا قد يكون مفيدا في تسليط الضوء على الاثر التدميري للاوبئة على الثقافة العراقية وروادها في المجتمع العراقي. ففي كتابه "حوادث تاريخ بغداد والبصرة" اشار المؤرخ عبد الرحمن السويدي الى

1 "Memorandum by MR. Nettie Ratcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", P. 297.

2 For details about this incident, see: Chiha, PP. 76-77;
العزاوي، ج8: 1872-1917، ص ص 114-116.

sharif mahmoud

وفاة العلامة والمفتي الأسلامي المتميز الشيخ صبغة الله الكردي، بعد اصابته بالطاعون في عام 1773. ولدى هذا العالم الجليل اعمال عديدة في اللغة العربية، وتفسير الحديث، والمنطق، والفلسفة، ومجالات اخرى[1]. وعندما اكتسح الطاعون بغداد في عام 1831، اخذ الوباء حياة احد علماء الكاظمية البارزين، وهو الشيخ اسماعيل بن اسد الله التستري الكاظمي. لقد كان لديه العديد من المؤلفات في مجال الفكر الديني[2]. وفي كتابه تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، يشير المؤرخ العراقي عباس العزاوي الى ان اثنين من علماء العراق البارزين قد قضوا نحبهم من الطاعون في عام 1845، وهما عبد الفتاح الصواف، كاتب بغدادي في تأريخ الادب؛ والسيد ابراهيم القزويني، علامة اسلامي كان مقيما في كربلاء[3]. ومن الجدير بالذكر هنا، ان العراق لم يشهد ظهورا للطاعون خلال الفترة من 1834 ولغاية 1867. وربما عنى العزاوي بذلك وباءا آخر، فقد يكون الكوليرا التي سادت في بغداد في عام 1846.

وبالرغم من من كل الشاهد الكئيبة للاوبئة في العراق اثناء العهد العثماني المتأخر، الا انها لم تخل تماما من بعض اللحظات السعيدة، خصوصا وقتما كان بعض الناس يفلتون من قبضة الاوبئة المميتة. فعندما ضربت الكوليرا بغداد في عام 1893، كان العديد من اليهود البغداديين يقومون بزيارة لضريح العزير في جنوبي العراق. وقد تم حجز كل هؤلاء اليهود في محطة حجر صحي لمدة ثلاثة

---

1 البوريني، ص 37

2 السيد محمد بن خالد الله بن معصوم الحسيني، ترجمة السيد عبدالله شبر، (بغداد: 2001)، ص 32

3 العزاوي، ج7: 1831-1872، ص ص 90-91

sharif mahmoud

الشهر. لقد كان هذا الحجر، في الحقيقة، بمثابة طوق نجاة لهم، لانه حماهم من الوباء وابقاهم على قيد الحياة. وحالما وصل الى مسامع هؤلاء الناس ان الكوليرا قد غادرت بغداد نحو الشمال، اعربوا عن فرحتهم الكبيرة، مطلقين من نحو الف حنجرة اصوات الابتهاج العالية، التي ترددت اصداؤها خلال المكان كله[1].

1 Sandberg, A Letter From Bagdad, P. 647.

sharif mahmoud

المصادر والمراجع

(اولا) –الوثائق والسجلات والتقارير والاصدارات الرسمية

ـ الوثائق غير المنشورة:

– "American National Archives", Dispatches from United States Consuls in Baghdad 1888-1906, Micro-Copy No. T-509, Roll: 2, Vol: 2, January 11, 1900- July 23, 1906, (Washington: The National Archives and Records Service, 1961), Serial numbers in micro-film roll: 21-23, 27-28, 29-31, 36-38, 44-50, 53-55, 96-97, 98-99, 112-113, 123-125, 128-129, 275-276, 290-291, 295-297, 306-308, 311-312, 315-316, 317-318, 374-377, 388-389, 474-477.

ـ سجلات وتقارير الارشيف الصحي الامريكي والبريطاني:

– -"Public Health Reports", Washington: Government Printing Office, Vol. 11, Nos: 48, for the year 1896; Vol. 12, Nos: 6, 9, 11, 12, 15, 20, 47, 48, for the year 1897; Vol. 13, Nos: 4, 7, 18, 33, 49, for the year 1898; Vol. 14, Nos: 5,10, 20, 25, 26, 31, 38, 46, 48, 50, for the year 1899; Vol. 15, Nos: 4, 16, 18, 20, 26, for the year 1900; Vol. 16, Nos: 22, 24, for the year 1901; Vol. 17, Nos: 3, 9, 10, 13, for the year 1902; Vol. 18, Nos: 22, 23, 24, 25,

sharif mahmoud

26, 50, for the year 1903; Vol. 19, Nos: 3, 5, 6, 7, 9, 13, 14, 15, 17, 19, 21, 30, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 43, 44, 45, 46, 48, 49, 51, 52, 53, for the year 1904; Vol. 20, Nos: 2, 3, 4, 6, 7, 8, for the year 1905; Vol. 22, Nos: 4, 15, 17, 18, 22, 23, 29, 32, 44, 52, for the year 1907; Vol. 23, Nos: 3, 7, 10, 11, 14, 15, 17, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 29, 32, 34, 35, 36, 38, 39, 42, 49, for the year 1908; Vol. 24, Nos: 10, 26, 53, for the year 1909; Vol. 25, Nos: 10, 18, 23, 24, 30, 38, 43, 46, 48, 51, for the year 1910; Vol. 26, Nos: 7, 26, 27, 29, 30, 31, 35, 36, 41, 51, for the year 1911; Vol. 27, Nos: 4, for the year 1912; Vol. 28, Nos: 1, 8, 26, 33, 34, for the year 1913; Vol. 29, Nos: 25, 26, 30, 31, 33, 45, 46, 47, 50, 51, for the year 1914; Vol. 30, Nos: 6, 11, 13, 19, 23, 24, 26, 28, 29, 34, 36, 38, 39, for the year 1915; Vol. 31, Nos: 18, 33, 34, 36, 41, 47, 48, 52, for the year 1916.

- -"Weekly Abstract of Sanitary Reports", Washington: Government Printing Office, Vol. 4, Nos: 2, 43, 45, 46, 51, for the year 1889; Vol. 5, Nos: 10, 13, 25, 35, for the year 1890; Vol. 7, Nos: 25, 29, for the year 1892; Vol. 8, Nos: 5, 24, 25, 26, 27, 31, 40, 42, 47, for the year 1893; Vol. 9, Nos: 5, 6, 20, 25, 31, 33, 38, for the year 1894; Vol. 10, Nos: 4, 47, for the year

sharif mahmoud

1895; Vol. 11, Nos: 48, for the year 1896; Vol. 12, Nos: 18, 19, 47, for the year 1897; Vol. 15, Nos: 4, for the year 1900.

- "The British Medical Journal", (London: Printed and published at the office of the British Medical Association), Vol. 1, No: 274; Vol. 2, No: 300, for the year 1866; Vol. 2, No: 556, for the year 1871; Vol. 1, Nos: 797, 808; Vol.2, Nos: 809, 811, 816, for the year 1876; Vol. 1, No: 849; Vol. 2, No. 863, for the year 1877; Vol. 2, No: 936, for the year 1878; Vol. 1, Nos: 948, 949, for the year 1879; Vol. 1, Nos: 1057, 1058; Vol. 2, No: 1079, for the year 1881; Vol. 1, Nos: 1200, 1220, 1225; Vol. 2, No. 1238, for the year 1884; Vol. 2, Nos: 1500, 1512, for the year 1889; Vol. 1, Nos: 1524, 1531, for the year 1890; Vol. 1, No: 1887, for the year 1897; Vol. 1, No: 21, for the year 1901; Vol. 2, No: 2230, for the year 1903; Vol. 1, No: 2269; Vol. 2, No: 2273, for the year 1904; Vol. 1, No: 2521, for the year 1908; Vol. 2, No: 2545, for the year 1909; Vol. 2, No. 2604, for the year 1910; Vol. 1, No: 2838, for the year 1915; Vol. 2, No: 2950, for the year 1917; Vol. 1, No. 2977, for the year 1918.

sharif mahmoud

- الاصدارات الرسمية:

(باللغة الانكليزية)

- "Annual Report of the Supervising Surgeon-General of the Marine-Hospital **Service** of the United States for the Fiscal Year 1893", Vol. II, (Washington: Government Printing Press, 1895).
- Barry, F. W., Report on the Western Diffusion of Cholera During the Year 1893, "Twenty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1894-95, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1894-95, Presented to Parliament by Command Her Majesty", (London: Eyre and Spottiswoode, 1896).
- Bryden, James L., Epidemic Cholera in the Bengal Presidency: Report on the General Aspects of Epidemic Cholera in 1869, (Calcutta: Office of Superintendent of Government Printing, 1870).
- Colvill, Plague in the Province of Baghdad 1876-1877, "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: George E. Eyre and William Spottiw Jode, 1879).

sharif mahmoud

- Colvill, Report on Plague in Mesopotamia 1874-1875, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from Time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1879).
- Dickson, E.D., The Characters of the Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, in "Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague: Prepared from time to Time by Direction of the President of the Local Government Board, with Other Papers", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1879).
- Dickson, E. D., The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894).
- "Diplomatic and Consular Reports on Trade and Finance, Turkey. Report for the Years 1888-89 on the Trade of Bussorah, Presented to both Houses of Parliament by Command of Her

sharif mahmoud

Majesty, June, 1890", Printed for Her Majesty,s Stationary Office, (London: 1890)>

- Eager, J. M., The Present Pandemic of Plague, Treasury Department, Public Health and Marine-Hospital Service of the United States, (Washington: Government Printing Office, 1908).
- Evatt, George J. H, Contributions to the Medico-Military Topography of the Persian Gulf and Valley of the Euphrates and Tigris, Appendix No.1, in " Army Medical Department Report for the Year 1874", Vol. XVI (16), Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, (London: Harrison and Sons, 1876).
- "From the Report of the Medical Officer for 1876" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).
- "From the Report of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board for 1875" in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her

sharif mahmoud

Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).

- "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall, (New York: 1918).
- Low, Bruce, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1905).
- Low, Bruce, Report on the Manifestations of Cholera Throughout the World in 1904, "Thirty-Fourth Annual Report of the Local Government Board, 1904-05, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1904-05", Presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, (London: Darling & Son, 1906).
- Low, Bruce, Summary of the Progress and Diffusion of Plague Throughout the World During 1903, "Thirty-Third Annual

sharif mahmoud

Report of the Local Government Board, 1903-04, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1903-04, Presented to Both Houses of Parliament by Command of His Majesty", (London: Darling & Son, 1905).

- Low, Bruce, The Progress and Diffusion of Plague, Cholera and Yellow Fever Throughout the World, 1914-1917, Reports on Public Health and Medical Subjects, No. 3, Ministry of Health, (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920).
- "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague", in: Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board, No. VII (7): Annual Report to the Local Government Board with Regard to the Year 1875, Presented Pursuant to Act of Parliament, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1876).
- "Memorandum by MR, Netten Radcliffe on the Progress of Levantine Plague in 1875-76, and Part of 1877", in "Sixth Annual Report of the Local Government Board 1876-77, Supplement Containing the Report of the Medical Officer for 1876, Presented to Both Houses of Parliament by Command of

sharif mahmoud

Her Majesty, (London: Printed by George E. Eyre and William Spottiswoode, 1878).

- Radcliffe, J. Netten, The Diffusion of Cholera in Mesopotamia, Kurdistan, and Persia, 1865-72, "Reports of the Medical Officer of the Privy Council and Local Government Board", Presented to Both Houses of Parliament by Command of Her Majesty, No. V (5), (London: George E. Eyre and William Spottiswoode, 1875).
- "Register of the Department of State", Corrected to July 1, 1893, (Washington: Government Printing Office, 1893).
- "Reports on Public Health and Medical Subjects", No. 3, Ministry of Health, (London: Published by His Majesty's Stationary Office, 1920).
- "The Laws Relating to Quarantine of Her Majesty's at Home and Aboard and of the Principal Foreign States", Edited by Sherston Baker, (London: C. Kegan Paul & Co., 1879).
- "Views of Dr. Bick on Nature of Baghdad Disease", in, Papers Relating to the Modern History and Recent Progress of Levantine Plague, Presented to Both Houses of Parliament of Common of Her Majesty, 1879, (London: George Edward Eyre and William Spottiswoode, 1879).

sharif mahmoud

(باللغة التركية)

- السالنامات بالتركية العثمانية:

- "سالنامة ولاية بغداد، دفعة 2، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، محرم 1294 هجرية/ 1877 ميلادية).
- "سالنامة ولاية بغداد، دفعة 15، (بغداد: مطبعة ولاية بغداد، 1315-1316 رومي/ 1899 -1900 ميلادية).
- "سالنامة ولاية بغداد، دفعة 22، (بغداد: مطبعة الحكومة، 1329 رومي/ 1913 ميلادية).

- السالنامات بالتركية اللاتينية:

- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Bağdat", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2006).
- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Basra", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005).
- "Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul", Edited by Cengiz Eroğlu (et.al), (Ankara: Global Strateji Enstitüsü, 2005).

ثانيا (الكتب)

باللغة العربية:

- الاعظمي، علي ظريف، مختصر تأريخ البصرة، (بغداد: مطبعة الفرات، 1927).

sharif mahmoud

- الأنصاري، احمد نوري، الشعرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1969).
- البصري، عثمان بن سند، مطالع السعود: تأريخ العراق من سنة 1118 إلى سنة 1242 هجرية/ 1774-1826، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي، (بغداد: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، 1991).
- الحيدري، ابراهيم فصيح، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، الطبعة الاولى، (لندن: دار الحكمة، 1998).
- السرمري، يوسف بن محمد، كتاب في ذكر الوباء والطاعون، الطبعة الاولى، (عمان: الدار الاثرية، 2005).
- السويدي، عبد الرحمن، حوادث تأريخ بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: وزارة الثقافة والفنون، 1978).
- العزاوي، عباس، تأريخ العراق بين احتلالين، ج6: 1749-1831، ج7: 1831-1782، ج8: 1872-1917، طبعة جديدة، (بيروت: منشورات مكتبة الحضارات، 2009).
- العلاف، عبد الكريم، بغداد الفتنة 1869-1917، الطبعة الثانية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1999).
- القطيفي، السيد محمد بن مال الله بن معصوم، ترجمة السيد عبدالله شبر، (بغداد: 2001).

sharif mahmoud

- الكركوكلي، رسول، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، (بيروت: مطبعة كرم، 1964).
- الماردين، نابليون، تنزه العباد في مدينة بغداد، (بيروت: المطبعة اللبنانية، 1887).
- النجار، جميل موسى، الادارة العثمانية في ولاية بغداد 1809-1917، الطبعة الاولى، (القاهرة: مكتبة مدبولي،1991).
- الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج1: من بداية الحكم العثماني الى منتصف القرن التاسع عشر؛ ج2: 1831-1872؛ ج3: 1876-1914، (بغداد: مطبعة الارشاد، 1969).
- صايغ، سليمان، تأريخ الموصل، الجزء الاول، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1923).

باللغة الانكليزية:

- "An Epitome of the Reports of the Medical Officers to the Chinese Imperial Maritime Customs Service From 1871 to 1882", Compiled and Arranged by C. A. Gordon, (London: Bailliere, Trandall, and Cox, 1884).
- "A Reference Handbook of the Medical Sciences: Embracing the Entire Range of Scientific and Practical Medicine and Allied Science", Edited by Albert H. Buck. Vol. VIII (8), (New York: William Wood and Company, 1904).

sharif mahmoud

- Artenstein, Andrew W., Smallpox, in "Vaccines: A Biography", Edited by Andrew W. Artenstein, (New York: Springer Science & Business Media, 2010).
- Baron, John, The Life of Edward Jenner, (London: Henry Colburn, 1827).
- Brummett, Palmira, Image and Imperialism in the Ottoman Revolutionary Press, 1908-1911, (New York: State University of New York Press, Albany, 2000).
- Çetinsaya, Gökhan, Ottoman Administration of Iraq, 1890-1908, 1st Published, (New York: Routledge, 2006).
- Davidson, Andrew, Geographical Pathology: An Inquiry into the Geographical Distribution of Infective and Climatic Diseases, (Edinburgh & London: Young J. Pentland, 1892).
- Dols, Michael W., The Black Death in the Middle East, (Princeton: Princeton University Press, 1977).
- "Dr. Dobell's Reports on the Progress of Practical and Scientific Medicine in Different Parts of the World", Vol. II: For the year 1870, (London: Longmans, Green, Reader & Dyer, 1871).
- East, William Gordon, The Geography Behind History, Reissued (New York: W. W. Norton & Company, 1999).

sharif mahmoud

- Elgood, Cyril, A Medical History of Persia and the Eastern Caliphate: From the Earliest Times until the Year A.D. 1932, Digitally Printed Version, (New York: Cambridge University Press, 2010).
- "Forty Years in the Turkish Empire; or, Memoirs of Rev. William Goodell", (New York: Robert Carter and brothers, 1876).
- Fraser, Baillie, Mesopotamia and Assyria from the Earliest Ages to the Present Time, (New York: Harper and Brothers, 1842).
- Geary, Grattan, Through Asiatic Turkey: Narrative of A Journey from Bombay to the Bosphorus, Vol. 1, (London: Sampson Low, Marston, Searle & Rivington, 1878).
- Gordon, Charles Alexander, Notes on the Hygiene of Cholera for Ready Reference, (Madras: Gantz Brothers, 1877).
- Groves, Anthony N., Journal of a Residence at Bagdad during the Years 1830 and 1831, (London: James Nisbet, 1832).
- Halsey, Francis W., The Literary Digest History of the World War, Vol. 8: August 1, 1914-October, 1918, (New York and London: Funk & Wagnalls Company, 1919).

sharif mahmoud

- "Health and Sanitary Conditions in Turkey", in "Reconstruction in Turkey: A Series of Reports Compiled for the American Committee of Armenian and Syrian Relief", Edited by William H. Hall. (New York: 1918).
- Hirsch, August, Handbook of Geographical and Historical Pathology, Vol. 1: A Cute Infective Diseases, Translated from German by Charles Creighton, (London: The New Sydenham Society, 1883).
- Issawi, Charles, The Fertile Crescent 1800-1914: A Documentary Economic History. (New York: Oxford University Press, 1988).
- Jenner, Edward, On the Origin of the Vaccine Inoculation, Reprinted. (London: B. Black, 1863).
- Keith, Rev. Alexander, The Signs of the Times, Vol. 2, 2nd Edition (Edinburgh: William Whyte & Co., 1832).
- Keppel, George, Personal Narrative of A Journey from India to England in the Year 1824, (Philadelphia: Carey, Lea & Cary, 1827).
- Lawson, Robert, The Milory Lectures on Epidemics Influences on the Epidemiological Aspects of Cholera, (London: J. & A. Churchill, 1888).

sharif mahmoud

- Liebermeister, Karl, Infectious Diseases, Part 2: Measles, Scarlet, Fever, Small-pox, Varicella, Rubella, Diphtheria, Translated from German by E. P. Hurd, (Detroit: George S. Davis, 1888).
- Lubbock, Montagu, Plague, in "Hygiene & Diseases of warm Climates", Edited by Andrew Davidson, (Edinburgh and London: Young J. Pentland, 1893).
- Macnamara, C., A History of Asiatic Cholera, (London: Macmillan and Co., 1876).
- Malone, Joseph J., Surgeon Colvill's Fight Against Plague and Cholera in Iraq, 1868-1878, "American University of Beirut Festival Book", Edited by Fuat Sarraf and Suha Tamim, Beirut, 1967.
- "Memoir of Rev. Henry Lobdell, M.D., Late Missionary of the American Board at Mosul: Including the Early History of the Assyrian Mission", Edited by Rev. W. S. Tyler, (Boston: The American Tract Society, 1859).
- Midhat Bey, Ali Haydar, The Life of Midhat Pasha, (London: John Murray, 1903).

sharif mahmoud

- Nunn, Wilfred, Tigris Gunboats: The Forgotten War in Iraq 1914-1917, New Edition, (London: Chatham Publishing, 2007).
- Parsons, Abraham, Travels in Asia and Africa, (London: 1808).
- Payne, J. F., Plague, in "A System of Medicine", Edited by Thomas Clifford Allbutt, Vol. 1, (New York: The Macmillan Company, 1898).
- Plotkin (etal), Stanley A., Vaccines, Fifth Illustrated Edition, (The U.S: Elsevier Health Sciences, 2008).
- Ponafidine, Pierre, Life in the Moslem East, Translated from the Russian by Emma Cochran Ponafidine, (New York: Dodd, Mead and Company, 1911).
- Puckle, Bertram S., Funeral Customs, 1st Published, (London: T. Werner Laurie LTD, 1926).
- Roche, R. La, Pneumonia: Its Supposed Connection, Pathological and Etiological with Autumnal Fevers; Including an Inquiry into Existence and Morbid Agency of Malaria, (Philadelphia: Blanchard and Lea, 1854).
- Rosenau, Milton J., Preventive Medicine and Hygiene, (New York and London: D. Appleton Co., 1913).

sharif mahmoud

- Roy, Kaushik, The Army in India in Mesopotamia from 1916 to 1918: Tactics, Technology and Logistics Reconsidered, in "1917: Beyond the Western Front", Edited by Ian F. W. Beckett, (Brill: Koninklijke, 2009).
- Southgate, Rev. Horatio, Narrative of A Tour Through Armenia, Kurdistan, Persia, and Mesopotamia, Vol. 2, (New York: D. Appleton & Co., 1840).
- Southgate, Rev. Horatio, Narrative of A Visit to the Syrian [Jacobite] Church of Mesopotamia; with Statements and Reflections Upon the Present State of Christianity in Turkey, (New York: D. Appleton & Co., 1844).
- Swainson, Cowper, H., Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the Persian Gulf, (London: W. H. Allen & Co., Limited, 1894).
- "The Encyclopedia of World War 1: A Political, Social, and Military History", Edited by Spencer C. Tucker, Vol. 2, (California: 2005).
- "The New International Year Book", Edited by Frank Moore Colby, (New York: Dodd, Mead and Company, 1917).

sharif mahmoud

- "Travels of Doctor and Madame Helfer in Syria, Mesopotamia, Burmah and Other Lands", Vol. 1, (London: Richard Bentley & Son, 1878).
- "Travels of Mirza Abu Taleb Khan in Asia, Africa, and Europe During the Years 1799, 1800, 1801, 1802, and 1803". Translated by Charles Stewart. Vol. III, 2nd Edition, (London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown, 1814).
- Wendt, Edmund Charles, A Treatise on Asiatic Cholera, (New York" William Wood and Company, 1885).

باللغة الفرنسية:

- Borel, Frederic, Etude d'Hygiene Internationale Cholera et Peste dans le Pelerinage Musulman, (Paris: Masson et Cie., Editeurs, 1964).
- Chiha, Habib, Province de Bagdad (Caire: El-Maaref Press, 1968).
- Cuinet, Vital, La Turquie d' Asie Geographie Administative Statistique Descriptive et Raisonnee de Chaque Province de l'Asie-Mineure, Tome Troisieme, (Paris: Ernest Leroux, Editeur, 1894).

sharif mahmoud

- De Carro, Jean, Histoire de la Vaccination en Turquie, en Grece, en aux Indes Orientales, (Vienne: 1804).
- Loutfi, Z. I., La Politique Sanitaire Internationale, (Paris: Arthur Rousseau, 1906).
- Proust. A, La Defense de l' Europe Contre Le Cholera, (Paris: G. Masson, 1892).
- "Report a la Conference Sanitaire Internationale sur la Marche et le Mode de Propagation du Cholera en 1865", Presente par doctors Goodeve, Bikow, Salvatori, and Bartoletti, (Constantinople [Istanbul]: Juillet, 1866).
- Sestini, Voyage de Constantinople a Bassora en 1871, Traduit de l' Italien, (Paris: n.d).
- Tholozan, Une Epidemie de Peste en Mesopotamie en 1867, (Paris: Victor Masson Et Fils, 1869).
- Young, George, Corps de Droit Ottoman, Vol. III. (The Clarendon Press: Oxford, 1905).

باللغة الالمانية:

- "Jahresbericht über die Leistungen und Fortschritte in der gesammten Medicin", Unter Mitwirkung Zahlreicher Gelehrten,

sharif mahmoud

Herausgegeben von Rud. Virchow und Aug. Hirsch, XIV. Jahrgang: Bericht fir das jahr 1879, (Berlin: Verlag von August Hirschwald, 1880).

- Sticker, Georg, Abhandlungen aus der Seuchengeschichte und Seuchenlehre, I. Band: Die Pest, Erster Teil: Die Geschichte der Pest, (Gieben: Alfred Topelmann, 1908).

(ثالثاً)، دوائر معارف ومعاجم وقواميس بالانكليزية والفرنسية بالتركية:

- "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Deuxieme Serie: L – P, Tome: Vingt-Troisieme: PER – PHA, (Paris: G. Masson & Asselin et Houzeau, 1887).
- "Dictionnaire Encyclopedique des Sciences Medicales", Tome Huitieme: Geo-Gla, (Paris: Masson and Asselin, 1882).
- Hooper, Robert, Lexicon Medicum; or Medical Dictionary, Vol. II, (New York, J. and J. Harper, 1829).
- "Redhouse Yeni Türkçe-İngilizce Sözlük", Altıncı Baskı, (İstanbul: Ahmet Sait Matbaası, 1983).

sharif mahmoud

(رابعا) الدراسات والابحاث والتقارير

باللغة الانكليزية:

- Buchanan, G.S., Epidemics of the Eastern Campaigns, in "Proceedings of the Royal Society of Medicine", Vol. 11, (London: Longmans, Green & Co., Paternoster Row, 1918).
- Cantlie, James, The Spread of the Babonic Plague, "The Annals of Hygiene: A Journal of Health", Vol. XII (12), No.3, (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, March 1897).
- Clemow, Frank G., Two Years of Cholera Prevalence in the Turkish Empire, "Transactions of the Epidemiological Society of London" Vol. XXIII (23): Session 1903-1904, (London: William and Norgate, 1904).
- Colvill, W. H., Report on Plague in Turkish Arabia, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XII (12): for the Year 1876, (Bombay: Education Society's Press, 1876).
- Colvill, W. H, Sanitary Reports on Turkish Arabia, in "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI, for the year 1871, (Bombay: Education Society's Press, 1872).

sharif mahmoud

- Colvill, W. H., Short Report on Cholera Epidemic in Turkish Arabia in 1870-71, "Transactions of the Medical and Physical Society of Bombay", No. XI (11), For the Year 1871, (Bombay: Education Societies Press, 1872).
- Colvill, William Henry, Some Observations on the Vegetable Productions and the Rural Economy of the Province of Baghdad, "The Journal of the Linnean Society. Botany", Vol. XIV (14), (London: 1875).
- Davidson, Andrew, The Seasonal Fluctuation of Epidemic Diseases, "Public Health, the Journal of the Incorporated Society of Medical Officers of Health", Vol. IX (9): October, 1896 to September 1897, No. 10, (London: July, 1897).
- Dickson, E. D., Observations on the Characters of Epidemic Plague in Mesopotamia in 1876-1877, "The Medical Times and Gazette. A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1: For 1878, (London: J. A. Churchill, 1879).
- Dickson, E. D., On Cholera in Persia, 1866-68, in "Transactions of the epidemiological Society of London", Vol. III: Sessions 1866 to 1876, (London: Hardwicke and Bogue, 1876).

sharif mahmoud

- Dickson, E. D., On the Reported Outbreak of Plague at Kerbela, "Transactions of the Epidemiological Society of London", Vol. III (3): Sessions 1866 to 1876 (London: Hardwicke and Bogue, 1876).
- Dickson, E. D., The Outbreak of Cholera in Mesopotamia and Syria in 1889, 1890, and 1891, "Transaction of the Epidemiological Society of London", Vol. XIII (13): Session 1893-94, (London: Shaw and Sons, 1894).
- Hakham Abdallah Somekh, "The Scribe: Journal of Babylonian Jewry", No. 36, (London: September 1989).
- Hamilton, John B., Hygiene and Epidemiology, "Annual of the Universal Medical Sciences", Edited by Charles E. Sajous and others, Vol. 5, Section E, (Philadelphia: F. A. Davis, Publisher, 1891).
- Hankin, E. H., On the Epidemiology of Plague, "The Journal of Hygiene", Vol. 5, No.1, (Cambridge: January 1905).
- Proceedings of the American Oriental Society at Its Meeting in New York, March 29-31, 1894, "Journal of the American

sharif mahmoud

Oriental Society", Vol. 16, (New Haven: Tuttle, Morehouse & Taylor, 1896).

- "Progress of the Indian Cholera", in "The Methodist Magazine and Quarterly Review", Vol. XVI (16), No. 4, October 1832 (New York: Waugh and T. Mason, 1832).
- Radcliffe, J. Netten, A Short History of Plague from Its Reappearance in 1853, "The Medical Times and Gazette: A Journal of Medical Science, Literature, Criticism, and News", Vol. 1, for 1879, (London: J & A. Churchill, 1879).
- Report on the Plague, "Provincial Medical & Surgical Journal", Vol. III, No. 15, (London: April 15, 1846).
- Sundberg, John C., A Letter from Bagdad, "The Annals of Hygiene", Vol. IX (9), No. 11, (Philadelphia: November 1894).
- Topics of the Week: Influenza and Cholera, "The Journal of the American Medical Association", Vol. XIV (14): January-June, 1890, No. 7, February 15, 1890, (Chicago: 1890).
- Wortabet, John, A Short of the Recent Visitation of the Plague in Bagdad and its Vicinity, 1867-1877, "Edinburgh Medical Journal", Vol. XXV (25), Part1: July to December 1879, (Edinburgh: Oliver and Boyd, 1880).

sharif mahmoud

(خامساً) الدوريات

باللغة الانكليزية:

- "Medical Record: A Weekly Journal of Medicine and Surgery", Vol. 42, No. 19, (New York: November 5, 1892).
- "London Journal of Medicine", Vol. III, No. XXXIII (33), (London: September, 1851).
- "Pacific Medical Journal", Vol. XXXV (35), No. 10, (San Francisco: October 1892).
- "St. Louis Courier of Medicine and Collateral Science", Vol. V, No. 6, (St. Louis, Mo.: Jas. R. chambers & Co., 1881).
- "The American Educational Review", Vol. XXXI (31), No. 11, (Chicago: American Educational Co., August 1910).
- "The Journal of the American Medical Association" Vol. XXII (22), No. 25, (Chicago: American Medical Association Press, June 23, 1894).
- "The Journal of the American Association", Vol. XXIX (29), No. 22, (Chicago: American Medical Association Press, November 27, 1897).

sharif mahmoud

- "The Lancet", Vol. 2, For 1842-1843, (London: John Churchill, 1843).
- "The Lancet", Vol.2, For July 27, 1867 (London: 1867).
- "The London Medical Record: A Revie of the Progress of Medicine, Surgery, Obstetrics, and the Allied Sciences", Vol. III, February 17, 1875, (London: Smith, Elder & Co., 1875).
- "The Medical and Physical Journal", Vol. XXXI (31), No. 184, (London: June 1814).
- "The Medical Sentinel", Vol. 20, No. 12, "(Portland, Oregon: December 1912).
- "The Museum of Foreign Literature and Science", Vol. XX (20), (Philadelphia and New York: January 1832).
- "The Penny Magazine of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge", No. 106, (London: November 30, 1833).
- "The Sanitarian: A Monthly Magazine Devoted to the Preservation of Health, Mental and Physical Culture", Vol. XXIV (24), No. 242, (New York: January 1890).
- "The Scots Magazine", Vol. XXXV (35), (Edinburgh: Murray and J. Cochran, 1773).

sharif mahmoud

- "The Universal Magazine of Knowledge and Pleasure", Vol. LII (52), (London: December, 1773).

بالفرنسية والألمانية:

- "Gazette Hebdomadaire de Medecine et de Chirurgie", Vingt-Huitieme Annee, 15 Avril, 1881, (Paris: G. Masson, 1881).
- "Journal de'Hygiene", Vol.13, No. 624, Jeudi. Septembre 6, 1888 (Paris: 1888).
- "Revue d'Hygiene et de Police Sanitaire", Troisieme Annee, (Paris: 1881).
- "Revue Generale de Clinique et de Therapeutique Journal des Praticiens", Dixieme Annee, (Paris: 1896).
- "Revue Scientifique", Tome V (5), No. 19, Mai 9, 1896 (Paris: 1896).
- Morditmann, Die Cholera in der Türkei und Konstantinopel im Jahre 1893, "Hygienische Rundschau", IV. Jahrgang, No. 7, April 1, 1894, (Berlin: 1894).

sharif mahmoud

الملاحق

sharif mahmoud

sharif mahmoud

ملحق – I

خارطة توضح المنطقة المثلثة الشكل التي ضربها الطاعون في جنوب العراق في عام 1875

sharif mahmoud

ملحق 2

خارطة توضح لمدد موجة الكوليرا في المناطق العراقية في المدة من آب 1865 ولغاية تشرين الثاني 1866

sharif mahmoud

ملحق-3

خارطة توضح المناطق التي ضربتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1889

sharif mahmoud

ملحق-4

خارطة توضح المناطق التي اجتاحتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1893

sharif mahmoud

ملحق – 5

خارطة توضح المناطق التي ضربتها موجة الكوليرا في العراق في عام 1904

sharif mahmoud

ملحق – 6

وثائق امريكية منتخبة غير منشورة تتعلق بمراسلات قنصلية الولايات المتحدة في بغداد في المدة من 1900 ولغاية 1905 بشأن موضوعات الاويئة

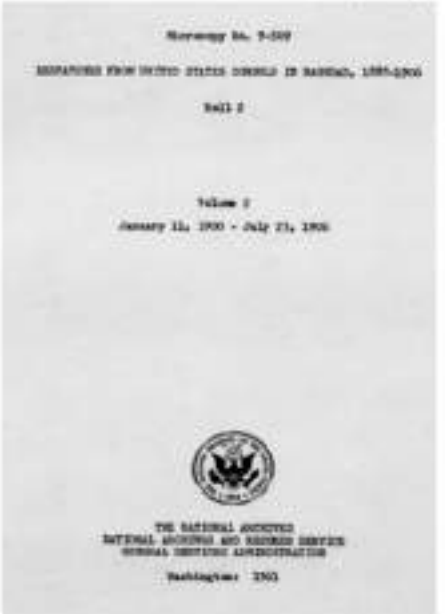
Microcopy No. T-559

DISPATCHES FROM UNITED STATES CONSULS IN BAGHDAD, 1885-1906

Roll 2

Volume 2

January 11, 1900 - July 23, 1900

THE NATIONAL ARCHIVES
NATIONAL ARCHIVES AND RECORDS SERVICE
GENERAL SERVICES ADMINISTRATION

Washington: 1963

sharif mahmoud

وثيقة صادرة عن القنصلية الأمريكية في بغداد بتاريخ 5 نيسان 1900، تخصص انتشار طاعون في مناطق حدودية بالقرب من السليمانية

sharif mahmoud

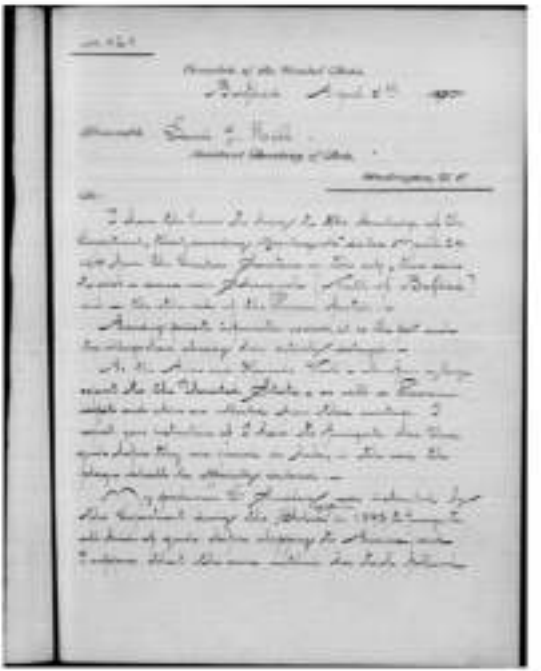

sharif mahmoud

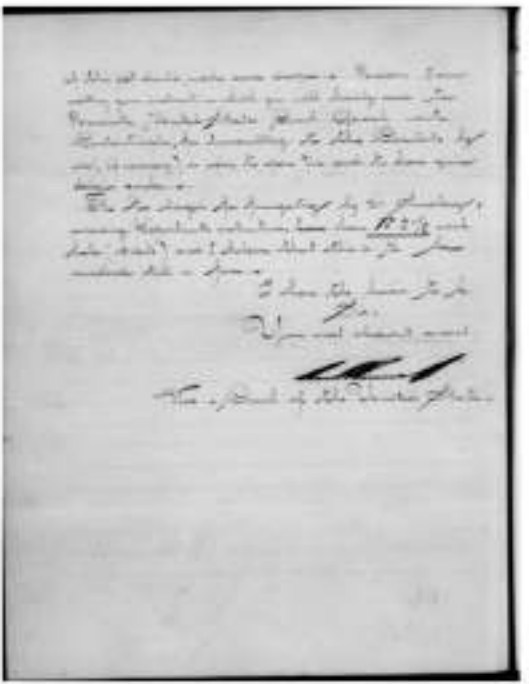

sharif mahmoud

وثيقة صادرة عن القنصلية الأمريكية في بغداد بتاريخ 26 نيسان 1900، بخصوص اندلاع طاعون دملي في كردستان

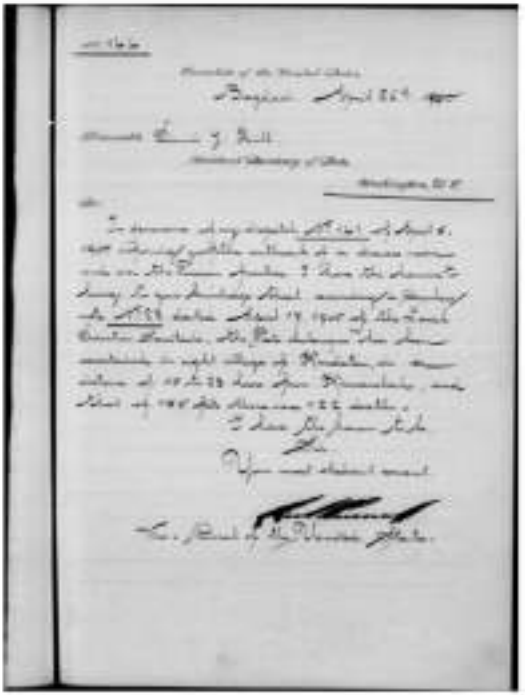

sharif mahmoud

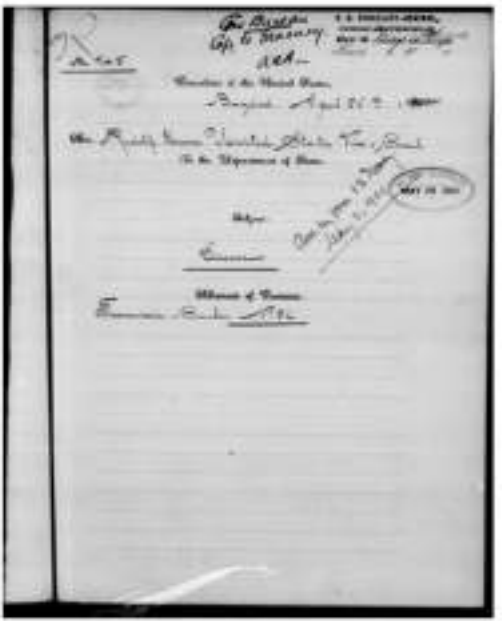

برقية صادرة من نائب القنصل الامريكي في بغداد بتاريخ 26 نيسان 1900 بخصوص نشرية صحية مستلمة من دائرة صحة بغداد تتعلق باغلاق الحدود العراقية-الايرانية بين راوندوز وزرباطية لمنع التنقل الطاعون الى الاراضي العراقية

sharif mahmoud

sharif mahmoud

sharif mahmoud

برقية من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية الامريكية بتاريخ 24 مايس 1900 بخصوص تظهير بضائع من مناطق موبوءة في العراق

sharif mahmoud

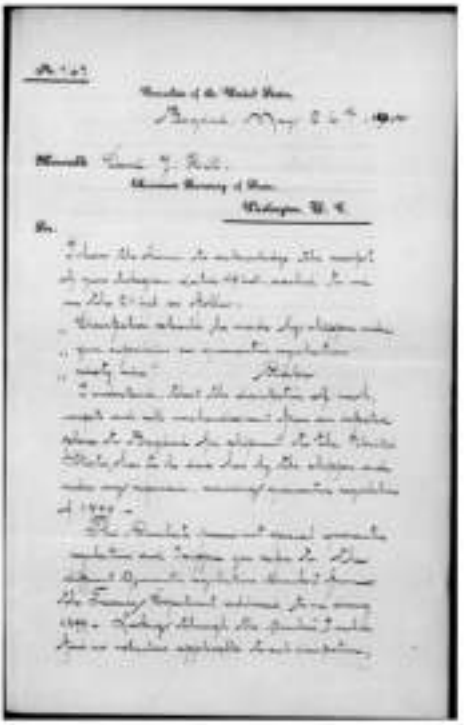

No. 107

Treasury of the United States

Washington, May 8 [illegible] 1920

Kenneth Chas. T. Hall.

American Secretary of State.

Washington, D. C.

Sir.

I have the honor to acknowledge the receipt of your despatch under date of April 20th, in the 5th inst. on Arabia.

"Translation submitted for your observations and comments regarding"

"treaty with" Arabia

I remember that the translation of such treaty and the enclosures sent from the Arabian Agency at Bagdad for the attention of the Finance Office, but to be sure that by the Arabian treaty you mention - meaning of commercial regulations of 1920 -

The Finance has not received commercial regulations and therefore can make no observations. Although the Finance Department received from the Treasury Department copies of the treaty of 1918. Although the Finance has not received any regulations from the Arabian

sharif mahmoud

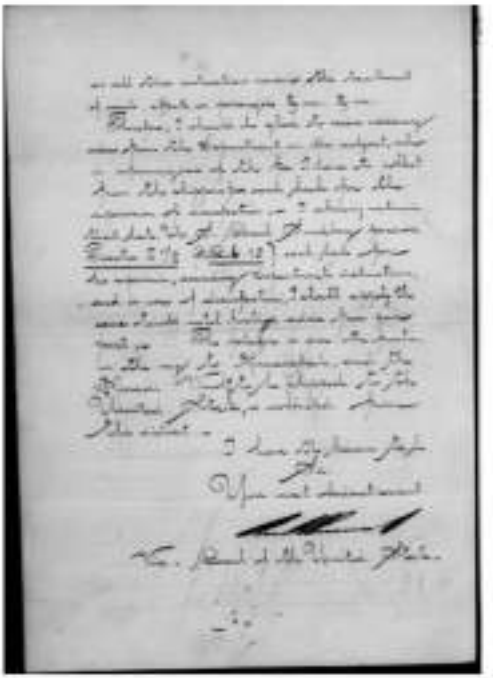

sharif mahmoud

برقية مرسلة من نائب القنصل الأمريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 28 حزيران 1900 خصوص تفشي الطاعون في مناطق حدودية ايرانية مع العراق، ومرفق معها مراسلة اخرى بخصوص تعيين موظف خاص يتولى تطهير بالات الصوف والبضائع الاخرى قبل ان تأخذ طريقها للولايات المتحدة

sharif mahmoud

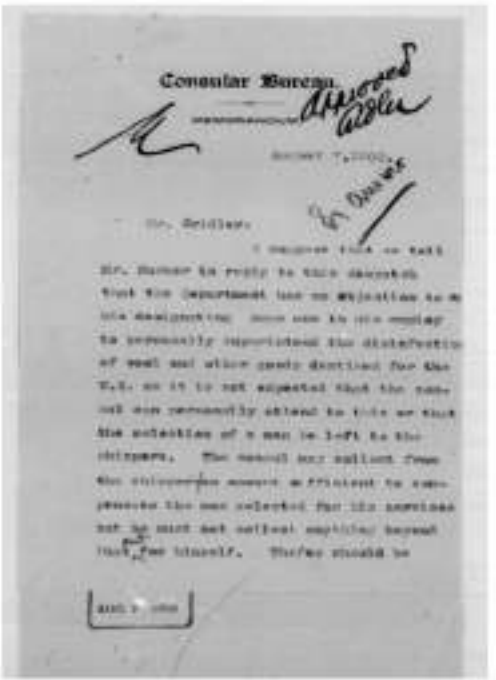

Consular Bureau.

Approved
Alden

Mr. Dawes

Mr. Skinner in reply to this decorous
that the Department has no objection to
his designating
to personally superintend the disinfection
of wool and skins newly destined for the
U.S. as it is not expected that the con-
sul can personally attend to this or that
the selection of a man is left to the
shippers. The consul may collect from
the shippers amount sufficient to com-
pensate the man selected for his services
but he must not collect anything beyond
that for himself. Duties should be

sharif mahmoud

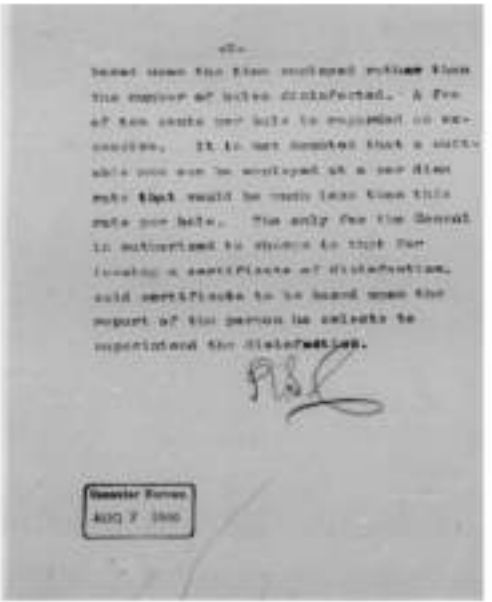

-2-

hereof upon the time employed within them than the number of votes distributed. A fee of ten cents per vote is suggested as reasonable. It is not expected that a sufficient vote can be employed at a per diem rate that would be much less than this rate per vote. The only fee the General is authorized to charge is that for issuing a certificate of distribution, said certificate to be issued upon the request of the person he selects to superintend the distribution.

Theodore Roosevelt
AUG 7 1900

sharif mahmoud

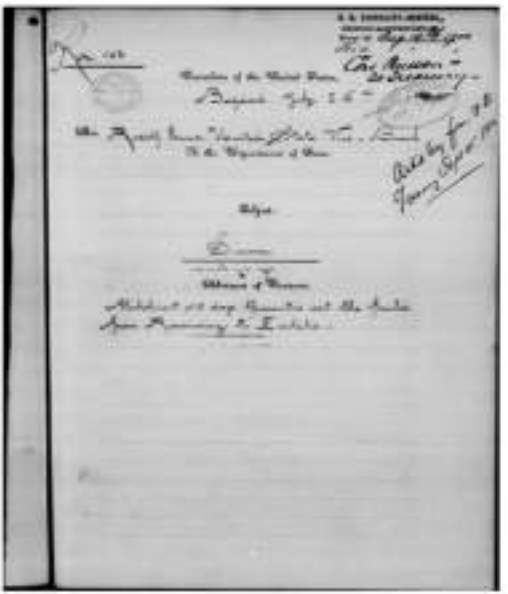

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 26 تموز 1900 تخصص الغاء حجر صحي على الحدود مع ايران امده عشرة ايام من راوندوز الى زرباطية

sharif mahmoud

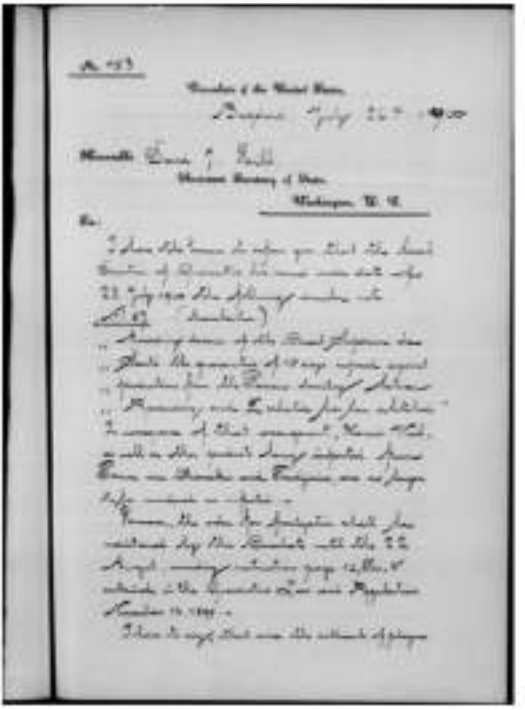

sharif mahmoud

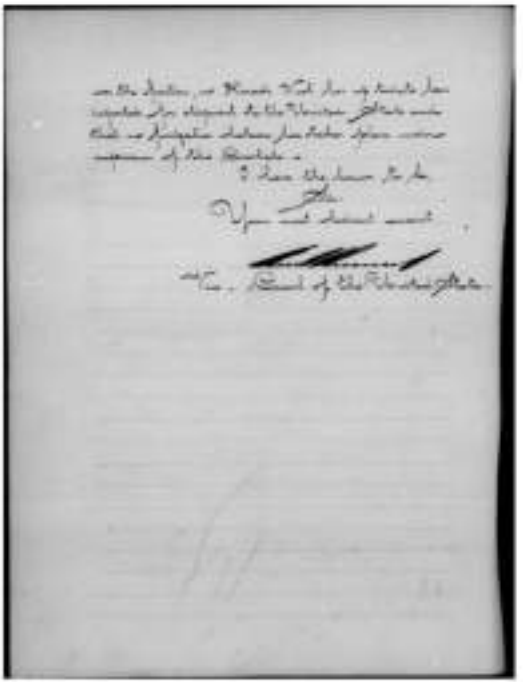

sharif mahmoud

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 2 مايس 1901 تتعلق بتفشي طاعون محقق في البصرة

sharif mahmoud

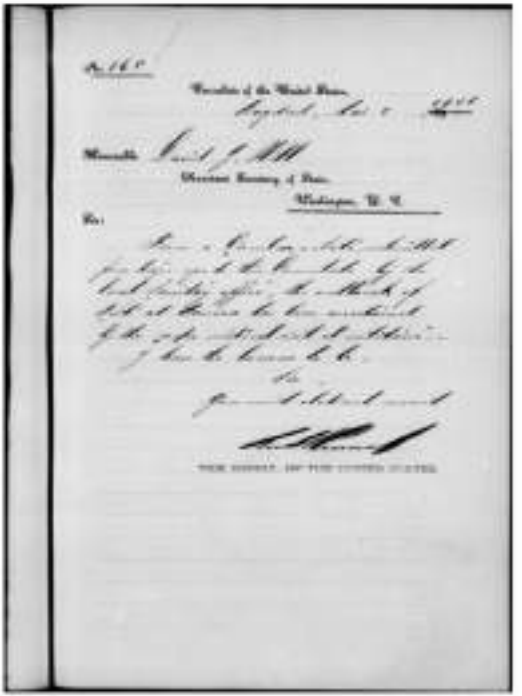

sharif mahmoud

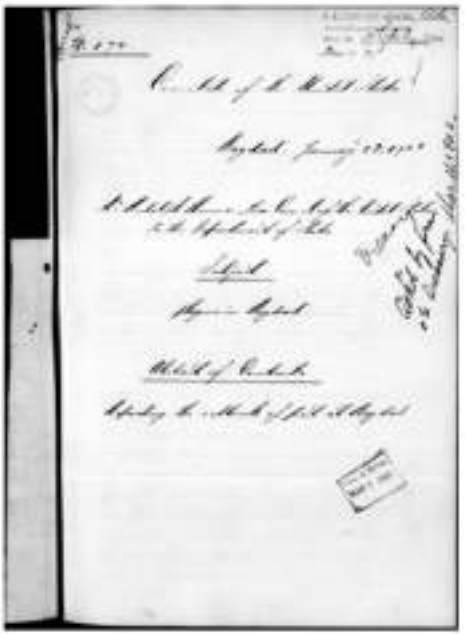

رقية من قنصلية الولايات المتحدة في بغداد بتاريخ 23 كانون الثاني 1902
بخصوص تعقبي طاعون في بغداد

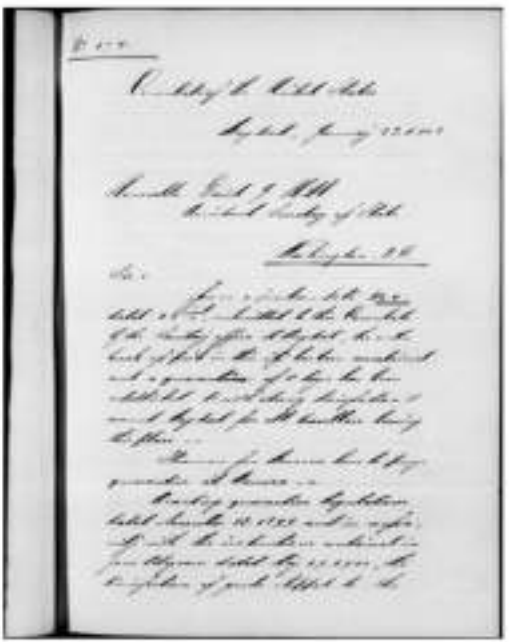

sharif mahmoud

برقية مرسلة من نائب القنصل الأمريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 24 كانون الاول 1903 بشأن نفشي كوليرا في كربلاء والنسيب

sharif mahmoud

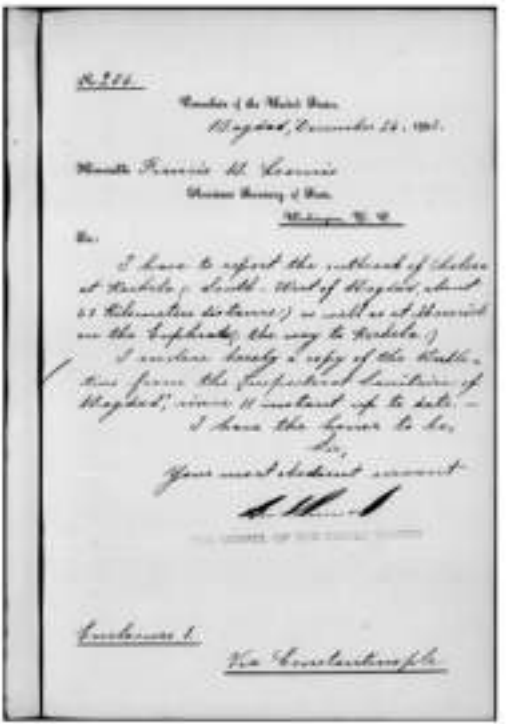

No. 244.

Consulate of the United States.
Baghdad, December 24, 1901.

Hon. Francis M. Loomis
Assistant Secretary of State.
Washington, D. C.

Sir,

I have to report the outbreak of cholera at Karbala (South-West of Baghdad, about 45 kilometers distance) as well as at Nejeef on the Euphrates, the way to Karbala.

I enclose herewith a copy of the Health Bulletin from the Sanitary Commission of Baghdad, since it entered up to date.

I have the honor to be,
Sir,
Your most obedient servant
A. Hirsch

Enclosure 1.
Via Constantinople

sharif mahmoud

برقية مرسلة من نائب القنصل الامريكي في بغداد الى الخارجية الامريكية بتأريخ 17 آذار 1904 بشأن انتشار الكوليرا في البصرة وبغداد

sharif mahmoud

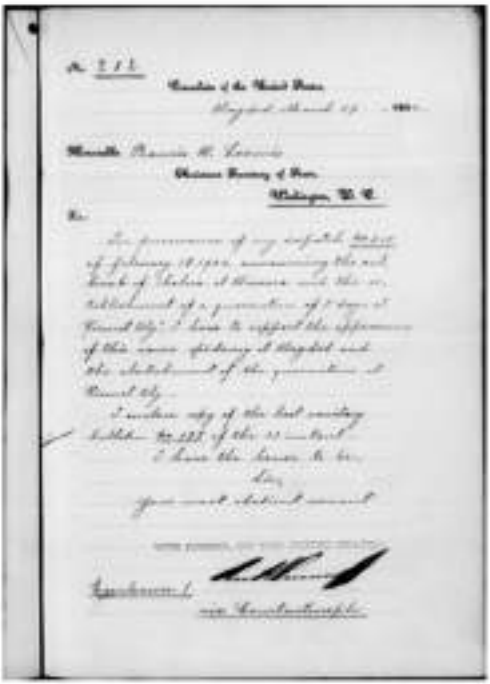

A. 7 F 1.

Consulate of the United States

Bagdad March 19 1901

Sir:

Herewith I have the honor to transmit a copy of a letter addressed to me by Mr. Francis M. Loomis, Chairman Revenue Cutter Service, Washington, D. C. under date of February 18 1901 concerning the establishment of a quarantine station at Koweit Bay.

I have to request the approval of the above action of Bagdad and the establishment of the quarantine at Koweit Bay.

I enclose copy of the last existing exhibit No 227 of the 55th Congress.

I have the honor to be,

Sir,

your most obedient servant

[signature]

Consul.

The Secretary of State

Washington D. C.

sharif mahmoud

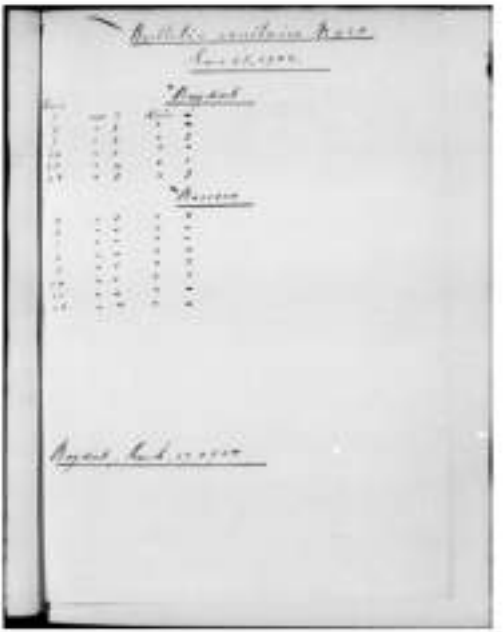

sharif mahmoud

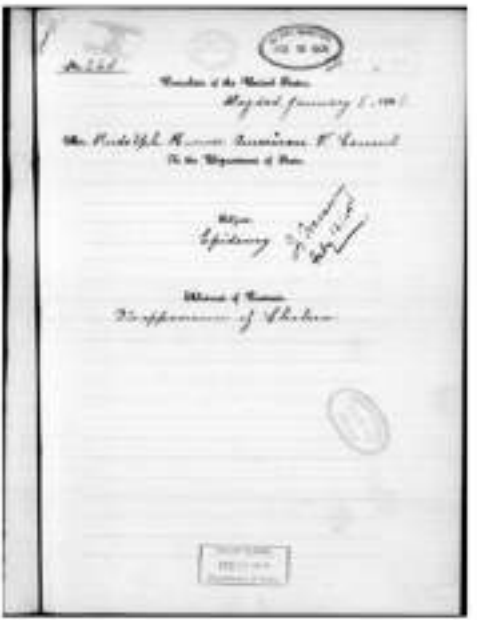

برقية مرسلة من نائب القنصل الأمريكي في بغداد الى وزارة الخارجية بتاريخ 5 كانون الثاني 1905 بخصوص اختفاء وباء الكوليرا من بغداد

sharif mahmoud

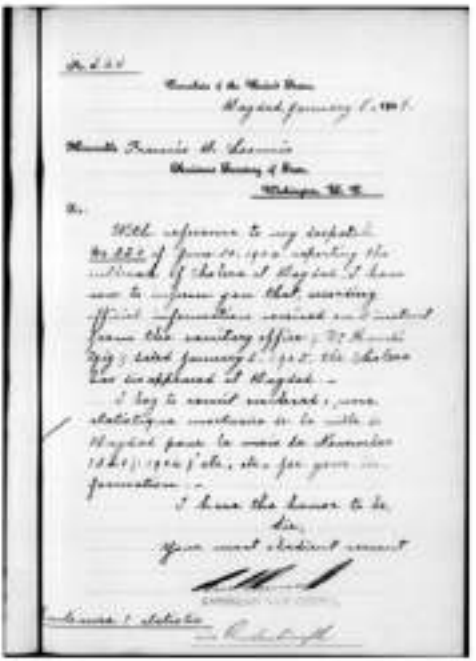

No. 444

Consulate of the United States
Baghdad January 6, 1911.

Miss Francis M. Lawrence
Chairman Nursing Service
Washington, D. C.

Sir,

With reference to my despatch No. 442 of June 10, 1910 reporting the outbreak of cholera at Baghdad I have now to inform you that morning official information received from the sanitary office, Dr. Russell Pasha, dated January 6, 1911 the cholera has disappeared at Baghdad.

I beg to remit herewith, some statistique mentioned in the note de Baghdad pour la mois de Décembre 1910, 1910 & 1911 for your information.

I have the honor to be,
Sir,
Your most obedient servant

Enclosure: Statistic

sharif mahmoud

فهارس الأعلام
والمدن والاماكن والامراض

sharif mahmoud

sharif mahmoud

فهرس الأعلام

حرف الالف

ابراهيم فصيح الحيدري 89
ابن سنة البصري 92
احمد الفدي (مفتي بغداد) 222
احمد توفيق باشا 73
احمد فيضي باشا 75
اختر (طبيب) 145، 234
اختواره جيتر (طبيب) 219 - 220
آر يومان (جراح) 53
ارناؤوط (طبيب) 231 - 232
اسطى عباس آغا (فارس علي) 70
اسماعيل بن اسد الله التستري الكاظمي (عالم ديني) 281
اكرم حمدي باشا 73
الاتراك 80
الارناؤوط 276
الب سلطان (عشيرة) 105
الطاف (عشيرة) 174
الوزراء (صحيفة) 161
آل زياد (عشيرة) 114
السقا (حامل الماء) 261
السيد ابراهيم القزويني 281
السير وليم ويلت 269
الشيخ معروف الكرخي 275
العصابة (فارسين طيبين شعبيين) 92
آل ظفير (قبيلة) 157، 160، 274
المصابيون 217
آل فتله (عشيرة) 159، 257

القس وليم جودل 81
المورد سالزبوري 269
المورد اجلين 220
المساعدة (عشيرة) 123 - 124
الملا الرجل دين معلم) 82، 92
المسالك 256
اليهود (طائفة) 113، 114، 145، 208، 269، 272، 280، 281
انتوني. ان كروفر (قس) 53
اوغست هيرش (بروفيسور اوبئة) 48، 86، 96
اي. دي ويكسون (طبيب) 248
ايكوموتس (طبيب) 209

حرف الباء

بادوار (طبيب) 233
برنهارد بك (طبيب) 234، 235، 264
بلاو (طبيب) 209
بنكاوسكي باشا (مفتش صحي) 215
بني اسد (قبيلة) 257
بنيامين هاريسون ارتيس) 262
بني حسن (عشيرة) 159، 257
بني خالد (عشيرة) 158
بني طرف (قبيلة) 99، 100، 122، 257

حرف التاء

تقي الدين باشا 74
تويدي (فصل بريطاني) 269

حرف الثاء

ثولوزان (عالم اوبئة فرنسي) 37، 42، 46، 98، 99، 230، 248، 249

sharif mahmoud

حرف الجيم

جوزيف جي. مالون (مؤلف) 236
جوزيف فرانك بين (طبيب) 37- 46، 238
جون دي كازو (طبيب) 219- 221
جون راديكليف (طبيب) 243
جون سانديرز (فصل) 55- 79، 91، 163، 165، 217، 238- 239، 240- 243، 270، 277
جون هنري هيتر (فصل) 240، 259
جون وريت (طبيب) 113
جي. اس بوكان (ضابط) 182
جي. ام ايكر 120
جي. مي مراد (تاجر) 221- 222
جيوفاني كاياداس (طبيب) 60، 63، 106، 210، 234

حرف الحاء

حازم باشا 56
حازم بك 75
حبيب شيحه (مؤلف) 84، 86
حجي حسن رفيق باشا 74
حسن عيون (عشيرة) 158، 160
حسين باشا 75
حمدي عزيز (اخصائي جرائم) 174

حرف الدال

دانيكل (طبيب) 88، 250
داود باشا 53، 81- 265، 274- 276

حرف الراء

رديف باشا 74
رسول الكركوكلي (مؤرخ) 32، 132
رومولف هرنر (وكيل فصل) 188- 189

حرف الزاء

زيتر (طبيب) 235

حرف السين

سيرين زافريانو (مفوض صحي) 117، 211
سنانلي موه (جنرال بريطاني) 185
سري باشا 56، 74
سي. ميلنغن (طبيب) 232- 233

حرف الشين

شات (طبيب) 221
شوكت باشا 75

حرف الصاد

صبغة الله الكردي (عالم) 281

حرف العين

عاكف باشا 74
عباس العزاوي (مؤرخ) 269، 281
عبد الحميد الثاني (سلطان) 146
عبد الرحمن السويدي (مؤرخ) 28، 280
عبد الرحمن باشا 74، 268
عبد الفتاح الصواف (اديب) 181
عبد الكريم نادر باشا 73
عبدالله بن علي (عشيرة) 157

sharif mahmoud

عبدالله سوميح (احتجام يهودي) 268، 270، 280
عبد الوهاب باشا 75
عزت باشا (قائد عسكري) 207
عطا الله باشا 74

حرف الغين

غازي (طبيب) 253
غراتان جيري (رحالة) 114
غرالة (طبيب) 144، 226

حرف الفاء

فرانك كليسو (متخصص صحي بريطاني) 188
فورس (طبيب) 236
فون دير غولتز (مارشال ألماني) 182

حرف القاف

قدري باشا 74

حرف الكاف

كروفر كليلاند (رئيس) 242
كستالدي (خبير لوبة) 231

حرف اللام

لاز علي رضا باشا 73
لويز (طبيب) 144، 153، 216، 226، 235
لوسي (ممرضة تعليم) 223

حرف الميم

مجيد بك 75
محمد رشيد باشا 73
محمد رؤوف باشا 74
محمد ناظم باشا 73، 225
محمد نجيب باشا 73
محمود الثاني (سلطان) 201، 228
مدحت باشا 54، 62، 63، 74، 76، 85، 201، 267
مصطفى عاصم باشا 74
مصطفى نوري باشا 73
ملاكيس (طبيب) 236
موستايدز (طبيب) 78، 166، 185
ميلن (جراح) 221
مينشي (وكيل شركة) 220

حرف النون

نارانزي (طبيب) 229، 231
ناصر الدين شاه 267
ناصر باشا 304
نجم الدين بك 75
نقيب الأشراف ببغداد 241
نيكسون (معلم سياسي بريطاني) 264
نيكولايدس (طبيب) 236

حرف الهاء

هارفورد جونز (معلم بريطاني) 220، 221
هاموزع (طبيب) 236
هاملتون (وكيل قنصلي) 211، 212
هيلاني (ممرضة تعليم) 222

حرف الواو

وحيبي باشا 73
وزنر (طبيب) 209
وليم كوفيل (جراح بريطاني) 61، 90، 100، 104، 105، 108، 110، 210، 223، 230، 231، 233، 235، 238، 267، 268

sharif mahmoud

فهرس المدن والاماكن والدول

حرف الالف

ابو الخصيب 157، 158، 252
ابو صخير 114، 115
ابلة 183
اربل 138، 151، 152، 155
ازمير 183
استانبول 53، 60، 69، 72، 78، 81، 88، 95، 96، 113، 117، 118، 120، 121، 125، 144، 153، 155، 161، 166، 168، 168، 183، 189، 193، 199، 201، 206، 207، 211، 217، 219، 220، 224، 227، 232، 244، 264، 269، 280
استراحان 238
اعالي الفرات 138، 162، 168، 172، 252
اعالي دجلة 163، 187، 262
الاحساء 139
الاسكندرية (العراق) 140
الاسكندرية (مصر) 137
الاعظمية 148
الامبراطورية العثمانية 118، 181، 188، 201، 218
الاناضول 31، 179
البحر الاحمر 169
البحرين 206
آل بدير 104
البصرة 10، 30، 32، 34، 36، 38، 45، 50، 53، 69، 70، 75، 77، 78، 83، 86، 87، 89، 91، 97، 98، 118، 121، 123، 129، 132، 137، 139، 141، 144، 148، 149، 150، 152، 153، 156، 158، 161، 164، 166، 167، 170، 173، 174، 179، 181، 183، 189، 190، 193، 197، 200، 203، 204، 205، 208، 212، 214، 218، 219، 221، 224، 226، 236، 244، 247، 250، 252، 261، 262، 264، 266، 268، 272، 274، 275، 280
البندقية 118
البيضاء 147
البون كوبولي 100، 150، 152، 160، 162، 208
الجزيرة العربية 139
الجمارة 134، 135، 148، 151، 251
الحجاز 137، 214
الحديدة 253
الحلة 25، 36، 55، 57، 67، 87، 102، 103، 105، 106، 108، 135، 137، 139، 142، 145، 147، 149، 151، 159، 162، 171، 206، 209، 226، 251، 255، 258، 259
الحي 204، 244، 248، 259، 269
الدجيل 153، 227
الدغارة 97، 100، 101، 231، 257، 258، 275
الدليم 97، 227
الديوانية 97، 100، 104، 107، 117، 133، 137، 138، 140، 142، 148، 151، 160، 171، 172، 251، 275
الرمادي 147، 149
الرميلة 147
الزاب الاسفل 152، 156، 208
الزاب الاعلى 152، 156، 208
الزبير 97، 122، 124، 150، 158، 160
السليمانية 21، 33، 38، 67، 68، 97، 119، 120، 130، 135، 140، 148، 150، 152، 153، 171، 173، 174، 197، 199، 203، 204، 206، 209، 227، 234، 236، 252، 265
السماوة 107، 137، 138، 142، 144، 148، 171، 199، 200، 214
الشامية 68، 97، 116، 148، 151، 171
الشرق الاوسط 96، 132، 155، 156، 167، 183، 189، 241، 244
الشطرة 205، 143، 147، 151، 156، 158، 164، 209، 160، 214، 275
الشعافية 104، 214، 249، 258
الصفاوية 147، 148، 208، 209
العزيزية 97، 107، 112
العمارة 83، 87، 148، 149، 151، 236، 158، 164، 167، 171، 173، 174، 180، 200، 209، 214، 227
الفراتية 209

sharif mahmoud

النار 84، 87، 129، 137، 167، 204، 208
الغرات الأوسط 76، 105، 162، 193، 198، 204، 231، 253، 258
الفضل (عمة) 56
الفلوجة 167
الفيار 134
القرة 130، 137، 141، 146، 147، 150، 160، 167
القسطنطينية (استانبول) 201
الكاظمية 82، 84، 87، 140، 148، 151، 160، 171، 173، 200، 202، 279، 281
الكرخ 279
الكفل 137، 160، 206، 279
الكوت 104، 107، 144، 145، 148، 150، 167، 173، 182، 205، 209، 214، 258
الكوفة 167، 215، 249، 260، 271، 274، 279
الكويت 186
المانيا 135
المهر الصغير 150
المهر الكبير 149، 151
الموفق 143
الميمرة (عرمشهر حاليا) 136، 200، 204
النهروان 240
الهدية 201، 203، 148
الهيب 84، 87، 107، 143، 147، 151، 159، 168، 169، 171، 189، 200، 203، 279
الواسط 176
الهندية 171، 179
اللجة 149
المشفى (الناصرية) 108، 148، 157، 160، 161
الموصل 28، 29، 31، 32، 34، 36، 38، 41، 43، 44، 51، 55، 59، 67، 69، 75، 76، 80، 133، 134، 137، 139، 140، 142، 143، 151، 153، 155، 156، 162، 163، 169، 173، 174، 181، 185، 193، 200، 203، 207، 209، 212، 219، 222، 224، 226، 250، 277، 278
الميدان (محلة) 165
الناصرية 62، 105، 107، 143، 146، 150، 156، 158، 160، 167، 209، 214، 226، 235
النجف 29، 30، 36، 82، 87، 97، 101، 108، 114، 115، 134، 145، 147، 149، 152، 159، 162، 171، 266، 270، 271، 274، 276، 279، 282، 283، 285، 286، 289
النروج 289
الهند 55، 128، 132، 134، 140، 142، 143، 166، 197، 204، 211، 215، 216، 220، 226، 236، 239
الهندية 60، 76، 87، 99، 149، 151، 159، 162، 168، 169، 171، 172، 225، 228، 230، 231، 233، 236، 244، 251، 256، 257، 277، 279
الولايات المتحدة 50، 55، 59، 79، 117، 119، 126، 217، 238، 238، 240، 262، 263
اليمن 96، 233، 234
اليونان 229
يوم البحرور 101، 108
تكثر 159
ايران 135، 150، 197، 200، 205، 210، 213، 222، 231، 232، 234، 244، 267
يعقوبي 118، 121، 267

حرف الباء

باريس 244، 269
بدره 97، 118، 144، 146، 150، 209، 226، 269
برلين 44، 113
بريطانيا 217، 218، 243
بطوية 146، 148، 152، 159، 171
بغداد 27، 30، 38، 40، 43، 45، 48، 51، 52، 56، 58، 59، 63، 64، 66، 67، 70، 72، 73، 76، 78، 81، 83، 88، 89، 90، 95، 97، 99، 101، 104، 105، 107، 109، 113، 116، 118، 122، 124، 126، 129، 131، 133، 147، 150، 152، 155، 157، 159، 161، 165، 167، 169، 171، 178، 179، 183، 187، 188، 190، 199، 202، 204، 210، 216، 217، 219، 228، 230، 232، 233، 237، 240، 242، 249، 251، 253، 255، 257، 264، 268، 270، 272، 274، 276، 277، 279، 282
بلاد الرافدين (العراق) 246
بلجيكا 266
بلد 135
بلوشستان 195
بنجوين 69، 87
بنغازي 231
بوشهر 35، 141، 234، 236

sharif mahmoud

بومبي 35- 118- 142- 143- 204- 219- 221
بيروت 113- 117- 155- 183

حرف التاء

تدمر 135
تكريت 140- 150- 173- 207- 208
تلمنر 208
تل كوكب 208

حرف الجيم

جبه 108- 109
جدة 119- 234- 242
جمسان 97- 116- 144- 149- 209
جيجال 140- 150

حرف الحاء

حديثة 108- 109
حرير 208
حلب 127- 128- 155- 163- 183

حرف الخاء

خابور 208
خانقين 33- 83- 85- 87- 125- 136- 138- 142- 146- 148- 159- 162- 171- 173- 189- 193- 199- 202- 205 - 207- 220- 222- 226- 234- 236

حرف الدال

دمشق 188- 209
ديار بكر 137- 163- 208
ديالى 208- 212
دير الزور 208
ديناوه (الخالص) 120

حرف الراء

رانيه 124- 175- 257
رابوندوز 38- 142- 152- 174- 175- 199- 203- 205
رباط 69
روسيا 135- 258
روما 213- 242

حرف الزاء

زاكيتوس (جزيرة يونانية) 229
زرناطة 83- 87- 97- 116- 128- 144- 150- 199- 202- 205- 209
زنجيه 149

حرف السين

سامراء 86- 87- 108- 162- 171- 173- 202
سلطان منصور (منطقة في الحلة) 202- 203
سمبيه 155
سنجار 139- 208
سوريا 33- 187- 208
سوق الشيوخ 105- 107- 135- 137- 142- 146- 147- 159- 160- 258
سيانق 210- 243

حرف الشين

شط العرب 77- 125- 137- 146- 157- 158- 160- 166
شمالي افريقيا 156
شهربان (المقدادية) 171- 173
شوشتار (ايران) 232
شيكاغو 139

حرف الصاد

صلاحية (كفري) 146- 188- 208

حرف العاء

طاووق 146- 150- 159
طرابلس الغرب 90- 131

sharif mahmoud

طهران 118، 125، 130، 189، 231، 264
طوزخورماتو 140، 150، 208
طوروس 60، 202، 203، 207، 147، 168، 279

حرف العين

عانه 29، 35، 184، 188، 167، 189، 252، 253
عقبة (عقلت) 97، 101، 108، 117، 251
عني الغربي 166، 168
عنيلوه (قرب عانقين) 159
عمان 35
عينتاب 167

حرف القاف

قبر عزرا (العزير في الصابرة) 180
قزل رباط (حاليا البندية) 161، 165، 168، 169

حرف الكاف

كاليفورنيا 119
كبيسه 146، 147، 152
كربلاء 29، 36، 67، 82، 87، 97، 99، 102، 103، 107، 115، 125، 134، 138، 140، 142، 143، 145، 148، 151، 152، 160، 163، 168، 171، 178، 200، 202، 209، 215، 224، 253، 269، 279، 281
كردستان العراق 119، 207، 257، 283
كركوك 69، 97، 98، 130، 138، 142، 148، 149، 151، 159، 187، 200، 252
كرمنشاه 31، 85، 125، 136، 205
كفري 135، 139، 148، 151، 159، 206
گيلنمنير (عورمال حاليا) 120
كلك 108
كويسنجق 257

حرف اللام

لندن 236، 238، 289
ليبيا 66، 231
ليدز (بريطانيا) 243

حرف الميم

ماردين 31
مسقط 30، 137، 204
مصر 167
مكة 62، 132، 135، 137، 167، 197، 198
مندلي 68، 87، 97، 116، 139، 140، 146، 149، 172، 202، 214
نجيرجة 209

حرف النون

نابلي 121
نجد 70
نصيبين 91
نيويورك 121

حرف الهاء

همدان 136
هور الحمار 147، 158
هور الدجن 149
هولندا 135
هيت 138، 146، 147، 152، 162، 168، 169، 172، 208

حرف الواو

وادي السلطان دي سي 238

حرف الياء

يافا 183
يوركشاير (بريطانيا) 243

sharif mahmoud

فهرس الأمراض

حرف الالف

ابو خبر (الكلب أطلق على الطاعون) 271
ابو زوعه (الكلب أطلق على الكوليرا) 271
اضطرابات الجهاز الهضمي 42
الأسكربوط 181
الأسهال 38- 42- 132
الالتهاب الرئوي (ذات الرئة) 38- 41- 106
الأنثراكس 43
الثدرن الرئوي 36- 263
التهاب الشعب الهوائية 36- 42
التهاب الكبد 42- 234
التيفوئيد 38- 96- 98- 123- 181- 182- 230
الجدري 37- 45- 181- 186- 191- 218- 224- 263
الجذام 98
الحصبة 36
الحمّى 41- 42- 50- 88- 99- 123- 228- 230- 241
الحمّى الدماغية 235
الحمّى الصفراء 42
الحمّى القرمزية 38
الدفتريا 269
الزحار 36- 41- 42- 181
السكر الفولا (تورمات الغدد الليمفاوية) 349
الطاعون 27- 35- 37- 38- 42- 48- 48- 49- 50- 51- 59- 61- 70- 71- 79- 81- 82- 84- 86- 88- 90- 95- 102- 104- 105- 111- 131- 181- 188- 193- 197- 199- 202- 206- 207- 210- 211- 213- 218- 225- 238- 243- 244- 249- 259- 263- 270- 288- 366- 281

الكزاز 42
الكوليرا 27- 35- 36- 39- 42- 48- 49- 50- 58- 59- 60- 77- 82- 88- 91- 130- 132- 147- 151- 153- 158- 161- 170- 172- 176- 178- 186- 189- 197- 198- 202- 204- 205- 207- 209- 212- 216- 218- 226- 227- 229- 235- 237- 248- 249- 250- 252- 253- 255- 256- 259- 260- 262- 264- 266- 268- 272- 274- 276- 278- 280- 282
الملاريا 36- 41- 50- 181- 234- 235
الموا الاصفر (الكلب أطلق على الكوليرا) 271
امراض العيون 340

حرف الحاء

حبّة بغداد (الأحمر) 37- 181
حبّة حلب 37
حمّى الملاريا 235
حمّى ذبابة الرمل 191

حرف الضاد

ضربة الحر 181

حرف الغين

غدغرينا 42